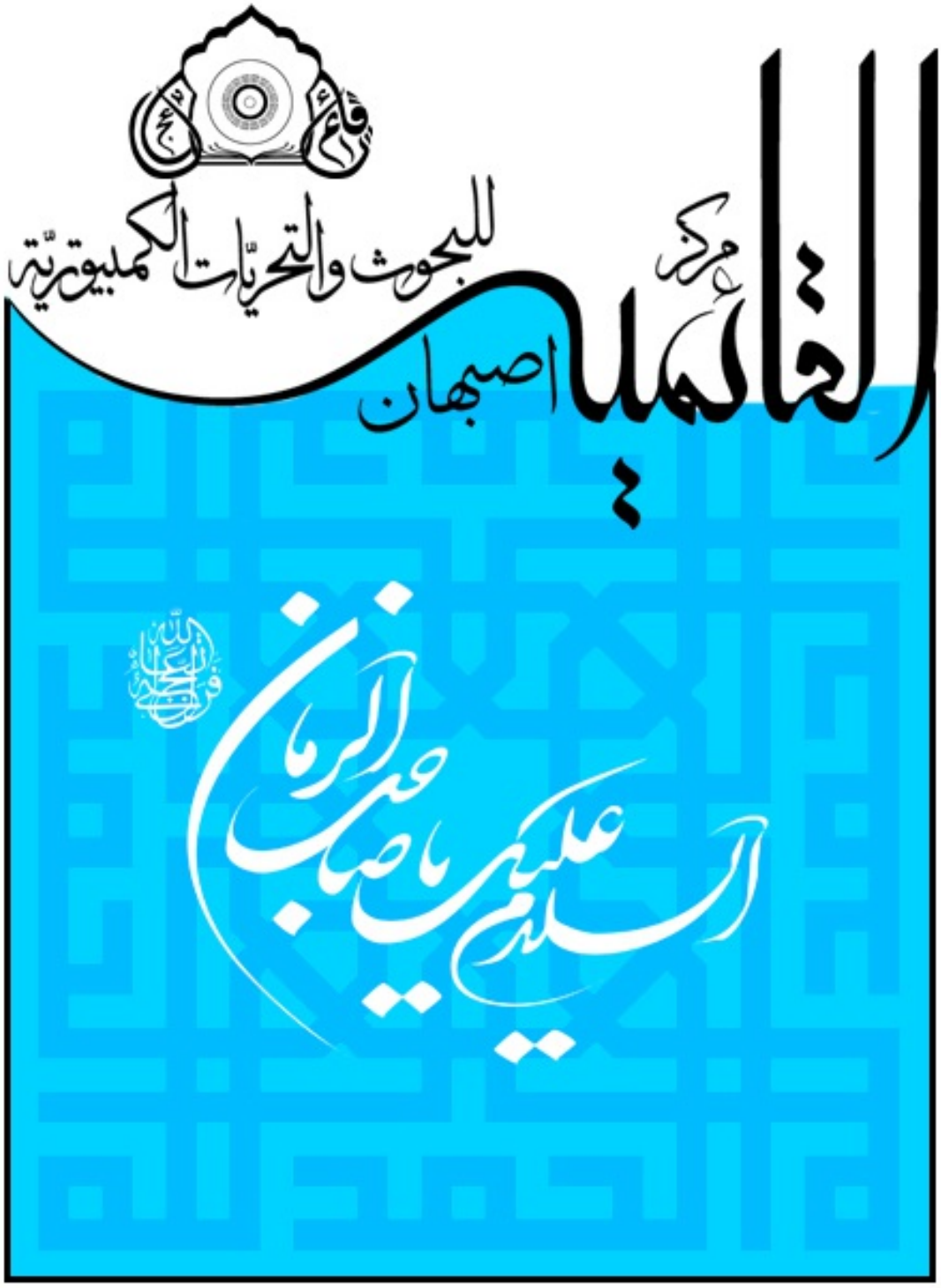

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ

١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الصحيح من سيره النبى الاعظم(ص)

كاتب:

سيد جعفرمرتضى حسينى عاملى

نشرت فى الطباعة:

سحرگاهان

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الصحیح من سیره النبی الاعظم(ص) المجلد۱۰ ----- ۱۴
اشارة ----- ۱۴
[تتمة القسم السادس] ----- ۱۴
[تتمة الباب السادس] ----- ۱۴
الفصل الثانی: حدث و تشریع ----- ۱۴
اشارة ----- ۱۴
ماذا فی هذا الفصل؟! ----- ۱۴
صلاة الخوف: ----- ۱۵
إننا نسجل هنا ما یلی: ----- ۱۶
الروایة الأقرب إلی القبول: ----- ۱۷
کیفیة صلاة الخوف: ----- ۱۸
صلاة الخوف فی غزوة الخندق: ----- ۱۸
صلاة الخوف لماذا؟!: ----- ۱۹
قصر الصلاة: ----- ۲۰
۱- تاریخ قصر الصلاة: ----- ۲۰
القصر فی حالتی الأمن و الخوف: ----- ۲۱
إتمام عثمان للصلاة فی منی و عرفات: ----- ۲۳
الصامدون و المتزلفون: ----- ۲۳
معاویة و الأمویون، و سنة عثمان: ----- ۲۴
أعذار لا تصح: ----- ۲۴
التقصیر رخصة أم عزیمة: ----- ۲۸
نزول آیة التیمم: ----- ۲۸

الفصل الرابع: بدر الموعد ----- ۲۹
اشارة ----- ۲۹
بدایة الحدیث عن بدر الموعد: ----- ۲۹
تاریخ غزوة بدر الموعد: ----- ۲۹
النص التاریخی لبدر الصغری: ----- ۳۰
آیات سورة آل عمران: ----- ۳۳
مواقف لا بد من التأکد من صحتها: ----- ۳۴
الأفراح و الأتراح: ----- ۳۵
المجتمع المفتوح: ----- ۳۷
استخلاف ابن أبی علی المدینة: ----- ۳۷
قوة الإسلام: ----- ۳۸
لا بد من الندم: ----- ۳۹
الإنتظار ثمانیة أیام: ----- ۴۰
الإتجار فی بدر الموعد: ----- ۴۱
غزوة دومة الجندل: ----- ۴۲
تاریخ هذه الغزوة: ----- ۴۲
هذه الغزوة: ----- ۴۳
مدة غیبته صلی اللّه علیه و آله عن المدینة: ----- ۴۴
رجوع النبی صلی اللّه علیه و آله قبل بلوغ دومة!! ----- ۴۵
التوجیه الأقرب: ----- ۴۵
دومة الجندل حقیقة أم خیال؟!: ----- ۴۷
ذکریات أبی موسی الأشعری فی دومة الجندل: ----- ۴۸
موادعة عیینة بن حصن الغادر: ----- ۴۸
حکومة القیم، أم حکومة المشاعر؟! ----- ۴۹

القسم السابع من الخندق إلى الحديبية ----- ۵۰
اشارة ----- ۵۰
آيات حول غزوة الخندق: ----- ۵۰
تقديم: ----- ۵۱
اشارة ----- ۵۱
موجز عن غزوة الخندق: ----- ۵۱
الباب الأول التحضيرات لغزوة الخندق ----- ۵۳
اشارة ----- ۵۳
الفصل الأول: الأحزاب إلى المدينة ----- ۵۳
اشارة ----- ۵۳
تمهيد و بيان: ----- ۵۳
تحزيب الأحزاب فى روايات المؤرخين: ----- ۵۵
تجمع القوى: ----- ۵۷
الأحزاب إلى المدينة: ----- ۵۸
مناقشات و إيضاحات: ----- ۵۹
تاريخ غزوة الخندق: ----- ۵۹
غزوة الخندق فى زمن الحصاد: ----- ۶۴
هل أخطأ التقويم التطبيقى؟! ----- ۶۵
مشاركة الحارث بن عوف فى الخندق: ----- ۶۵
أبو رافع قتل بعد أحد: ----- ۶۶
هل كان أبو الأعور فى الخندق؟!: ----- ۶۶
توثيق أبى الأعور!!: ----- ۶۷
آية سورة النساء متى و فيمن نزلت: ----- ۶۹
توضيح و تصحيح: ----- ۷۰

تحریض الیهود: ۷۱
الداء الدوی: ۷۱
أهداف الحرب: ۷۲
الأحقاد هی المحرک: ۷۳
یریدون لیطفئوا نور اللّه سبحانه: ۷۳
الإیمان و المواثیق لا تجدی: ۷۴
تمر خیبر: ۷۵
تأثیر المال فی تحزیب الأحزاب: ۷۶
الإرهاب الفکری و الخداع للسذج: ۷۶
الحارث بن عوف ینصح قومه: ۷۷
عقدة بدر الموعد: ۷۷
عیینة بن حصن و المعانی الإنسانیة: ۷۸
شک المشرکین: ۷۹
الفصل الثانی: الخندق فی خطة الحرب و الدفاع ۷۹
اشارة ۷۹
المفاجأة: ۷۹
المشورة و التخطیط: ۸۱
من أخبر النبی صلی اللّه علیه و آله بمسیر الأحزاب؟! ۸۱
من المشیر بحفر الخندق؟! ۸۲
وعی سلمان: ۸۳
لو کان الخندق بإشارة سلمان: ۸۳
طریقة استشارته صلی اللّه علیه و آله أصحابه: ۸۵
الخندق فی إیجابیاته الظاهرة: ۸۵
بین الأصالة و التجدید: ۸۶

أین کان الخندق و ما هی مواصفاته؟! ۸۷
اشارة ۸۷
۱- موضع الخندق: ۸۷
۲- جعل الأبواب للخندق: ۸۸
۳- خصوصیات و مواصفات أخری: ۸۸
الموقع الجغرافی للخندق: ۸۹
تشبیک المدینة بالبنیان: ۹۰
مدة حفر الخندق: ۹۰
زمام المبادرة بید من؟! ۹۲
الفصل الثالث: حفر الخندق: أحداث و دلالات ۹۲
اشارة ۹۲
شدائد و متاعب: ۹۲
حفر الخندق فی روایات المؤرخین: ۹۳
المساحی و المکاتل: ۹۳
تقسیم العمل فی الخندق: ۹۴
النبی صلی اللّه علیه و آله یشارک فی حفر الخندق: ۹۴
علی علیه السلام و شیعته أعظم الناس عناء: ۹۶
و ثمة تفاصیل أخری: ۹۶
عمل المنافقین فی الخندق: ۹۸
اشارة ۹۸
۱- توزیع المهام علی العاملین: ۹۸
۲- النبی صلی اللّه علیه و آله و الشعر: ۹۹
۳- دور عضل و القارة: ۱۰۰
۴- الأمثولة المواساة: ۱۰۱

۵- المتحذلقون الأغبياء: ۱۰۱
۶- لا عيش إلا عيش الآخرة: ۱۰۱
۷- الحماسة و المثابرة: ۱۰۲
۸- الأسوة الحسنة: ۱۰۲
منع حسان و كعب بن مالک من الشعر: ۱۰۳
الكلمة المسؤولة و القرار الحاسم: ۱۰۴
زيد بن ثابت: ۱۰۵
سلمان منا أهل البيت: ۱۰۵
الصحيح فی القضية: ۱۰۷
تقتلک الفئة الباغية: ۱۰۸
الفصل الرابع: كرامات فی نطاق السياسة الإلهية ۱۰۹
اشارة ۱۰۹
مما سبق: ۱۰۹
الكرامات و المعجزات فی الخندق: ۱۱۰
نبوءة صادقة للنبی صلی اللّه عليه و آله: ۱۱۰
كرامة أخری لرسول اللّه صلی اللّه عليه و آله: ۱۱۱
قصور الروم و فارس: ۱۱۱
نص آخر يخالف ما سبق: ۱۱۴
القيادة الحازمة، و الإنضباط أساس النجاح: ۱۱۴
مدائن كسری و قصور الروم و صنعاء: ۱۱۵
الأمل بالنصر: ۱۱۶
كرم و كرامة: ۱۱۶
قضية أخری فيها كرامة لرسول اللّه صلی اللّه عليه و آله: ۱۱۸
كرامة أخری للنبی صلی اللّه عليه و آله: ۱۱۸

یطعم الجیش کله حفنة من تمر: ۱۱۸
کرامة أخری لرسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: ۱۱۹
بین نظرتین: ۱۱۹
التزویر الرخیص: ۱۲۰
الجهد، و الضعف و الجوع: ۱۲۰
اشارة ۱۲۰
الأولی: النبی صلی اللّه علیه و آله وصوم الوصال: ۱۲۱
الثانیة: العزم و الثبات: ۱۲۲
الثالثة: الخصاصة و الجوع: ۱۲۲
الفصل الخامس: جیش المسلمین و جیش المشرکین فی المواجهة ۱۲۳
اشارة ۱۲۳
الإعداد و الإستعداد: ۱۲۳
مقر القیادة: ۱۲۴
عرض النبی صلی اللّه علیه و آله الخارجین إلی الحرب: ۱۲۵
النساء و الأطفال فی الآطام: ۱۲۵
الحرس علی أبواب الخندق: ۱۲۶
ترکیبة الحرس مثار تساؤل: ۱۲۶
الذراری و النساء فی الآطام: ۱۲۷
عقد الألویة للحرب: ۱۲۷
شعار الحرب: ۱۲۹
عدة و عدد المسلمین: ۱۳۰
عدد المشرکین: ۱۳۲
عدة جیش الشرک: ۱۳۳
معنویات جیش الشرک: ۱۳۴

جیش أهل الإیمان: ۱۳۵
الغطرسة القرشیة: ۱۳۵
رسالة تهدید من أبی سفیان: ۱۳۶
الفصل السادس: غدر بنی قریظة ۱۳۶
اشارة ۱۳۶
بنو قریظة ینقضون العهد: ۱۳۶
لا بد من التثبت: ۱۳۹
النزعة العنصریة لدی الیهود: ۱۴۱
وفاء الیهود: ۱۴۱
طریقة حیی للتأثیر علی کعب بن أسد: ۱۴۱
دوافع نقض العهد: ۱۴۲
جهام بلا ماء: ۱۴۲
الشعور بالذنب و الخیانة: ۱۴۲
عدة مبعوثین لمهمة واحدة: ۱۴۲
طریقة الرمز فی نقل المعلومات الحساسة: ۱۴۳
البشائر النبویة بالنصر: ۱۴۳
حدة سعد بن عبادة: ۱۴۳
أسید بن حضیر: ۱۴۴
فضیلة مکذوبة للزبیر: ۱۴۴
من الذی شاتم بنی قریظة؟! ۱۴۸
عمر عرف بأمر بنی قریظة: ۱۴۹
أحلاف عبادة بن الصامت: ۱۴۹
عریش جدید لأبی بکر: ۱۵۰
الفهارس ۱۵۰

اشارة ----- ۱۵۱
۱- الفهرس الإجمالی ----- ۱۵۱
۲- الفهرس التفصیلی ----- ۱۵۱
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۱۵۷

الصحیح من سیره النبی الاعظم(ص) المجلد۱۰

اشارهٔ

سرشناسه : عاملی، جعفر مرتضی، ۱۹۴۴- م.
عنوان و نام پدیدآور : الصحیح من سیره النبی الاعظم(ص)/ جعفرمرتضی العاملی
مشخصات نشر : سحرگاهان، ۱۴۱۹ق. = ۱۳۷۷.
مشخصات ظاهری : ج ۱۰
شابک : ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل)
وضعیت فهرست نویسی : فیپا
یادداشت : عربی.
یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است.
یادداشت : افست از روی چاپ بیروت: دار السیره
یادداشت : جلد دهم: الفهارس
یادداشت : کتابنامه
موضوع : محمد (ص)، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت -۱۱ق -- .سرگذشتنامه
موضوع : اسلام -- تاریخ -- از آغاز تا ۴۱ق.
رده بندی کنگره : BP۲۲/۹/ع۲ص۳ ۱۳۷۷
رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۳
شماره کتابشناسی ملی : م۷۷-۱۵۹۲۹

[تتمهٔ القسم السادس]

[تتمهٔ الباب السادس]

الفصل الثانی: حدث و تشریع

اشارهٔ

الصحیح من السیرهٔ النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج ۱۰،ص:۷

ماذا فی هذا الفصل؟!

إننا لاستكمال الحديث عن الأمور المرتبطة بغزوة ذات الرقاع نتحدث فى هذا الفصل عن عدة أمور بالترتيب التالى:

۱- إنهم يقولون: إن صلاة الخوف قد شرعت فى غزوة ذات الرقاع، و صلاها النبى «صلى اللّه عليه و آله» بأصحابه فيها، و هى أول صلاة خوف فى الإسلام.

و نحن نرى: أن ذلك غير سليم، و أن صلاة الخوف قد شرعت فى الحديبية، و هى قبل ذات الرقاع.

بل قد يقال: إنها قد شرعت قبل الحديبية أيضا.

۲- ثم نشير إلى الاختلافات الواردة فى كيفية صلاة الخوف.

۳- و نتحدث أيضا بإجمال عما يقال عن عدم صلاة الخوف فى غزوة الخندق، لأنها لم تكن شرعت آنئذ ..

۴- ثم نعقب ذلك بفلسفة تحليلية لتشريع صلاة الخوف فى حدود ما تسمح به المناسبة.

۵- ثم نتوجه إلى الحديث عن قصر الصلاة، حيث يقال: إن ذلك قد حدث فى غزوة ذات الرقاع أيضا.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۸

۶- ثم نستطرد فى الحديث إلى موضوع آخر يرتبط بقصر الصلاة، و هو ما اشترطته الآية للقصر، من كونه فى مورد خوف الفتنة، و ذلك من أجل بيان المراد من هذا الشرط، ثم المبرر لإدراجه فى الآية الشريفة.

۷- و لا ننسى أن نستطرد أيضا إلى موضوع قصر عثمان للصلاة فى منى و عرفات فى أيام الحج، و ما نشأ عن ذلك و ما انتهى إليه.

و نذكر أيضا: أعذارا و توجيهات لهذا الأمر لا يمكن أن تصح، و لا يصح الاعتماد عليها.

۸- ثم نختم الحديث عن هذا الموضوع بالإشارة إلى أن القصر فى السفر رخصة أم عزيمة؟ من أجل أن يتضح المقصود من آية القصر، حيث إن الحديث عن القصر فيها إنما هو بصيغة: ليس عليكم جناح أن تقصروا.

۹- و أما الحديث عن أن آية التيمم قد نزلت فى غزوة ذات الرقاع أيضا فنرجئه إلى الحديث عن غزوة المريسيع بعد الخندق، حيث يتم التعرض له هناك إن شاء اللّه تعالى ..

هذه خلاصة ما سوف نتحدث عنه فى هذا الفصل. و أنت ترى: أنه كله حديث عن تشريعات ادّعى أنها قد حصلت فى غزوة ذات الرقاع، ثم استطرادات مفيدة فى نطاق الحديث عن هذه التشريعات.

و نحن نرجو أن يكون فصلا مفيدا للقارئ و ممتعا له فى نفس الوقت ..

فإلى ما يلى من مطالب، و من اللّه نستمد العون و القوة، و عليه نتوكل ..

صلاة الخوف:

يقال: إن صلاة الخوف قد شرعت فى غزوة ذات الرقاع، حيث إنه

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۹

«صلى اللّه عليه و آله» فى هذه الغزوة واجه جمعا من الأعداء «فتقارب الجمعان، و لم يكن بينهما حرب. و قد خاف بعضهم بعضا، من غير أن يغيروا عليهم، فصلى بهم النبى «صلى اللّه عليه و آله» صلاة الخوف، ثم انصرف بالناس» «۱».

و هى أول صلاة خوف فى الإسلام «۲».

و نقول:

---

(۱) راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۴ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۴ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ قسم ۲ ص ۲۸ و ۲۹ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۷۱ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۲۰۰ و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۹۶ و السيرة النبوية لابن

كثير ج ۳ ص ۱۶۰ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۸۳ و راجع: صحيح البخارى ج ۳ ص ۲۴ و ۲۵ و راجع: الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۷۴ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۲۷ و أنساب الأشراف ج ۱ ص ۳۴۰ و راجع: طبقات ابن سعد ج ۲ ص ۶۱ و تفسير البرهان ج ۱ ص ۴۱۱ عن من لا يحضره الفقيه و الثقات ج ۱ ص ۲۵۸ و زاد المعاد ج ۱ ص ۱۱۰ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۱۴ و راجع: نصب الراية ج ۲ ص ۲۴۶ و ۲۴۷ و راجع صحيح مسلم (باب صلاة الخوف) ج ۲ ص ۲۱۴ و نهاية الأرب ج ۱۷ ص ۱۵۸ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۰۷ و الدر المنثور ج ۲ ص ۲۱۲ و ۲۱۳ عن أبى داود، و ابن حبان، و الحاكم و صححه و البيهقى، و عن مالك، و الشافعى، و ابن أبى شيبة، و عبد بن حميد، و البخارى و مسلم و الترمذى و النسائى و ابن ماجة و الدارقطنى.

(۲) حبيب السير ج ۱ ص ۳۵۷ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۲ ص ۶۱ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۰۷ و الجامع ص ۲۷۹ و راجع المصادر المتقدمة أيضا، فبعضها قد ذكر ذلك و نصب الراية ج ۲ ص ۲۴۸ و ۲۴۹ عن الواقدى و غيره.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۱۰

إننا نسجل هنا ما يلى:

۱- قولهم: إنها أول صلاة خوف صليت فى الإسلام لا تؤيده الروايات على اختلافها؛ فقد ذكروا- و إن كنا قد رددنا ذلك فيما يأتى-: أن صلاة الخوف إنما شرعت فى غزوة بنى النضير «۱» و هى قبل غزوة ذات الرقاع قطعا.

۲- و من جهة أخرى ثمة روايات تقول: إن آيات صلاة الخوف قد نزلت فى غزوة عسفان، فصلى بهم النبى «صلى اللّه عليه و آله» صلاة الخوف.

و فى رواية الترمذى و ابن جرير: أن جبرئيل هو الذى علّم النبى «صلى اللّه عليه و آله» كيف يصليها، و ذلك بين ضجنان، و عسفان. و عسفان كانت بعد الخندق «۲».

---

(۱) راجع هذا القول فى: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۴ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۷۱ و التنبيه و الإشراف ص ۲۱۴ و حبيب السير ج ۱ ص ۳۵۷ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۱۵ و نهاية الأرب ج ۱۷ ص ۱۵۹ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۳۷۰ و صحيح البخارى ج ۳ ص ۲۳ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۲۵ و بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۳۲.

(۲) الدر المنثور ج ۲ ص ۲۱۱ و ۲۱۳ عن المصادر التالية: عبد الرزاق، و سعيد بن منصور، و ابن أبى شيبة، و أحمد، و أبى داود، و عبد بن حميد، و النسائى، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، و الدار قطنى، و الطبرانى، و الحاكم، و صححه، و البيهقى، و الترمذى، و ابن جرير. و عن البزار عن ابن عباس، و عن أبى عياش الزرقى، و أبى هريرة، و مجاهد و فتح البارى ج ۷ ص ۳۲۷ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۷۱-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۱۱

۳- و سأل سليمان اليشكرى جابر بن عبد اللّه عن إقصار الصلاة أى يوم أنزل؟.

فقال جابر بن عبد اللّه: و عير قريش آتية من الشام، حتى إذا كنا بنخل ..

ثم ذكر ما جرى، و صلاة النبى «صلى اللّه عليه و آله» بهم صلاة الخوف، ثم قال: فأنزل اللّه فى إقصار الصلاة «۱».

و لكن قال ياقوت: «إن نخلا موضع بنجد، من أرض غطفان مذكور فى غزاة ذات الرقاع» «۲».

و عن السمهودى، أنه قال: «حتى نزل نخلا، و هى غزوة ذات الرقاع» «۳».

و قال السمهودى أيضا: «و كأن أبا حاتم رأى اتحادهما، فلم يذكر ذات

- و نصب الرايـة ج ۲ ص ۲۴۸ و مسـند أحمد ج ۴ ص ۵۹ و فى هـامش نصب الرايـة عن سـنن أبى داود ج ۲ ص ۱۱ و ۱۲ و سنن البيهقى ج ۳ ص ۲۵۷ و راجع: سنن النسائى ج ۳ ص ۱۷۴ و الجامع الصحيح ج ۵ ص ۲۴۳ و المصنف للصنعانى ج ۲ ص ۵۰۴ و ۵۰۵ و جامع البيان ج ۵ ص ۱۵۶ و سنن الدار قطنى ج ۲ ص ۵۹ و مستدرك الحاكم ج ۱ ص ۳۳۷ و كشف الأستار عن مسند البزار ج ۱ ص ۳۲۶.

(۱) الدر المنثور ج ۲ ص ۲۱۱ عن عبـد بن حميد، و ابن جرير، و جامع البيان و بغية الألمعى (مطبوع مع نصب الراية) ج ۲ ص ۲۴۸ و سنن النسائى ج ۳ ص ۱۷۶.

(۲) معجم البلدان (ط دار الكتب العلمية) ج ۵ ص ۳۲۰.

(۳) بغية الألمعى (مطبوع بهامش نصب الراية) ج ۲ ص ۲۴۸ عن وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۸۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۱۲

الرقاع، و هى بنخل عند بعضهم، فلذلك لم يذكرها أيضا» «۱».

و نقول: إن هـذا اشـتباه واضـح، فإن نخلا إذا كانت بنجـد لم يكن ثمـة مناسـبة بينها و بين عير قريش الآتيـة من الشام، فالمراد إذن هو النخل التى من جهة الشام دون سواها.

۴- و عن مجاهد أنه قال: بالنسـبة لصـلاة الخوف فى عسفان: «فلم يصل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» صلاة الخوف قبل يومه، و لا بعده» «۲».

۵- عن جابر قال: غزا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ست غزوات قبل صلاة الخوف، و كانت صلاة الخوف فى السنة السابعة «۳».

فالقول بأنها فى ذات الرقاع، و ذات الرقاع فى السنة الرابعة، لا يصح.

الرواية الأقرب إلى القبول:

و المعتمـد عنـدنا فى هذا المجال هو: الرواية التى رواها على بن إبراهيم عن أبيه، عن ابن أبى عمير، عن الإمام الصادق «عليه السـلام»: «فإنها نزلت لما خرج رسول اللّه «صـلى اللّه عليه و آله» إلى الحديبيـة، يريـد مكـة، فلما وقع الخبر إلى قريش بعثوا خالـد بن الوليد فى ماءتى فارس كمينا يستقبل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» [فكان يعارض رسول اللّه] على الجبال.

فلما كان فى بعض الطريق، و حضرت صلاة الظهر، فأذن بلال، فصلى

---

(۱) وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۸۰.

(۲) الدر المنثور ج ۲ ص ۲۱۴ عن ابن أبى شيبة، و ابن جرير، و راجع جامع البيان ج ۵ ص ۱۵۶.

(۳) مسند أحمد ج ۳ ص ۳۴۸ و الدر المنثور ج ۲ ص ۲۱۴ عنه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۱۳

رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بالناس.

فقال خالد بن الوليد: لو كنا حملنا عليهم و هم فى الصـلاة لأصـبناهم، فإنهم لا يقطعون صـلاتهم، و لكن تجىء لهم الآن صلاة أخرى هى أحب إليهم من ضياع أبصارهم، فإذا دخلوا فى الصلاة أغرنا عليهم.

فنزل جبرئيل «عليه السلام» على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بصلاة الخوف فى قوله: وَ إِذا كُنْتَ فِيهِمْ .. «۱».

و لا يعارض ذلك ما رواه ابن بابويه فى الفقيه بسند صحيح إلى عبد الرحمن بن أبى عبد اللّه: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد صلى بأصـحابه صلاة الخوف فى ذات الرقاع؛ فإن هذه الرواية ليس فيها: أن جبرئيل قد نزل بصلاة الخوف آنئذ، و لا أن الآية قد نزلت أيضا

فى غزوة ذات الرقاع.

و إن كان الإمام «عليه السلام» بعد أن ذكر كيفية صلاته «صلى اللّه عليه و آله» بأصحابه صلاة الخوف، قد أورد الآية، مظهرا بذلك موافقة فعل النبى «صلى اللّه عليه و آله» لمضمونها، فراجع «۲».

فتشريع صلاة الخوف قد كان فى الحديبية التى كانت فى سنة ست ثم صلاها «صلى اللّه عليه و آله» مرة أخرى بأصحابه فى غزوة ذات الرقاع، التى كانت فى السنة السابعة حسبما قدمنا.

---

(۱) البرهان فى تفسير القرآن ج ۱ ص ۴۱۱.

(۲) البرهان فى تفسير القرآن ج ۱ ص ۴۱۱ و من لا يحضره الفقيه (ط مؤسسة النشر الإسلامى) ج ۱ ص ۴۶۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۱۴

كيفية صلاة الخوف:

قد اختلفت رواياتهم فى كيفية صلاة الخوف التى صلاها رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى مغازيه، حتى ليقول البعض:

«قد رويت صلاة الخوف على ست عشرة صورة كلها سائغ فعله» «۱».

و قال آخر: «و وراء ذلك من الكيفيات المتباينات، و الخلافات المتعددات بحسب اختلاف الروايات، ما يطول ذكره، و يعز حصره» «۲».

و قد أغنانا ذلك عن ذكر التناقضات الكثيرة و الاختلافات الفاحشة بين الروايات المختلفة.

و الحل الأمثل: هو الرجوع إلى أهل بيت النبوة، و معدن الرسالة، فإنهم هم أحد الثقلين اللذين لن يضل من تمسك بهما، و هم سفينة نوح، من ركبها نجا و من تخلف عنها غرق و هوى.

و قد ذكروا: أن صلاة الخوف فى ذات الرقاع كانت قصرا «۳».

صلاة الخوف فى غزوة الخندق:

و قد زعم البعض: أن صلاة الخوف لم تكن شرعت فى غزوة الخندق، و إلا لكان صلاها حينئذ، لأنهم حبسوه عن صلاة الظهرين و العشاءين

---

(۱) سيرة مغلطاى ص ۵۳ و ۵۴ و راجع: الروض الأنف ج ۳ ص ۲۵۳ و شرح بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۳۴ و راجع: التنبيه و الإشراف ص ۲۱۴ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۲۷.

(۲) بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۳۳.

(۳) البرهان فى تفسير القرآن ج ۱ ص ۴۱۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۱۵

فصلاهن جميعا، و ذلك قبل نزول صلاة الخوف «۱».

و نقول:

إن هذا الاستدلال لا يصح: إذ لعل العدو كان فى جهة القبلة فصلاها المسلمون إيماء أو كان الوضع الحربى لا يسمح بالصلاة جماعة

بسبب تلاحم المقاتلين، و المناوشة بينهم، حيث يكفى فى هذه الحالة التهليل و التسبيح، و التحميد، و الدعاء، كما حدث فى صفين ليلة الهرير «۲».

و سيأتى: عدم صحة ما يذكرون حول هذا الأمر فى موضعه إن شاء اللّه تعالى ..

صلاة الخوف لماذا؟!:

و لربما يراود ذهن البعض سؤال: عن السبب فى الإصرار على الصلاة جماعة حتى فى حال الحرب، إذ أن بالإمكان أن يصلى المسلمون فرادى متفرقين، مع الاحتفاظ بمواجهة العدو بالكثرة العددية فى ساحة القتال. خصوصا مع اتساع الوقت لأداء الصلاة بصورة متوالية من العناصر، بحيث لا يخل ذلك بالحالة التى يتخذونها تجاه العدو بهدف إرهاقه، أو دفع شره.

و للإجابة على هذا السؤال: لا بد لنا من الإشارة إلى أن هذا أمر مقصود للّه عزوجل، لأنه يمثل مطلبا أساسيا فى أكثر من اتجاه.

فهو من جهة يمثل إصرار المسلمين على الجهر بمعتقداتهم، و ممارسة

---

(۱) راجع: زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۱ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۷۰ و راجع: فتح البارى ج ۷ ص ۳۲۷.

(۲) البرهان ج ۱ ص ۴۱۱ و ۴۱۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۱۶

حقهم بحرية التعبير عنها، و حرية ممارسة شعائرهم الدينية. رضى الناس ذلك أم أبوا.

كما أنه يمثل إظهارا للالتزام بالقيادة المثلى، و الاقتداء بها، و التلاقى عليها و معها لتكون رمز وحدة الأمة، من خلال وحدة الهدف، ثم وحدة الموقف، و انتهاء بوحدة المصير.

و من جهة أخرى: فإن هذا المظهر العبادى الوحدوى التنظيمى و وحدة الشعار، لا بد أن يثير لدى الأعداء أكثر من سؤال يرتبط بالموقف السياسى و العسكرى، الذى يتخذه ذلك العدو، و يتحرك و يتعامل معهم على أساسه و من خلاله، حتى إذا ما راجع حساباته فى هذا السبيل، فلسوف يجد أنه لم يكن منطقيا، و لا منصفا فى عدائه لهم، و لا فى مواقفه منهم، التى اتخذها انطلاقا من عدم قناعته بما اقتنعوا به، أو فقل: من عدم قبوله بما هم عليه. فهل عدم اقتناع شخص بأفكار، و معتقدات، و قناعات، شخص آخر، يعطيه الحق فى تدمير ذلك الشخص و استئصاله من الوجود؟! ..

و هل إذا قال هؤلاء: ربنا اللّه، و ليس الصنم الفلانى، يستحقون أن يواجهوا بالحرب و بالحرمان و بالقطيعة، و بجميع أشكال الاضطهاد و التنكيل؟!.

إن صلاة الخوف هذه لسوف تقنع هذا العدو بالذات أن ما يحاربهم من أجله، و يصرون هم عليه، إنما يعنيهم هم أولا و بالذات، و ليس له هو حق فى اتخاذ أى موقف سلبى منهم لأجل أمر يخصهم و يرجع إليهم، ف لا- إِكْراهَ فِى الدِّينِ «۱» فإن الدين يقوم على أساس القناعات و على أساس

---

(۱) الآية ۲۵۶ من سورة البقرة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۱۷

المشاعر، و عقد القلب، و إحساسه بالأمن، و استشعاره الإيمان.

و لا يمكن أن يفرض هذا على أحد، و لا يتحقق الإكراه فيه.

و لا يملك أحد أن يصادر حرية الآخرين فى أن يعتقدوا ما شاؤوا، و لا يمكنه أن يمنعهم من ممارسة كثير مما يريدون ممارسته.

بل إن هذا يخضع للمنطق و للبرهان و للدليل أولا- مع إعطاء دور رئيس لتكوّن عامل الثقة، و الصراحة و الصدق و الإنصاف، و الحرية، و غير ذلك مما هو ضرورى فى مجال التحرك الواعى و المسؤول فى مجال الدعوة لتحقيق الاستجابة الحقيقية و الواعية و المسؤولة.

فصلاة الخوف شعار، و موقف، و بلاغ، و دعوة، و تصميم، و وحدة، و خلوص، و التفاف حول القيادة، و تربية، و تعليم، و تحد، ثم هى حرب نفسية و سلاح قاطع.

و ليس ثمة رسالة أبلغ منها للعدو، ليعرف أن هؤلاء الناس قد بلغوا من إصرارهم على مواقفهم، و تمسكهم بمبادئهم، و فنائهم فيها، حدا يجعلهم يرون قضيتهم، و دينهم و دعوتهم، هى الأهم من كل شىء، و أن حياتهم، و كل شىء يملكونه لا بد أن يكون لها و من أجلها، و فى سبيلها، و هم يمارسون ذلك عملا، و يقدمون على البذل و العطاء فى سبيله، بكل رضا و محبة، و صفاء و سخاء.

و من جهة ثانية: إن ذلك يؤكد للإنسان المسلم مدى أهمية الصلاة، حتى إنها لا تترك بحال، حتى للغريق المشرف على التلف، و حتى للمقاتل الذى يواجه الأخطار الكبرى على حياته و وجوده ..

و تأتى الصلاة فى هذه الحال بالذات- حال الخوف- لتربط الإنسان

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۸

بمصدر الأمن، و السلام، و الطمأنينة للقلوب، و انسجام المشاعر و تلاقيها، ليعيش الإنسان فى الآفاق الملكوتية روح الطهر و الخلوص، ليصبح قادرا على التخلص مما يربطه بهذه الدنيا، و يشده إلى الأرض ليخلد إليها، و يحجبه ذلك عن مصدر القدرة، و عن الانطلاق فى رحابه، و فى آفاق ملكوته، و معاينة آلائه، و تلمسها، و التصديق بها.

قصر الصلاة:

و قالوا: إن الصلاة قد قصرت فى غزوة ذات الرقاع «۱» حيث نزل قوله تعالى: وَ إِذا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكافِرِينَ كانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِيناً «۲».

و نقول:

إن الكلام هنا فى عدة جهات، نذكر منها ما يلى:

۱- تاريخ قصر الصلاة:

إن القول: بأن ذلك كان فى غزوة ذات الرقاع، تقابله الرواية التى تقول: إن ذلك قد كان فى غزوة عسفان.

فقد روى: «عن مجاهد، فى قوله: فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۴ و اكتفى فى السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۷۸ بالقول: بأن قصر الصلاة كان فى الرابعة.

(۲) الآية ۱۰۱ من سورة النساء.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۹

الصَّلاةَ* «۱»، قال: أنزلت يوم كان النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و المشركون بضجنان، فتوافقوا فصلى النبى «صلى اللّه عليه و آله» بأصحابه صلاة الظهر أربعا، ركوعهم و سجودهم، و قيامهم معا جمعا. فهمّ بهم المشركون أن يغيروا على أمتعتهم، و أثقالهم، فأنزل اللّه: فَلْتَقُمْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ «۲».

فصلى العصر، فصف أصحابه صفين ثم كبر بهم جميعا، ثم سجد الأولون لسجوده، و الآخرون قيام لم يسجدوا حتى قام النبى «صلى اللّه عليه و آله» ثم كبر بهم و ركعوا جميعا، فتقدم الصف الآخر، واستأخر الصف المتقدم، فتعاقبوا السجود كما فعلوا أول مرة، و قصر العصر إلى ركعتين» «۳».

و نقول:

إن هذه الرواية صريحة فى أن آية قصر الصلاة قد نزلت بعد أو حين تشريع صلاة الخوف، و ثمة روايات أخرى يظهر منها أنهم يتحدثون عن آية القصر و يقصدون منها صلاة الخوف فقط «۴»، و لعل هذا قد نشأ عن كونهما قد نزلتا فى زمان واحد.

---

(۱) الآية ۱۹۸ من سورة البقرة.

(۲) الآية ۱۰۲ من سورة النساء.

(۳) الدر المنثور ج ۲ ص ۲۱۰ عن عبد الرزاق، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، و جامع البيان ج ۵ ص ۱۵۶ و المصنف ج ۲ ص ۵۰۴.

(۴) راجع: الدر المنثور ج ۲ ص ۲۱۰ عن عبد الرزاق عن طاووس، و ابن جرير، و ابن أبى حاتم عن السدى و المصنف ج ۲ ص ۵۱۷ و غيرها و جامع البيان ج ۵ ص ۱۵۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص: ۲۰

و قد تقدم: أن صلاة الخوف قد شرعت فى الحديبية، ثم صلاها النبى «صلى اللّه عليه و آله» فى ذات الرقاع، التى كانت بعدها، فمعنى ذلك: أن قصر الصلاة قد شرع فى الحديبية أيضا، أو بعدها و ذلك واضح لا يحتاج إلى بيان.

لكن ثمة رواية تقول: إن نزول الآية، و تشريع صلاة القصر قد كان قبل نزول آية صلاة الخوف بسنة؛ فشرع القصر على لسان رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، حين سأله تجار يضربون فى الأرض عن كيفية صلاتهم، فراجع «۱».

فيكون تشريع القصر، قبل غزوة الحديبية بسنة!

القصر فى حالتى الأمن و الخوف:

و من الأمور التى تساءل بعض الناس عنها هو: أن آية القصر إنما تتحدث عن إيجاب القصر بشرط خوف الفتنة من قبل الذين كفروا، مع أن القصر ثابت مع خوف الفتنة و بدونه.

و قد حاول البعض الهروب من هذا الإشكال بدعوى: أن القصر لم يذكر فى القرآن أصلا «۲».

---

(۱) الدر المنثور ج ۲ ص ۲۰۹ و جامع البيان ج ۵ ص ۱۵۵ عن على «عليه السلام»، و بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۲۸.

(۲) سنن النسائى ج ۳ ص ۱۱۷ و سنن البيهقى ج ۳ ص ۱۳۶ و سنن ابن ماجة ج ۱ ص ۳۳۹ و مجمع البيان ج ۵ ص ۱۳۶ و الدر المنثور ج ۲ ص ۲۰۹ و ۲۱۰ عنهم و عن عبد بن حميد، و ابن حبان، و ابن أبى حاتم. و الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان ج ۶ ص ۴۴۴ و المستدرك على الصحيحين ج ۱ ص ۲۵۸ و الموطأ (المطبوع مع تنوير الحوالك) ج ۱ ص ۱۶۲ و المصنف للصنعانى ج ۲ ص ۵۱۸ و مسند أحمد بن حنبل ج ۲ ص ۶۵ و ۶۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص: ۲۱

و بعض آخر: كعائشة، و سعد بن أبى وقاص، ادعوا: أن الواجب هو القصر فى حال الخوف فقط، أما فى حال الأمن، فكانا يتمان فى السفر «۱».

و روى عن عائشة خلاف ذلك أيضا «۲».

و قد يحلو للبعض أن يدعى: أن القرآن قد نسخ بالسنة، حيث إن القرآن نص على القصر فى حالة الخوف، ثم نسخ ذلك بقول النبى «صلى اللّه عليه و آله»، حيث جعله «صلى اللّه عليه و آله» فى مطلق السفر «۳».

إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه.

و نقول:

إن مجرد كون القرآن قد نص على القصر فى مورد خوف الفتنة، ثم جاء تعميم ذلك إلى مطلق السفر على لسان النبى «صلى اللّه عليه و آله»، لا- يوجب اعتبار ذلك من قبيل نسخ القرآن بالسنة، إذ قد يكون القرآن قد ذكر لهم ما كان محلا لابتلائهم، أو أورد ذلك مورد الغالب؛ فإذا كان القرآن قد

---

(۱) راجع: الدر المنثور ج ۲ ص ۱۱۰ عن ابن جرير، و ابن أبى حاتم، و عبد الرزاق، و نصب الراية ج ۲ ص ۱۱۸ و ۱۸۹ و نيل الأوطار ج ۳ ص ۲۴۹ و راجع: الجامع الصحيح ج ۲ ص ۴۳۰ و عن عائشة فى المصنف للصنعانى ج ۲ ص ۵۱۵ و راجع أيضا: الأم ج ۱ ص ۱۵۹.

(۲) راجع: الأم ج ۱ ص ۱۵۹ و صحيح مسلم ج ۲ ص ۱۴۲ و ۱۴۳ و المصنف للصنعانى ج ۲ ص ۵۱۵ و الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان ج ۶ ص ۴۴۶ و ۴۴۷ و الدر المنثور ج ۲ ص ۲۱۰ عن بعض من تقدم و عن البخارى، و مالك، و عبد بن حميد، و أحمد، البيهقى فى سننه.

(۳) راجع: بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۲۷ و ۲۲۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۲

بيّن قسما مما يجب فيه القصر، ثم بينت السنة باقى الموارد، فليس ذلك من قبيل النسخ، بل هو إما من باب إلقاء الخصوصية، أو من باب التعميم، و التتميم، إذ ليس فيه إلغاء للحكم الثابت بالقرآن.

و قد أشارت الروايات إلى ذلك أيضا، فقد روى: أن يعلى بن أمية قال لعمر بن الخطاب: ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا، و قد أمن الناس.

فقال له عمر: عجبت مما عجبت منه، فسألت رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» عن ذلك؛ فقال: صدقة تصدق اللّه عليكم، فاقبلوا صدقته «۱».

و عن أبى العالية، قال: «سافرت إلى مكة، فكنت أصلى بين مكة و المدينة ركعتين، فلقينى قراء أهل هذه الناحية، فقالوا: كيف تصلى؟!

---

(۱) الدر المنثور ج ۲ ص ۲۰۹ عن ابن أبى شيبة، و عبد بن حميد، و أحمد و مسلم و النسائى و أبى داود، و الترمذى، و ابن ماجة، و ابن الجارود، و ابن خزيمة، و الطحاوى، و ابن جرير ج ۵ ص ۱۵۴ و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، و النحاس فى ناسخه، و الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان ج ۶ ص ۴۴۸ و ۴۵۰ و نصب الراية ج ۲ ص ۱۹۰ و صحيح مسلم (باب صلاة المسافر)، ج ۲ ص ۱۴۳ و سنن أبى داود ج ۲ ص ۳ و سنن ابن ماجة ج ۱ ص ۱۷۶ و مسند أحمد ج ۱ ص ۲۵ و ۳۶ و سنن النسائى ج ۳ ص ۱۱۶ و ۱۱۷ و الجامع الصحيح (كتاب التفسير) ج ۵ ص ۲۴۲ و ۲۴۳ و بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۲۷ و ۲۲۸ و سنن البيهقى ج ۳ ص ۱۳۴ و ۱۴۰ و ۱۴۱ و سنن الدارمى ج ۱ ص ۳۵۴ و مصابيح السنة ج ۱ ص ۴۶۰ و شرح معانى الآثار ج ۱ ص ۴۱۵ و المصنف ج ۲ ص ۵۱۷ و الأم ج ۱ ص ۱۵۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۳

قلت: ركعتين.

قالوا: أسنة أو قرآن؟!

قلت: كل ذلك سنة و قرآن. صلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ركعتين.

قالوا: إنه كان فى حرب.

قلت: قال اللّه: لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَ مُقَصِّرِينَ لا تَخافُونَ «۱».

و قال: وَ إِذا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ «۲» فقرأ حتى بلغ: فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ «۳»» «۴».

إتمام عثمان للصلاة فى منى و عرفات:

و من الأمور التى طعن بها الصحابة و المسلمون على عثمان بن عفان «۵»:

أنه أتم الصلاة بمنى و بعرفات، فخالف بذلك رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، الذى قصر الصلاة فيهما، و كذلك أبو بكر و عمر، و عثمان نفسه عدة

---

(۱) الآية ۲۷ من سورة الفتح.

(۲) الآية ۱۹۸ من سورة البقرة.

(۳) الآية ۱۰۳ من سورة النساء.

(۴) جامع البيان (ط دار الفكر) ج ۵ ص ۳۳۰ و الدر المنثور ج ۲ ص ۲۰۹ عنه و الأم ج ۱ ص ۱۵۹ و نيل الأوطار ج ۳ ص ۲۴۷.

(۵) تاريخ الأمم و الملوك ج ۳ ص ۳۲۲ و أنساب الأشراف ج ۵ ص ۳۹ و أحكام القرآن للجصاص ج ۲ ص ۲۵۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۴

سنوات أيام خلافته «۱».

الصامدون و المتزلفون:

و قد كان ابن عمر بعد أن يتم خلف عثمان، يعيد صلاته بعد أن يرجع إلى بيته «۲» أما ابن مسعود الذى اعترض على عثمان، لفعله ذاك، فإنه عاد فصار يصلى أربعا، بحجة أن الخلاف شر «۳» و كذلك تماما كان من عبد

---

(۱) راجع: صحيح البخارى ج ۱ ص ۱۲۶ و ۱۸۹ و صحيح مسلم ج ۲ ص ۱۴۵ و ۱۴۶ و الموطأ (مطبوع مع تنوير الحوالك) ج ۱ ص ۳۱۴ و الكامل لابن الأثير ج ۳ ص ۱۰۳ و نصب الراية ج ۲ ص ۱۹۲ و ۱۸۷ و سنن النسائى ج ۳ ص ۱۲۰ و ۱۱۸ و مسند أحمد ج ۱ ص ۳۷۸ و ج ۲ ص ۱۴۸ و المصنف للصنعانى ج ۲ ص ۵۱۶ و ۵۱۸ و سنن البيهقى ج ۳ ص ۱۳۶ و ۱۲۶ و ۱۴۴ و ۱۵۳ و سنن أبى داود ج ۲ ص ۱۹۹ و الأم ج ۷ ص ۱۷۵ و ج ۱ ص ۱۵۹ و نيل الأوطار ج ۳ ص ۲۴۹ و المحلى ج ۴ ص ۲۷۰.

و راجع: الجامع الصحيح ج ۲ ص ۲۲۸ و ۲۳۰ و ج ۳ ص ۲۲۹ و كنز العمال ج ۸ ص ۱۵۱ و ۱۵۲ و البداية و النهاية ج ۷ ص ۱۵۴ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۳ ص ۳۲۲ و سنن الدارمى ج ۱ ص ۳۵۴ و ج ۲ ص ۵۵ و ۵۶ و أنساب الأشراف ج ۵ ص ۳۹، و الكامل فى

التاريخ ج ۳ ص ۱۰۳ و الغدير ج ۸ ص ۹۹ فما بعدها.

(۲) المحلى ج ۴ ص ۲۷۰ و الموطأ (مطبوع مع تنوير الحوالك) ج ۱ ص ۱۶۴.

(۳) الأم ج ۱ ص ۱۵۹ و ج ۷ ص ۱۷۵ و سنن البيهقى ج ۳ ص ۱۴۴ و الغدير ج ۸ ص ۱۰۰ عنهم و صحيح البخارى ج ۱ ص ۱۲۶ و البداية و النهاية ج ۷ ص ۱۵۴ و المصنف ج ۲ ص ۵۱۶ و الكامل فى التاريخ ج ۳ ص ۱۰۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۵

الرحمن بن عوف، فإنه ناقش عثمان أولا، ثم تابعه و عمل بعمله أخيرا «۱».

و لكن عليا أمير المؤمنين «عليه السلام» وحده الذى أصر على الرفض، فقد روى عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: اعتل عثمان و هو بمنى، فأتى على، فقيل له: صل بالناس.

فقال: إن شئتم صليت لكم صلاة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، يعنى ركعتين.

قالوا: لا، إلا صلاة أمير المؤمنين- يعنى- عثمان- أربعا. فأبى «۲».

معاوية و الأمويون، و سنة عثمان:

و لكن معاوية حين قدم حاجا صلى الظهر ركعتين، فجاءه مروان بن الحكم، و عمرو بن عثمان فقالا له: «ما عاب أحد ابن عمك بأقبح مما عبته به.

فقال لهما: و ما ذاك؟!

قالا: له: ألم تعلم أنه أتم الصلاة بمكة؟

قال: فقال لهما: ويحكما، و هل كان غير ما صنعت؟ قد صليتهما مع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و مع أبى بكر، و عمر.

قالا: فإن ابن عمك قد أتمها، و إن خلافك إياه له عيب.

---

(۱) تاريخ الأمم و الملوك ج ۳ ص ۳۰۲ و أنساب الأشراف ج ۵ ص ۳۹ و الكامل فى التاريخ ج ۳ ص ۱۰۳ و البداية و النهاية ج ۷ ص ۱۵۴ و راجع: العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ قسم ۲ ص ۱۴۰ و الغدير ج ۸ ص ۹۸- ۱۰۲ عنهم.

(۲) المحلى ج ۴ ص ۲۷۰ و حاشية ابن التركمانى على سنن البيهقى مطبوعة بهامش السنن ج ۳ ص ۱۴۴، و الغدير ج ۸ ص ۱۰۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۶

قال: فخرج معاوية إلى العصر، فصلاها بنا أربعا» «۱».

و قال ابن عباس، بعد أن ذكر صلاة عثمان شطرا من خلافته قصرا: «ثم صلاها أربعا، ثم أخذ بها بنو أمية» «۲».

أعذار لا تصح:

قد ذكروا أعذارا كثيرة للخليفة، و نحن نختار منها نموذجا، و نحيل القارئ فى الباقى إلى المصادر فنقول:

۱- لقد اعتذر الخليفة نفسه بأنه إنما فعل ذلك لأنه تأهل بمكة لما قدمها «۳».

و قال العسقلانى: «هذا الحديث لا يصح لأنه منقطع، و فى رواته من لا يحتج به، و يرده الخ ..» «۴».

و يرده أيضا: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» كان يسافر بزوجاته، و يقصر «۵».

---

(۱) مسند أحمد ج ۴ ص ۹۴ و مجمع الزوائد ج ۲ ص ۱۵۶ و عن أحمد و الطبرانى، و قال:

رجال أحمد موثقون.

(۲) الغدير ج ۸ ص ۱۰۱ و كنز العمال ج ۸ ص ۱۵۴ عن عبد الرزاق و الدارقطنى.

(۳) فتح البارى ج ۲ ص ۴۷۰ عن أحمد و البيهقى و مسند أحمد ج ۱ ص ۶۲ و أنساب الأشراف ج ۵ ص ۳۹ و مجمع الزوائد ج ۲ ص ۱۵۶ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۳ ص ۳۲۲ و البداية و النهاية ج ۷ ص ۱۵۴ و الكامل فى التاريخ ج ۳ ص ۱۰۳ و زاد المعاد ج ۱ ص ۱۲۹ و فيه: أنه كان قد تأهل بمنى، و أحكام القرآن ج ۲ ص ۲۵۴.

(۴) فتح البارى ج ۲ ص ۴۷۰.

(۵) راجع المصدر السابق.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۷

و قال العلامة الأمينى: «ما المسوغ له ذلك، و قد دخل مكة محرما؟

و كيف يشيع المنكر، و يقول: تأهلت بمكة مذ قدمت؟ و لم يكن متمتعا بالعمرة- لأنه لم يكن يبيح ذلك أخذا برأى من حرمها كما يأتى تفصيله- حتى يقال: إنه تأهل بين الإحرامين، بعد قضاء نسك العمرة، فهو لم يزل كان محرما من مسجد الشجرة، حتى أحل بعد تمام النسك بمنى» ..

إلى أن قال: «و قد صح من طريق عثمان نفسه عن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» من قوله: «لا ينكح المحرم، و لا ينكح، و لا يخطب» «۱».

ثم ذكر «رحمه اللّه» نصوصا أخرى: حول عدم جواز التزوج حال الإحرام فلتراجع «۲».

هذا بالإضافة: إلى أنه لا معنى للحكم بالإتمام للمسافر إذا تزوج امرأة فى بلد ما لأن المرأة هى التابعة للرجل و ليس العكس.

و لو كان حكم عثمان الإتمام لأنه تزوج امرأة هناك، فلماذا يتم سائر الناس الذين يأتمون به؟! و لماذا يصر على على «عليه السلام» بالإتمام حينما أراده على الصلاة مكانه؟!

و لماذا يصرون على معاوية بالعمل بسنة عثمان، ثم يستمر بنو أمية على

---

(۱) ذكر فى الغدير ج ۸ ص ۱۰۴، المصادر التالية: الموطأ ج ۱ ص ۳۲۱ و فى طبعة أخرى ۲۵۴ و الأم ج ۵ ص ۱۶۰ و مسند أحمد ج ۱ ص ۵۷ و ۶۴ و ۶۵ و ۶۸ و ۷۳ و صحيح مسلم ج ۱ ص ۹۳۵ و سنن الدارمى ج ۲ ص ۳۸ و سنن أبى داود ج ۱ ص ۲۹۰ و سنن ابن ماجة ج ۱ ص ۶۰۶ و سنن النسائى ج ۵ ص ۱۹۲ و سنن البيهقى ج ۵ ص ۶۵ و ۶۶.

(۲) الغدير ج ۸ ص ۱۰۴ و ۱۰۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۸

ذلك؟!

و لماذا يصلى ابن مسعود و عبد الرحمن بن عوف بأصحابه تماما، لأن الخلاف شر؟!

و لماذا؟. و لماذا؟! ..

۲- و ثمة عذر آخر، و هو أنه إنما أتم فى منى و عرفة، لأنه كان له مال بالطائف «۱».

و هو اعتذار لا يصح أيضا، لأن وجود ملك أو دار فى مكة فضلا عن الطائف لا يوجب الإتمام. و قد قصر الصحابة الذين حجوا مع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و لم يأمرهم النبى «صلى اللّه عليه و آله» بالإتمام، و لا أتموا بعد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» «۲».

هذا بالإضافة إلى أن الذين ائتموا به لم يكن كلهم لهم أملاك هناك.

و لماذا يصر هو على على «عليه السلام»، و يصر بنو أمية على الإتمام بعد ذلك؟! و لماذا؟! و لماذا؟!

۳- و اعتذر أيضا بأنه خاف أن يظن أهل اليمن و الأعراب المقيمون:

أن الصلاة للمقيم ركعتان «۳».

---

(۱) أنساب الأشراف ج ۵ ص ۳۹ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۳ ص ۳۲۲ و الكامل فى التاريخ ج ۳ ص ۱۰۳ و البداية و النهاية ج ۷ ص ۱۵۴ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ قسم ۲ ص ۱۴۰ و سنن أبى داود ج ۲ ص ۱۹۹.

(۲) الأم ج ۱ ص ۱۶۵ و سنن البيهقى ج ۳ ص ۱۵۳.

(۳) راجع: أنساب الأشراف ج ۵ ص ۳۹ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۳ ص ۳۲۲ و زاد المعاد ج ۱ ص ۱۲۹ و البداية و النهاية ج ۷ ص ۱۵۴ و الكامل فى التاريخ ج ۳-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۹

و لكن هذا العذر غير مقبول أيضا، إذ قد كان يمكن تعليم الناس على الحكم الشرعى بأسلوب آخر.

كما أن هذا الفعل قد يوجب أن يظن أهل اليمن، و الأعراب: أن الصلاة فى السفر أربع ركعات.

أضف إلى ذلك: أن رسول اللّه لم يفكر فى تعليم الناس بهذه الطريقة، مع أنه كان يوجد فى زمنه أعراب، و كان أهل اليمن يحجون فى عهد أسلاف عثمان أيضا.

و قد قال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لأهل مكة، بعد أن صلى ركعتين: «أتموا الصلاة يا أهل مكة فإنا سفر أو قال: يا أهل البلد صلوا أربعا فإنا سفر» «۱».

و روى أن عمر أيضا كان يفعل و يقول ذلك فراجع «۲».

۴- إن منى أصبحت قرية و صار فيها منازل، فتأول عثمان أن القصر إنما هو فى حال السفر «۳».

- ص ۱۰۳ و سنن أبى داود ج ۲ ص ۲۰۰ و سنن البيهقى ج ۳ ص ۱۴۴ و نيل الأوطار ج ۲ ص ۲۶۰ و كنز العمال ج ۸ ص ۱۵۲ عن البيهقى و ابن عساكر و الغدير ج ۸ ص ۱۰۰ و المصنف ج ۲ ص ۵۱۸.

(۱) سنن البيهقى ج ۳ ص ۱۳۶ و ۱۵۷ و أحكام القرآن للجصاص ج ۲ ص ۲۵۴.

(۲) سنن البيهقى ج ۳ ص ۱۲۶ و المحلى ج ۵ ص ۱۸ و الموطأ ج ۱ ص ۱۶۴ و فتح البارى ج ۲ ص ۴۷۰.

(۳) زاد المعاد ج ۱ ص ۱۲۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۳۰

و نقول:

معنى هذا: أن عثمان كان لا يعرف حكم القصر، و أنه كان يظن أن القصر إنما يجب فى حال المشى فى الصحراء فقط، فإذا بلغ المسافر قرية و نزل فيها، فإنه يتم حينئذ، مع أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد قصر فى مكة نفسها، و قد كانت مكة بلدا كبيرا و معمورا أكثر من منى و عرفات بمراتب.

۵- إنه أقام بها ثلاثا و المقيم يتم «۱».

و هو عذر واه إذ إن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد أقام فى مكة ما يقرب من عشرة أيام، و لم يزل يصلى فيها قصرا «۲».

۶- إنه كان قد نوى الإقامة بعد الحج، و الاستيطان بمنى و اتخاذها دار الخلافة ثم بدا له بعد ذلك «۳».

و على حسب نص آخر: أنه قد نوى الإقامة بعد الحج «۴».

و الجواب عن ذلك:

أولا: ما قاله العسقلانى من أن سنده مرسل. الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ۱۰ ۳۰ أعذار لا تصح: ..... ص : ۲۶

ثالثا: و لو صح ذلك أيضا، فلماذا يتم سائر الناس؟.

---

(۱) زاد المعاد ج ۱ ص ۱۲۹.

(۲) راجع: الغدير ج ۸ ص ۱۰۸ و ۱۰۹.

(۳) الغدير ج ۸ ص ۱۰۹ و زاد المعاد ج ۱ ص ۱۲۹.

(۴) راجع: فتح البارى ج ۲ ص ۴۷۰ و نيل الأوطار ج ۳ ص ۲۶۰ و زاد المعاد ج ۲ ص ۲۵ و المصنف ج ۲ ص ۵۱۶ و سنن أبى داود ج ۲ ص ۱۹۹.

(۵) راجع المصادر فى الهامش الآنف الذكر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۳۱

و لماذا يقتدى به الأمويون؟

و لماذا يصر هو على على «عليه السلام» بالإتمام؟!

و لما ذا كان قصر معاوية عيبا له، و لماذا؟ و لماذا؟!

۷- إن الإمام حيث نزل فهو عمله و محل ولايته، فكأنه وطنه «۱».

و الأسئلة الآنفة الذكر آتية هنا. هذا بالإضافة إلى أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» كان إمام الخلائق، فلماذا لم يتم؟! «۲».

و قد قصر أبو بكر و عمر، و عثمان نفسه شطرا من ولايته.

۸- إن التقصير فى السفر رخصة لا عزيمة «۳» كما اعتذر به المحب الطبرى.

و نقول:

أولا: إن ذلك لا يصح، بسبب ورود أحاديث كثيرة دالة على أن التقصير فى السفر حكم إلزامى، و لا يجزى الإتمام عنه، بل لا بد من إعادة الصلاة لو صلى تماما فى موضع القصر عمدا «۴».

ثانيا: لو كان ذلك رخصة فلماذا يصر عثمان على الإتمام، حينما طلب من على أمير المؤمنين أن يصلى بالناس؟! و لماذا يصر الأمويون بعد ذلك على العمل بسنة عثمان، و ترك سنة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»؟!.

ثالثا: لماذا يصر عثمان على الإتمام فى هذا المورد بالذات، دون سائر

---

(۱) راجع: الغدير ج ۸ ص ۱۰۹ و فتح البارى ج ۲ ص ۴۷۰ و زاد المعاد ج ۱ ص ۱۲۹.

(۲) فتح البارى ج ۲ ص ۴۷۹ و زاد المعاد ج ۱ ص ۱۲۹.

(۳) الرياض النضرة ج ۳ ص ۱۰۰.

(۴) راجع: الغدير ج ۸ ص ۱۱۰- ۱۱۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۳۲

الأسفار؟.

و لماذا ينكر عليه الصحابة ذلك، و يعترضون عليه فيه؟!

و لماذا لم يعتذر هو بهذا العذر لهم بالذات ليسكتهم عنه؟! بل اعتذر عن ذلك بأنه رأى رآه «۱».

التقصير رخصة أم عزيمة:

قد تخيل البعض أن القصر فى السفر رخصة، و لعل منشأ فهمهم هذا هو أن الآية قد قررت ذلك بعبارة: فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَقْصُرُوا «۲».

قال العامرى:

«ظاهرها يدل على أن رخصته مشروطة بالخوف، و دلت السنة على الترخيص مطلقا ..

إلى أن قال: ثم لا يبعد أن يبيح اللّه الشيء فى كتابه بشرط، ثم يبيحه على لسان نبيه بانحلال ذلك الشرط، الخ ..» «۳».

و قد قال بعض الفقهاء: بأن التقصير رخصة، فراجع «۴».

---

(۱) راجع: تاريخ الأمم و الملوك ج ۳ ص ۳۲۲ و الغدير ج ۸ ص ۱۰۱ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ قسم ۲ ص ۱۴۰ و البداية و النهاية ج ۷ ص ۱۵۴ و الكامل فى التاريخ ج ۳ ص ۱۰۳ و ۱۰۴.

(۲) الآية ۱۰۱ من سورة النساء.

(۳) بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۲۷.

(۴) راجع كنز العرفان ج ۱ باب صلاة الخوف، و القصر فى السفر، و غير ذلك من كتب الفقه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۳۳

و لكن هذا التخيل مردود.

أولا: للأخبار الكثيرة الدالة على أن التقصير فى السفر عزيمة و ليس رخصة، و كلام الرسول مفسر للقرآن، و مبين لمعناه، و قد ذكر العلامة الأمينى «رحمه اللّه» طائفة منها «۱».

ثانيا: لقد كان من الواضح: أن الكثيرين سوف لن تطيب نفوسهم بترك ركعتين من الصلاة، و يرون فى هذا الأمر تضييعا للأهداف الإلهية و تساهلا فى امتثال أوامره تعالى، فجاء التعبير بلا جناح ليدفع هذا الوهم، و ليطمئنهم إلى أنه لأغضاضة عليهم، لو فعلوا ذلك، و لا نقص و لا حرج فيه.

نزول آية التيمم:

و قالوا فى هذه الغزوة: نزلت آية التيمم «۲».

و قيل: بل شرع التيمم فى غزوة بنى المصطلق.

و قيل: فى غزوة أخرى «۳».

و نحن نرجئ الحديث عن ذلك إلى غزوة بنى المصطلق؛ فإلى هناك.

---

(۱) راجع: كتاب الغدير ج ۸.

(۲) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۴ و راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۷۵ و ۲۷۸ و شذرات الذهب ج ۱ ص ۱۱.

(۳) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۷۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۳۵

الفصل الرابع: بدر الموعد

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۷۷

بداية الحديث عن بدر الموعد:

كانت حرب أحد قد تمخضت عن نتائج مادية تختلف تماما عن نتائجها المعنوية و السياسية.

فعلى صعيد الخسائر منى المسلمون بخسائر كبيرة، حيث قتل منهم العشرات، حينما خالف الرماة الذين كانوا على فتحة الجبل أمر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» له بالبقاء فى أماكنهم، فسنحت الفرصة للمشركين، و أوقعوا بالمسلمين، و قتلوا منهم عددا كبيرا من الناس.

و لكن هذه النتيجة لا- تمثل كل الواقع، و لا- يمكن اعتبارها معيارا تقاس عليه سائر النتائج، التى تمخضت عنها تلك الحرب، على صعيد الربح و الخسارة و التأثير فى الواقع النفسى لكلا الفريقين، ثم فى الواقع السياسى و العسكرى.

حيث إن النتائج كانت فى هذه المجالات لصالح المسلمين، إذ انتهت المعركة بهزيمة حقيقية فاحشة منى بها المشركون فى الجهات الثلاث جميعا، أى من الناحية العسكرية، و النفسية، و على صعيد الحالة السياسية فى المنطقة بصورة عامة.

غير أن أبا سفيان قد حاول أن يقوم بمبادرة إعلامية جريئة تحفظ

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۷۸

للمشركين بعض هيبتهم، و تعيد إليهم شيئا من معنوياتهم حيث أعلن: أن المعركة التالية، و التى قد تكون هى الحاسمة، سوف تكون بعد عام من تاريخ غزوة أحد.

و قد نسى أو تناسى: أن نفس هذا الإعلان ليس فى الحقيقة إلا إعلان فشلهم فى تحقيق الأهداف التى كانوا يسعون إلى تحقيقها من خلال خوضهم هذه الحرب.

ثم كانت حركة المسلمين السريعة فى مطاردتهم عقب انتهاء غزوة أحد، بمثابة فضيحة مخزية للمشركين، لا سيما و أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد قرر أن تكون هذه المطاردة مقتصرة على خصوص جرحى أحد، بقيادة على أمير المؤمنين «عليه السلام».

و بعد مرور نحو عام، و اقتراب الموعد الذى ضربه أبو سفيان كان لا بد من التحرك. و كانت نتيجة هذا التحرك، المزيد من الخزى لأبى سفيان، و كل معسكر الشرك و البغى، و المزيد من العزة و الشوكة للمسلمين، و للإسلام فى ظل قيادة نبيه الأكرم «صلى اللّه عليه و آله».

فما الذى جرى فى بدر الموعد؟! و ما الذى نتج عنه؟.

هذا ما سوف نتعرض له فى ما يلى من مطالب ..

تاريخ غزوة بدر الموعد:

يذكر المؤرخون: أن غزوة بدر الصغرى (الموعد) (الثالثة)، قد كانت فى هلال ذى القعدة فى السنة الرابعة.

و قيل: فى شوال.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۷۹

و قد غاب فيها رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ست عشرة ليلة.

و المقصود هو: بدر الصفراء، التى كانت سوقا للعرب فى الجاهلية.

يجتمعون فيها فى كل عام لمدة ثمانية أيام، ابتداء من أول ذى القعدة، ثم يفترقون «۱».

و قد ربح المسلمون فيها فى تجارتهم فى سوق بدر، فى هذه المناسبة بصورة ملفتة، كما سنرى.

و أما قول موسى بن عقبة: إنها كانت فى شوال سنة ثلاث «۲» فلا يصح، لأنها كانت لأجل تنفيذ طلب أبى سفيان بعد انتهاء حرب أحد بأن يلتقوا للحرب فى بدر، بعد عام. و أحد إنما كانت فى السنة الثالثة كما هو معلوم «۳».

---

(۱) راجع فى جميع ما ذكرناه، كلا أو بعضا: مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۸۴ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۵ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۷۵ و سيرة مغلطاى ص ۵۳ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۲ ص ۵۹ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۲۰۴ و نهاية الأرب ج ۱۷ ص ۱۵۴.

و راجع: المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۰۸ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ قسم ۲ ص ۲۹ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۲۹ و تاريخ ابن الوردى ج ۱ ص ۱۶۰ و أنساب الأشراف ج ۱ ص ۳۳۹ و التنبيه و الإشراف ص ۲۱۴ و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۲ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۶۹ و ۱۷۲ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۸۷ و ۸۹ و ۹۳ و ۹۴ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۵ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۳۸۸.

(۲) راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۷۵ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۷۲ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۸۹ و الدر المنثور ج ۲ ص ۱۰۱.

(۳) راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۷۲ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۸۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۸۰

كما أن الأشبه: أنها كانت فى ذى القعدة، أو قبل ذلك لأن أحدا كانت فى ذى القعدة، و كان بينهما سنة «۱».

و الصحيح: أنها كانت فى شعبان كما سيأتى فى غزوة الخندق.

النص التاريخى لبدر الصغرى:

يذكر المؤرخون: أن أبا سفيان لما أراد أن ينصرف من أحد نادى: يا محمد، الموعد بيننا و بينكم موسم بدر الصغرى لقابل، إن شئت نلتقى بها فنقتتل.

و عن مجاهد- كما فى الوفاء- أنه قال: يا محمد، موعدكم بدر، حيث قتلتم أصحابنا.

فقال النبى «صلى اللّه عليه و آله» لعمر بن الخطاب: قل: نعم، إن شاء اللّه. فافترق الناس على ذلك.

ثم يذكر المؤرخون وقائع غزوة بدر الموعد.

و نحن من أجل أن نلمّ بأكثر الخصوصيات التى قيلت فى هذه الغزوة و عنها، نجمع شتات كلمات الرواة و المحدثين، و نقلة الأخبار و المؤرخين، و نؤلف بينها، ثم نشير فى نهاية ذلك إلى المصادر التى قد يكون فيها أكثر الذى ذكرناه، أو بعضه.

فنقول:

لما مضى على أحد ما يقرب من عام، و قرب الموعد الذى ضربه أبو سفيان، كره الخروج و خاف من عواقبه، ثم قر رأيه بعد المشاورة

على

---

(۱) راجع: نهاية الأرب ج ۱۷ ص ۱۵۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۸۱

الخروج شيئا يسيرا، ثم يعود، فخرج فى أهل مكة، حتى نزل مجنّة، من ناحية الظهران.

يقال: عسفان. و كان فى ألفى رجل، و معهم خمسون فرسا.

و يقول البعض: إنه بعد أن خرج إلى عسفان أو مجنة ألقى اللّه الرعب فى قلبه، فبدا له فى الرجوع.

فلقى نعيم بن مسعود الأشجعى، و قد قدم معتمرا؛ فطلب منه: أن يلحق بالمدينة، و يثبط المسلمين، و يعلمهم: أن أبا سفيان فى جمع كثير، و لا طاقة لهم بهم، و وعده أن يعطيه عشرة- و عند الواقدى: عشرين- من الإبل، يضعها على يدى سهيل بن عمرو، و يضمنها سهيل له. و حمله على بعير.

و مما قاله له، بعد أن ذكر له: أن هذا عام جدب: «قد بدا لى أن لا أخرج إليها، و أكره أن يخرج محمد و لا أخرج؛ فيزيدهم ذلك جراءة؛ فلأن يكون الخلف من قبلهم أحب الى من أن يكون من قبلى».

و بعد ضمان سهيل بن عمرو الإبل لنعيم، خرج مسرعا، حتى أتى المدينة؛ فوجد الناس يتجهزون لميعاد أبى سفيان، فسألهم فأخبروه بما يريدون، فقال لهم: «بئس الرأى رأيتم، أتوكم فى دياركم و قراركم، فلم يفلت منكم إلا الشريد، فتريدون أن تخرجوا و قد جمعوا لكم عند الموسم؟! و اللّه، لا يفلت منكم أحد».

و جعل يطوف بهذا القول فى أصحاب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

فكره أصحاب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» الخروج.

و زاد الواقدى قوله: «حتى نطقوا بتصديق قول نعيم، أو من نطق منهم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۸۲

و استبشر بذلك المنافقون و اليهود، و قالوا: محمد لا يفلت من هذا الجمع».

حتى بلغ رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ذلك، و تظاهرت به الأخبار عنده، حتى خاف رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أن لا يخرج معه أحد.

فجاء أبو بكر بن أبى قحافة (رض)، و عمر بن الخطاب (رض)، و قد سمعا ما سمعا، فقالا: يا رسول اللّه، إن اللّه مظهر دينه، و معز نبيه. و قد وعدنا القوم موعدا، و نحن لا نحب أن نتخلف عن القوم، فيرون. أن هذا جبن منا عنهم؛ فسر لموعدهم؛ فو اللّه، إن فى ذلك لخيرة.

فسر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بذلك، ثم قال: «و الذى نفسى بيده، لأخرجن ولو وحدى».

قال عثمان: «لقد رأيتنا و قد قذف الرعب فى قلوبنا فما أرى أحدا له نية فى الخروج».

فأما الجبان، فإنه رجع، و تأهب الشجاع للقتال، و قالوا: حسبنا اللّه و نعم الوكيل.

و استخلف رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» على المدينة عبد اللّه بن رواحة [أو عبد اللّه بن أبى سلول] «۱» و حمل لواءه الأعظم على بن أبى طالب، فى ألف و خمس مائة رجل. و الخيل عشرة أفراس.

قال الواقدى «۲»: «فرس لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و فرس لأبى

---

(۱) هذا القيل ذكره فى السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۷۵ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ قسم ۲ ص ۲۹ و لم يذكر غيره، و كذا فى

السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۲۰ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۶۹ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۸۷.

(۲) المغازى ج ۱ ص ۳۸۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۸۳

بكر، و فرس لعمر، و فرس لأبى قتادة، و فرس لسعيد بن زيد، و فرس للمقداد، و فرس للحباب، و فرس للزبير، و فرس لعباد بن بشر».

و خرجوا ببضائع لهم و تجارات.

و قالوا: إن لقينا أبا سفيان فهو الذى خرجنا له، و إن لم نلقه ابتعنا ببضائعنا. فجعلوا يلقون المشركين، و يسألون عن قريش، فيقولون: قد جمعوا لكم، يريدون أن يرهبوا المسلمين.

فيقول المؤمنون: حسبنا اللّه و نعم الوكيل.

و فى نص آخر: قال لهم المنافقون: قد قتلوكم عند بيوتكم، فكيف إذا أتيتموهم فى بلادهم، و قد جمعوا لكم، و اللّه لا ترجعون أبدا.

و مهما يكن من أمر، فإنهم لما قربوا من بـدر قالوا لهم: إنها امتلأت من الـذين جمعهم أبو سـفيان، يرعبونهم و يرهبونهم، و نزلت آية: الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَـدْ جَمَعُوا لَكُمْ .. «۱» فلما بلغوا بـدرا و جـدوا أسواقا لا ينازعهم فيها أحد [و فى الحلبية «۲» فأنزل اللّه: الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ ..] ..

و قال مجاهد و عكرمة: فى هذه الغزوة نزل قوله تعالى: الَّذِينَ اسْتَجابُوا لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ .. «۳».

و عند أكثر المفسرين: نزلت هذه الآية فى غزوة حمراء الأسد.

و بلغ المسلمون بدرا ليلة هلال ذى القعدة. و الصحيح فى شعبان.

---

(۱) الآية ۱۷۳ من سورة آل عمران.

(۲) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۷۶.

(۳) الآية ۱۷۲ من سورة آل عمران.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۸۴

و قد أقام النبى «صلى اللّه عليه و آله» بها ثمانية أيام، ينتظر أبا سفيان.

و باع المسلمون تجاراتهم و بضائعهم فى سوق بدر، و أصابوا بالدرهم درهمين.

و قد سمع الناس بمسيرهم، و ذهب صيت جيشهم إلى كل جانب، فكبت اللّه بذلك عدوهم.

و انصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين.

أما المشـركون فرأى لهم أبو سـفيان أن يخرجوا، فيسـيروا ليلة أو ليلتين، ثم يرجعون؛ فإن كان محمد قد خرج احتجوا بأن السنة كانت سنة جدب، و إن لم يخرج كانت هذه لهم عليه.

فخرجوا، و هم ألفان، و معهم خمسون فرسا، حتى انتهوا إلى مجنّة، و هو سوق معروف بناحية الظهران، و قيل: إلى عسفان، ثم رجعوا.

و فى نص آخر: أن ابن حمام قدم على قريش، فأخبرهم بمسير المسلمين إلى بدر، فأرعب أبو سفيان، و رجع إلى مكة. فسماهم أهل مكـة: جيش السويق. أى خرجوا يشـربون السويق. الصـحيح من السـيرة النبى الأـعظم، مرتضـى العاملى ج ۱۰ ۸۴ النص التاريخى لبـدر الصغرى: ..... ص : ۸۰

نا و رأوا: أنّا قد أخلفناهم، ثم أخذوا بالكيد و التهيؤ لغزوة الخندق.

كانت تلك الصورة مأخوذة من نصوص ذكرت هنا و هناك فى المصادر

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۸۵

المختلفة «۱» أوردناها فى سياق واحد، لتكون الصورة التى يرسمها لنا المؤرخون أكثر انسجاما، و استجماعا للملامح الضرورية التى يريدون توجيه الأنظار إليها.

و قد ذكروا أيضا: أن عبد اللّه بن رواحة، أو حسان بن ثابت قد قال فى جملة أبيات له:

وعدنا أبا سفيان وعدا لم نجدلميعاده صدقا و قد كان وافيا «۲»

---

(۱) راجع فى جميع ما تقدم، كله أو بعضه: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۵ و ۴۶۶ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۷۵- ۲۷۷ و حبيب السير ج ۱ ص ۳۵۶ و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۲ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۵۹ و ۶۰ و تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۶۷ و سيرة مغلطاى ص ۵۳ و حياة محمد لهيكل ص ۲۷۹ و ۲۸۰ و مغازى الواقدى ج ۱ ص ۴۸۴- ۴۹۰ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۲۰ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۲۰۳ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ قسم ۲ ص ۲۹ و الوفاء ص ۶۹۰ و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۷۵ و نهاية الأرب ج ۱۷ ص ۱۵۴ و ۱۵۵ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۰۸ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۲۹ و ۲۳۰ و تاريخ ابن الوردى ج ۱ ص ۱۶۰ و أنساب الأشراف ج ۱ ص ۳۴۰ و الثقات ج ۱ ص ۲۴۴ و ۲۴۵ و التنبيه و الإشراف ص ۲۱۴ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۶۹ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۸۷- ۸۹ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۵ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۳۸۴- ۳۸۸ و الدر المنثور ج ۲ ص ۱۰۱ و ۱۰۳ و ۱۰۴ عن عبد بن حميد، و ابن أبى حاتم، و سعيد بن منصور، و ابن جرير، و ابن المنذر.

(۲) راجع: البدء و التاريخ ج ۴ ص ۲۱۴ و أنساب الأشراف ج ۱ ص ۳۴۰ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۲۱ و مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۸۹ و نهاية الأرب ج ۱۷ ص ۱۵۶ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۷۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۸۶

و لنا هنا مناقشات و شكوك فى بعض ما ذكروه، كما أن لنا بعض الإيضاحات و التحليلات التى ربما تكون مفيدة هنا، و نحن نذكر ذلك فيما يلى من مطالب، فنقول:

آيات سورة آل عمران:

قد تقدم قولهم: إن آية: الَّذِينَ اسْتَجابُوا لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ ما أَصابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَ اتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ، الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزادَهُمْ إِيماناً وَ قالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ، فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَ فَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَ اتَّبَعُوا رِضْوانَ اللَّهِ وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ «۱» .. قد نزلت فى مناسبة بدر الموعد؛ لأن المسلمين قالوا ذلك.

و لكننا لا نستطيع قبول ذلك؛ فعدا عن تناقض الروايات فى مكان نزولها: فى المدينة، أو فى الطريق إلى بدر، أو فى بدر نفسها، كما تقدم، نسجل الأمور التالية:

الأول: قال العسقلانى، بالنسبة لآية: الَّذِينَ اسْتَجابُوا لِلَّهِ: «و الصحيح:

أن هذه الآية نزلت فى شأن حمراء الأسد، كما نص عليه العماد بن كثير» «۲».

و قد روى المحدثون و المؤرخون، و المفسرون: أنها نزلت فى حمراء الأسد، فراجع ما رووه عن: ابن عباس، و الحسن، و ابن جريج، و عائشة، و أبى السائب، و السدى، و قتادة، و أنس، و من طريق العوفى. و عن عبد اللّه بن أبى بكر بن محمد

---

(۱) الآية ۱۷۲- ۱۷۴ من سورة آل عمران.

(۲) المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۰۸ و راجع: السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۸۷

بن عمرو بن حزم «۱».

و روى أيضا عن أبى رافع بطرق كثيرة، و كذا عن أبى مريم.

و عن جابر، عن الإمام الباقر «عليه السلام»: أنها نزلت فى على «عليه السلام» فى حمراء الأسد «۲».

الثانى: إن سياق الآيات لا يتلاءم مع غزوة بدر الصغرى، فهى تمدح الذين استجابوا للّه و الرسول من بعد ما أصابهم القرح. و ذلك إنما يناسب غزوة حمراء الأسد؛ حيث إن الذين قاموا بها هم خصوص أولئك الذين جرحوا فى حرب أحد.

أما فى بدر الصغرى، فكان قد مضى عام بكامله على تلك الجراح. و لم يكن فى بدر الصغرى نفسها حرب و لا جراح.

الثالث: إن هذه الآيات تتمدح أولئك الذين قال لهم الناس: إن الناس

---

(۱) تجد هذه الروايات كلها فى الدر المنثور ج ۲ ص ۱۰۱- ۱۰۳ و قد نقلها بدوره بصورة متنوعة عن المصادر التالية: ابن إسحاق، و ابن جرير، و البخارى، و مسلم، و أحمد، و سعيد بن منصور، و ابن أبى شيبة، و ابن المنذر، و الحاكم، و ابن أبى حاتم، و البيهقى فى الدلائل، و ابن ماجة، و النسائى و الطبرانى، و عبد بن حميد، و الخطيب، و ابن مردوية.

(۲) تفسير البرهان ج ۱ ص ۳۲۶ و الدر المنثور ج ۲ ص ۱۰۳ عن ابن مردويه. و قد يكون ثمة مبرر لاحتمال أن يكون ثمة تعمد لدعوى نزول الآيات فى بدر الموعد، من أجل إبعاد هذا الأمر عن أن يكون فيه تكريم لعلى «عليه السلام»، و إشادة بمواقفه الرسالية و الجهادية. و قد تعودنا من هؤلاء الشىء الكثير الذى يصب فى هذا الاتجاه، كما هو معلوم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۸۸

قد جمعوا لكم فاخشوهم، فزادهم إيمانا. مع أن الروايات التى تتحدث عن قصة بدر الصغرى، قد صرح كثير منها بأن أصحاب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قد كرهوا الخروج إلى بدر الموعد، حتى نطقوا بتصديق قول نعيم بن مسعود، الذى كان يخذلهم و يخوّفهم، و استبشر المنافقون و اليهود، حتى بلغ رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ذلك، و تظاهرت به الأخبار عنده، حتى خاف رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أن لا يخرج منهم أحد.

حتى قال «صلى اللّه عليه و آله»: و الذى نفسى بيده، لأخرجن و لو وحدى.

و قال عثمان بن عفان: لقد رأيتنا و قد قذف الرعب فى قلوبنا، فما أرى أحدا له نية فى الخروج ..

مواقف لا بد من التأكد من صحتها:

و يذكر البعض: أن نعيم بن مسعود قدم المدينة: «و أرجف بكثرة جموع أبى سفيان. أى و صار يطوف فيهم، حتى قذف الرعب فى قلوب المسلمين، و لم يبق لهم نية فى الخروج، و استبشر المنافقون، و اليهود، و قالوا: محمد لا يفلت من هذا الجمع.

فجاء أبو بكر، و عمر، إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و قد سمعا ما أرجف به المسلمون، و قالا له: يا رسول اللّه، إن اللّه مظهر نبيه، و معز دينه، و قد وعدنا القوم موعدا لا نحب أن نتخلف عنه، فيرون أن هذا جبن. فسر لموعدهم، فو اللّه إن فى ذلك لخيرة.

فسر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بذلك ثم قال: و الذى نفسى بيده، لأخرجن، و إن لم يخرج معى أحد، فأذهب اللّه عنهم ما كانوا يجدون، و حمل

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۸۹

لواء رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» على بن أبى طالب الخ ..» «۱».

و نقول:

إن ما يذكر هنا من موقف لأبى بكر و عمر لا- يتلاءم مع سائر مواقفهما فى مناسبات كهذه، فراجع موقفهما فى غزوة بدر مثلا، ثم موقفهما فى الأحزاب، و خيبر، و غيرها. بالإضافة إلى فرارهما فى المواطن، و منها غزوة أحد، و هى الغزوة التى ضرب فيها الموعد لبدر الصغرى هذه!!

و قد تقدم: أن المسلمين كرهوا الخروج، و تظاهرت بذلك الأخبار عند رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» حتى خاف أن لا يخرج معه أحد، و قال:

و الذى نفسى بيده لأخرجن، و لو لوحدى.

و قال عثمان بن عفان: لقد رأيتنا، و قد قذف الرعب فى قلوبنا فما أرى أحدا له نية فى الخروج. فكلام عثمان نكرة فى سياق النفى يشمل حتى عمر و أبابكر، فلا يتلاءم مع ما يذكر من موقفهما هنا.

فإن صح ما نقل عن الشيخين هنا، و لا أراه يصح، فإننا نجد أنفسنا أمام احتمالين، لا بد أن يكون أحدهما هو السبب و نرجح ثانيهما، و هما:

الأول: أن يكونا قد رأيا تصميم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» على المسير، إلى درجة عرفا أنه «صلى اللّه عليه و آله» لن يتراجع عن قراره بأى ثمن كان، و لو كان وحده.

فموقفهما هذا لن يكون له أثر فى ذلك، و لسوف يكون مفيدا فى تسجيل موقف إيجابى لهما، يمكن أن يكون مفيدا لهما فى تحسين موقعهما عند

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۷۶ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۹۰

النبى «صلى اللّه عليه و آله» و المسلمين، و لا سيما بعد فرارهما فى أحد، و بعد مشورتهما المتخاذلة فى بدر.

الثانى: إنهما ربما يكونان قد وقفا من نعيم بن مسعود، أو من غيره على حقيقة أمر أهل مكة، و أنهم خائفون من مواجهة النبى «صلى اللّه عليه و آله» و المسلمين بالحرب، لا سيما مع ما نلمحه من وجود قدر من التفاهم و الانسجام فى المواقف أحيانا، كما تقدم فى غزوة بدر، حول الاستشارة فى الحرب، ثم فى قصة الأسرى، و بعد ذلك فى غزوة أحد حينما وضعنا بعض علامات الاستفهام حول تحركات الخليفة الثانى.

و الخلاصة: أنهما إذا كانا قد علما بحقيقة أمر المشركين، فهما يعلمان مسبقا: أن خروج النبى «صلى اللّه عليه و آله» و المسلمين إلى بدر الموعد لن يشكل أى خطر على مشركى قريش، إلا- من الناحية الإعلامية و السياسية و النفسية. كما أنهما نفسيهما سوف لا يواجهان أى خطر يخشيانه، و لو فى ضمن زحمة المعركة، كما قد حصل فى أحد.

الأفراح و الأتراح:

إننا- و إن كنا نقدر الواقدى فى حدود معينة، و نراه منصفا شيئا ما، و هو من حيث نقله ينقل سيرة النبى الأعظم «صلى اللّه عليه و آله»- بصورة أفضل و أدق مما ينقلها البعض، و لكننا نعتب عليه أحيانا- ليس لأجل إيراده ما ثبت بالدليل القاطع زيفه، أو التزيد فيه من الرواة، فإن ذلك أمر مألوف و معروف، و لم ينج منه مؤلف فى قضايا التاريخ و غيرها- بل لأجل وقوعه أحيانا- كغيره- فى المتناقضات، أو فريسة لأصحاب الأهواء، و أهل

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۹۱

الزيغ من الحاقدين و الموتورين، و قد وقع هنا فى هذا الخطأ بالذات، حين صور لنا أن المشركين كانوا يعيشون أفراح التأهب لحرب

بدر الموعد، و كان المسلمون يعيشون الأتراح، و يهيمن عليهم الرعب و الخوف و الجبن، فهو يقول عن المشركين:

«و تهيأوا للخروج، و أجلبوا. و كان هذا عندهم أعظم الأيام، لأنهم رجعوا من أحد و الدولة لهم، طمعوا فى بدر الموعد أيضا بمثل ذلك من الظفر» «۱».

و يقول عن المسلمين: «فيقدم القادم على أصحاب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فيراهم على تجهز، فيقول: تركت أبا سفيان قد جمع الجموع، و سار فى العرب ليسير إليكم لموعدكم، فيكره ذلك المسلمون، و يهيبهم ذلك» «۲».

و نقول:

قد ذكرنا فى بداية الحديث: أن المشركين لم ينتصروا فى أحد، بل انهزموا هزيمة نكراء.

و قد اتضح لديهم: أن ما جرى على المسلمين آنئذ لن يتكرر فى المستقبل، لأن ذلك إنما نشأ عن عدم الانضباطية لدى الرماة، الذين كانوا يحرسون فى الجبل، و لم يكن بسبب ضعف فى القدرات الحربية، و لا لجبن فى المقاتلين، أو خور فى عزائمهم، و لا بسبب تفرق الأهواء، و لا لأجل نقص فى كفاءة القيادة.

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۸۴.

(۲) المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۸۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۹۲

و إنما هو مجرد خطأ شخصى أعقبته حركة قتالية فريدة، تجلت فيها كفاءات لا يمكن مواجهتها، فى أى زمان أو مكان، و لا سيما من على أمير المؤمنين «عليه السلام»، ثم بعض من لحقه من الصحابة الأخيار.

فلا معنى إذن: لابتهاج المشركين بحرب، لو كانت تشبه حرب أحد، فذلك يعنى الدمار الكامل و الشامل لهم.

و أما بالنسبة لحالة المسلمين، التى تحدث عنها الواقدى، فنحن لا نوافق المؤرخين، و لا المحدثين على ما ذكروه من خوف شامل فى المسلمين من مواجهة المشركين فى بدر الموعد؛ إذ لم يكن ثمة مبرر لذلك، لا سيما بعد أن حقق المسلمون انتصارات رائعة و مثيرة على المشركين فى بدر و أحد، رغم خطأ الرماة الذى تسبب بحدوث كارثة.

ثم إنهم بجهود على «عليه السلام» تلافوا الخطأ و هزموا عدوهم.

هذا بالإضافة إلى انتصاراتهم على اليهود، ثم تحركهم فى المنطقة بصورة زادت من هيمنتهم و نفوذهم، و جعلتهم أكثر قوة و شوكة و ثقة بالمستقبل.

و لنا أن نتساءل: إذا كان المسلمون ارتعبوا حتى خاف النبى «صلى اللّه عليه و آله» أن لا يخرج معه أحد، فكيف ارتفع هذا الخوف عنهم، حتى خرج من الشجعان معه ألف و خمس مئة رجل، مع أن الذين خرجوا معه إلى أحد؛ ليدافعوا عن بلدهم المدينة، كانوا ألف رجل (رجع منهم ثلاث مئة مع ابن أبى) مع الإشارة إلى أن عدد المسلمين لم يكن يزيد عن الخارجين معه إلا يسيرا.

و هل يمكن أن يذكر لنا التاريخ اسم واحد من أولئك الذين تخلفوا عن الخروج خوفا و جبنا؟!

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۹۳

أما مشركو مكة فقد تقلص نفوذهم فى المنطقة بدرجة كبيرة، و تشكك كثير من الناس فى قدرتهم على تحقيق نصر حاسم على المسلمين بسهولة، لا سيما بعد الهزائم سياسيا و عسكريا التى لحقت بهم حسبما أشرنا إليه، ثم ما تتعرض له قوافلهم التجارية، و عدم قدرتهم على توفير الأمن لها، بالإضافة إلى توسع منطقة نفوذ المسلمين و تحالفاتهم، على حساب ما كان لهم من نفوذ و تحالفات.

و لعل ما يقال: عن رعب فى المسلمين و تلكّؤ قد أريد له أن يجسد المصداق للآيات التى تتحدث عن تخويف الناس لهم، مع أن الآيات تذكر تكذيبا لهذه الشائعة، و أن هذا التخويف قد زاد المسلمين إيمانا و تصميما، و مع أن الآيات إنما نزلت فى غزوة حمراء

الأسد.

و لعله قد أريد ترتيب أجواء مناسبة، ليقدّم أبو بكر و عمر مشورتهما بلزوم المواجهة، لتظهر شجاعتهما دون سائر المسلمين، و ليعوضهما ذلك بعض ما كانا قد فقداه فى حالات سابقة.

و لعل فيما ذكرناه كفاية لمن أراد الرشد و الهداية.

المجتمع المفتوح:

و قد قرأنا فيما تقدم: أن نعيم بن مسعود الأشجعى، قد ذهب إلى المدينة بهدف تخذيل المسلمين عن الخروج إلى بدر الموعد. و لعل تردد المشركين إلى المدينة بتجاراتهم، و متابعة شؤونهم و مصالحهم، هو من الأمور الواضحة و البديهية تاريخيا.

و ربما يحمل ذلك بعض السلبيات للمسلمين أحيانا، كما لوحظ فى هذه

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۹۴

المرة، التى قام فيها نعيم بدور مخرب، و مضر جدا.

و لكن من الواضح: أن الإسلام و هو يريد للآخرين، الذين يناوئونه أن يعيدوا النظر فى مواقفهم، فترة بعد أخرى، فكان بعيدا عن أجواء التشنج يفسح لهم المجال للتعامل مع المسلمين بصورة مباشرة، ليلتمسوا بأنفسهم و بصورة عملية و ميدانية محاسن الإسلام، و آدابه، و سياساته، و كل آفاقه بحرية تامة، و من دون الاعتماد على الشائعات، و لا على الإعلام الموجه الذى قد يتحفظ الكثيرون تجاهه، لأنهم قد يتخيلونه غير قادر على أن يعكس بعض الواقعيات بدقة و أمانة.

ثم إن هذا التعامل الطبيعى و الحر من شأنه أن يزيل عقدا كثيرة ربما لا يمكن إزالتها بدونه، بل هى قد تزيد رسوخا و تجذرا، و تتراكم حولها و فيها الأدران إلى درجة كبيرة و خطيرة، إذا كانت الأبواب موصدة أمامهم، و لا يعرفون عن الإسلام و المسلمين إلا نتفا قد تتسرب- لسبب أو لآخر- فتصل إليهم سليمة أو مشوهة، حسب الظروف.

و بعد .. فإن الإسلام واثق من كل ما لديه، و ليس ثمة شىء محرج له على الإطلاق، لا فى المجال العقيدى، و لا التشريعى، و لا السلوكى، و لا فى دائرة الدوافع و النوايا، و لا فى محيط المرامى و الأهداف، و لا فى غير ذلك من مجالات.

و أما ما ينشأ عن التعامل مع المشركين من سلبيات أحيانا، فإنه يمكن تلافيه، و لا أقل يمكن التقليل من آثاره و أخطاره من خلال تحصين الأمة بالوعى، و بالإيمان، و بالتربية الصالحة فى مختلف المجالات. بالإضافة إلى الدور الأساسى و المحورى، الذى تقوم به القيادة المؤهلة- وحدها- لأن

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۹۵

تهدى الأمة، و تقودها إلى الفلاح، و السداد و النجاح، و هى قيادة الأنبياء، و الأئمة المعصومين «عليهم الصلاة و السلام».

استخلاف ابن أبى على المدينة:

و قد ذكر فى ما تقدم: أن هناك من يقول: إن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد استخلف عبد اللّه بن أبى بن سلول على المدينة، حين سار إلى بدر الموعد.

و نحن نشك: فى صحة ذلك و نرجح أن يكون ابن رواحة هو المستخلف عليها، كما ذكرته نصوص كثيرة أخرى؛ إذ من البعيد أن يستخلف النبى «صلى اللّه عليه و آله» رأس النفاق، ذلك الرجل الذى كان يميل إلى المشركين و اليهود أكثر مما كان يميل إلى المسلمين، و لم تزل تظهر منه فلتات و كلمات خطيرة، لو أراد النبى «صلى اللّه عليه و آله» أن يجازيه عليها، لم يكن جزاؤه أقل من

القتل؛ و إنما استخلف «صلى اللّه عليه و آله» عليا «عليه السلام» فى غزوة تبوك خوفا من تحرك المنافقين فيها كما سنرى إن شاء اللّه.

إلا- أن يقال: إن من الممكن أن يكون النبى «صلى اللّه عليه و آله» يريد أن يتألفه بذلك، كما كان يتألف غيره بإسناد بعض المهام إليهم.

قوة الإسلام:

قال الواقدى: «و أقبل رجل من بنى ضمرة، يقال له: مخشى بن عمرو- و هو الذى حالف رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» على قومه، حين غزا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ودّان فى المرة الأولى- فقام- و الناس مجتمعون فى سوقهم، و أصحاب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أكثر أهل ذلك الموسم- فقال: يا محمد، قد أخبرنا: أنه لم يبق منكم أحد، فما أعلمكم

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۹۶

إلا أهل الموسم!

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»؛ ليرفع ذلك إلى عدوه من قريش:

ما أخرجنا إلا موعد أبى سفيان، و قتال عدونا، و إن شئت مع ذلك- نبذنا إليك، و إلى قومك العهد، ثم جادلناكم قبل أن نبرح من منزلنا هذا.

فقال الضمرى: بل نكف أيدينا عنكم، و نتمسك بحلفك. و سمع بذلك معبد بن أبى معبد الخزاعى، فانطلق سريعا، و كان مقيما ثمانية أيام، و قد رأى أهل الموسم، و رأى أصحاب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و سمع كلام مخشى؛ فانطلق حتى قدم مكة، فكان أول من قدم بخبر موسم بدر. فسألوه فأخبرهم بكثرة أصحاب محمد، و أنهم أهل ذلك الموسم، و ما سمع من قول رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» للضمرى.

و قال: محمد فى ألفين من أصحابه الخ ..

قال البيهقى: فأفزعهم ذلك، ثم يذكر ملامة صفوان بن أمية لأبى سفيان» «۱».

و قد يستشف البعض من هذه القضية: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد أحس من مخشى بن عمرو: أنه قد قال ذلك على سبيل الاستهزاء و السخرية؛ فقابله النبى «صلى اللّه عليه و آله» بهذا الأسلوب «۲».

---

(۱) مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۸۸ و راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۶۹ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۸۸ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۲۹ و ۲۳۰ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۳۲۰ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۲۰۳ و ۲۰۴ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۳۸۵ و ۳۸۷.

(۲) سيرة المصطفى ص ۴۵۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۹۷

و من الواضح: أنه «صلى اللّه عليه و آله» لم يكن لينقض العهد، و لا يباشر حربا مع أحد إلا إذا اضطرته الظروف و كان مع ذلك لين الطبع كريم النفس، قد بلغ الغاية من النبل و الأخلاق الكريمة، حتى أنزل اللّه فيه: وَ إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ «۱».

و بعبارة أخرى: إنه إنما اتخذ هذا الموقف من أجل أن يعيد إلى ذلك الرجل توازنه، و ليفهمه: أن الأمور أعمق و أخطر من أن يتلاعب و يستخف بها قاصرو النظر، الذين لا يشعرون بالمسؤولية، و لا يحسنون فهم الأمور.

و نقول:

إن كلام مخشى بن عمرو لا يوحى بأنه كان فى مقام الاستهزاء، غير أن من الواضح: أن هذا الرجل، كان يسعده أن يرى المسلمين و

قد أبيدت خضراؤهم، و قتلت رجالهم، و سبيت نساؤهم، و لعله صدق ما بلغه من ذلك، ثم فوجئ بعكس ما كان يتوقعه و سمع به. فجاء ليعرف السر فى ذلك، و كأنه كان على قناعة بأن مشركى مكة قادرون على ذلك، و أن المسلمين على درجة كبيرة من الضعف و الوهن فى قبال المشركين.

و ربما يكون ما جرى فى أحد، الذى لم ينقل إليه، و الى سائر الناس، فى صورته الحقيقية قد عزز هذه القناعة لديه، لأنه إنما وقف على نتائج حرب أحد، و لم يعرف ملابساتها، و أنها لم تكن نتيجة ضعف حقيقى فى عزيمة المسلمين، و لا لتخاذل منهم فى ساحة الحرب و الجهاد، و بذل المهج، و خوض اللجج فى سبيل اللّه سبحانه، كما أنه لم يكن لأجل قوة متميزة فى

---

(۱) سيرة المصطفى ص ۴۵۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۹۸

جانب عدوهم جعلته ينتزع النصر انتزاعا استنادا إلى قوة السيف، و السنان، و ثبات فى العزيمة، و شجاعة فى الجنان، كما ربما يحاول القرشيون أن يشيعوه.

فأراد رسول اللّه الأعظم «صلى اللّه عليه و آله»: أن يبدد هذه الغشاوة عن بصره و بصر كل من يسمعون، أو سوف يبلغهم هذا القول، و يواجهه بالحقيقة الناصعة، و يقول له: إنه «صلى اللّه عليه و آله» ليس فقط قادرا على سحق قريش بكل ما لديها من حشد و عتاد و قوة، و إنما هو على استعداد لمواجهتها و معها كل من يلتقون معها و يشاركونها الموقف و الرأى، و البغى على الإسلام و المسلمين.

و قد أساءت قريش لنفسها حينما صورت للناس ضآلة أمر المسلمين، و ضعفهم، فها قد انكشفت للناس أكاذيبها، و رأى الناس حتى القادمون من تجار و غيرهم بأم أعينهم قوة المسلمين، و عزتهم.

فإذا كان مخشى، قومه، بل و كذلك سائر القبائل التى حضرت ذلك الموسم التجارى الواسع، قد تحركت فى نفوسهم نوازع خيانية، أو خالجتهم أحاسيس حول ضعف المسلمين، أو شعروا: أن لقريش بعض القوة بسبب ما جرى فى أحد، فإن عليهم أن يتأكدوا من صحة تصوراتهم و معلوماتهم قبل أن يقدموا على أى عمل، أو يتخذوا أى قرار.

فهناك أمور قد خفيت عليهم حتما و جزما. و ما جرى فى أحد لا يمكن أن يكون معيارا و ميزانا، و لا يفيدهم شيئا فى حسابات الربح و الخسارة، و النصر و الهزيمة، و القوة و الضعف.

فقولهم: إنه «صلى اللّه عليه و آله» إنما أراد بذلك مقابلة حالة الاستهزاء و السخرية بالتهديد بنقض العهد لا يصح، فإن جوابه «صلى اللّه عليه و آله»

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۹۹

لا يتلاءم و هذا الأمر؛ و ذلك لأنه «صلى اللّه عليه و آله» قد أعطى لمخشى و قومه حرية التصرف فى هذا الاتجاه، واكتفى هو بالاحتفاظ لنفسه بحق.

المقابلة بالموقف الحازم و الحاسم لو نقض الآخرون عهدهم. و ذلك ظاهر لا يخفى.

لا بد من الندم:

إن من الواضح: أن ما أقدم عليه أبو سفيان فى نهاية حرب أحد، حيث قطع على نفسه وعدا بلقاء المسلمين بعد عام فى بدر الصغرى، كان خطأ فاحشا، و رأيا فطيرا، تعوزه البصيرة بالأمور، و الواقعية فى النظرة و فى الموقف.

و ذلك لأن المسلمين، بعد ما جرى فى أحد، قد أصبحوا أكثر تصميما على توجيه ضربة موجعة و قوية لكبرياء قريش، بعد أن وترتهم فى حرب أحد، التى لا بد أن يكون المسلمون قد استفادوا منها الدروس و العبر، و لن يسمحوا أبدا بتكرر الخطأ الذى وقعوا فيه فيها،

مهما كان الثمن.

و قد أدرك أبو سفيان خطأه الكبير ذاك، و لكن بعد فوات الأوان، و كان صفوان بن أمية قد نبهه إلى ذلك فلم يلتفت إليه.

و ذلك لأن المشركين، و إن كانوا قد فاجأوا المسلمين فى بلادهم، و لم يجدوا الفرصة للإعداد و الاستعداد، و لكن المشركين لم يحققوا ما حققوه فى تلك الحرب نتيجة لتنامى قدراتهم القتالية، و لا لأجل ضعف فى المسلمين.

و ذلك لأن القوى و إن لم تكن متكافئة بين الفريقين من حيث العدد و العدة، إلا أن حرب بدر قد أثبتت للجميع: أن ذلك ليس هو الفيصل فى الحرب، و ليس هو الذى يقرر نتائجها.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۱۰۰

هذا بالإضافة إلى أن حرب أحد نفسها قد أثبتت للمشركين: أن نتائج هذه الحرب- لو استمرت- لن تكون أفضل من نتائج حرب بدر، لو لا الخطأ الذى ارتكبه الرماة على الجبل حيث جعلهم النبى «صلى اللّه عليه و آله» هناك ليمنعوا من حصول أى تسلل محتمل للعدو فتركوا مراكزهم، من أجل الحصول على بعض الغنائم، ثم تسلل المشركون من ذلك الموضع بالذات، و أوقعوا بالمسلمين الذين كانوا قد انصرفوا عن الحرب إلى جمع الغنائم، حسبما أو ضحناه فى غزوة أحد فى جزء سابق.

و حتى بعد أن بدأ المسلمون يستعيدون وضعهم القتالى، فإن المشركين أحسوا بالخطر الداهم، فآثروا ترك ساحة القتال و الانصراف إلى مكة.

فلو كان بإمكانهم تسجيل نصر حاسم، فلن يجدوا المسلمين فى حالة أضعف من الحالة التى هم عليها الآن، و قد كان يهمهم جدا إنهاء أمر المسلمين، و القضاء عليهم نهائيا و الى الأبد.

و حتى حينما كان أبو سفيان يطلق و عوده باللقاء فى بدر من العام المقبل، متبجحا بما تحقق لهم فى معركة أحد، فإنه لم يكن فى موقع يمكنه من حسم الأمر لصالحه و لصالح المشركين آنئذ.

و قد أدرك فى وقت متأخر: أن الخطأ الذى وقع فيه المسلمون فى أحد ربما لن يتكرر فى المستقبل، مع إدراكه أن أى حرب سيخوضها ضد المسلمين، سوف يكون المسلمون فيها أكثر استبسالا و أعظم بلاء من ذى قبل.

كما أنهم سوف يكونون أكثر التزاما بأوامر قيادتهم الإلهية، بعد أن صح لهم أن تلك القيادة لا تنقصها الحكمة و لا الشجاعة، و لا التدبير، و قد لمسوا صوابية مواقفها، و بعد نظرتها إلى الأمور، و دفعوا ثمن التساهل فى الالتزام

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۱۰۱

بأوامرها غاليا، و غاليا جدا.

و من هنا: فإننا لا نفاجأ إذا رأينا المسلمين يصرون على الاحتفاظ بزمام المبادرة، و على الهيمنة العسكرية على المنطقة.

و كان لا بد لأبى سفيان من الاحتفاظ بماء الوجه، و لو شكليا، و لكنه فشل فى ذلك، حتى اضطر إلى أن يتراجع، و يخلف فى وعده، متذرعا بما لا يخفى على أحد وهنه و عدم واقعيته. حتى إن أهالى مكة أنفسهم كانوا يتندرون بما حدث، و يسمون جيشهم المهزوم روحيا و نفسيا، بأنهم جيش السويق، أى أنهم خرجوا لشرب السويق فى الطريق، لا للحرب، و القتال.

و لو كان العام عام جدب فعلا، فلماذا خرج أبو سفيان بهذا الجيش الكثيف من مكة؟ ألم يكن يدرى حين جهز جيشه بهذا الجدب الذى زعمه، ثم اكتشفه بعد أن قطع مسافة من الطريق، و بلغ إلى مجنّة من ناحية مرّ الظهران؟!.

الإنتظار ثمانية أيام:

و إذا كانت بدر تستضيف الكثيرين الذين يأتونها من مناطق مختلفة، لأجل السوق؛ فإن حضور المسلمين فى هذا السوق على هذه الصورة الملفتة و المثيرة، لسوف يكون له تأثيره القوى على الناس الذين يعيشون فى المناطق على اختلافها. خصوصا إذا لاحظ الناس

هـذا الإصـرار من المسـلمين على لقـاء عـدوهم، حتى إنهم لينتظرون ثمانيـة أيـام، ثم يتخلف عـدوهم عن الحضور، رغم أنه كـان هو الطالب و الراغب بمناجزة المسلمين و قتالهم فى هذا الموضع.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۰۲

و إذا كان هـذا العـدو هو مشـركو مكـة؛ بما لها من هيبـة، و نفوذ، و ليس عدوا عاديا من سائر القبائل، فإن القضـية سوف تصـبح أكثر حساسـية بالنسـبة لأولئـك النـاس، و لسوف يكون لهـا أكثر من مغزى عميق و دقيق، و أكثر من أثر سـلبى و إيجـابى على مشاعرهم و أحاسيسهم، و على نظرتهم إلى المستقبل، بصورة عامة.

و هكذا: فإن الكل سوف يدرك أن ما جرى فى أحد لم يؤثر و لم يغير فى المعادلة شـيئا، إن لم نقل: إنه قد كانت له آثار سلبية على المشركين، و إيجابية على المسلمين كما هو ظاهر.

الإتجار فى بدر الموعد:

إن البعض قـد رأى: أنه من غير المعقول أن يحمـل المسـلمون معهم إلى بـدر بضائع للتجارة، ما داموا ذاهبين إلى القتال، و إلى منطقة يجتمع فيها خلائق من الناس الذين يلتقون مع قريش فى أهدافها، و فى عقائدها و مواقفها تجاه الإسلام و المسلمين.

إذن .. فموضع لقاء المسلمين بالمشركين ليس هو بدر التى هى سوق للعرب.

كما أنهم قد ذهبوا إلى الحرب بلا بضائع، و ليس لأجل البيع و الشراء «۱».

و نقول:

إننا لا نستطيع أن نوافق هذا الباحث على رأيه المشار إليه، و ذلك لأن

---

(۱) راجع: سيرة المصطفى ص ۴۵۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۰۳

سوق بدر لم يكن المجتمعون فيه مستدعين لخوض حرب تحتاج إلى تجهيزات كثيرة و متنوعة، من خيول و دروع و أعتدة مختلفة.

كما أن سيطرة الجيش الإسلامى على الموقف سوف تمنحه الفرصة للتعامل مع الآخرين و عقد الصفقات التجارية بكل طمأنينة و ثقة.

أضف إلى ذلك: أن جهاز الاسـتخبارات الإسـلامى كان من القوة بحيث إنه كان يرصد أى تحرك يحصل فى مختلف أنحاء الجزيرة العربية على اتساعها و ترامى أطرافها، و ينهيه إلى الرسول الأكرم فى الموقع المناسب.

و يدل على ذلك: أنا نجد النبى «صلى اللّه عليه و آله» يفاجئ أعداءه، الذين يتآمرون، و يتأهبون لقتاله، و هم غارون، و قبل أن تصدر منهم أية بادرة أو أن يجدوا الفرصة لأى تحرك و التفاف، و لو من خلال إعادة تنظيم أمرهم، و لم شعثهم.

فجهاز الاسـتخبارات هـذا لا يعجز عن رصـد حالـة الناس فى تلك السوق. كما أنه لا يعجز عن موافاة النبى «صـلى اللّه عليه و آله» فى الوقت المناسب بحقيقة نوايا قريش، و ما أزمعت عليه من كيد و مكر إعلامى فاشل.

و من الجهة الأخرى: فإن المسـلمين كانوا و ما زالوا رغم حروبهم مع أعدائهم منفتحين حتى على أولئك الأعداء فى النواحى التجارية و الإنمائية.

حتى إننا لنجد تجار المشركين لا يزالون يترددون على المدينة بتجاراتهم المختلفة.

و يحـدثنا التاريخ: أن النبى «صـلى اللّه عليه و آله» نفسه كان يشـجع هذا التوجه بصورة عامة. كما أوضـحناه فى كتابنا: السوق فى ظل الدولة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۰۴

الإسلامية، فراجع.

و يكفى أن نذكر: أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد أطلق الصناع و أصحاب الحرف فى خيبر لينتفع بهم المسلمون، كما سيأتى حين الحديث عن غزوة خيبر.

فالجيش الإسلامى إذن لا بد أن يقدم نموذجا من الوفاء و التضحية و الانضباطية أولا. كما أنه فى نفس الوقت يقيم علاقات تجارية مع الآخرين، و يتعامل معهم بطريقة سليمة و عفوية، و بريئة، من خلال إحساسه بالثقة و بالقوة و الثبات.

أضف إلى ذلك: أن المسلمين كانوا يشكون فى وفاء أبى سفيان بالوعد، قال: موسى بن عقبة: «و خرجوا ببضائعهم، و قالوا: إن لقينا أبا سفيان فهو الذى خرجنا له، و إن لم نلقه ابتعنا ببضائعنا» «۱».

و من يدرى فلعل النبى «صلى اللّه عليه و آله» نفسه قد طلب من المسلمين ذلك، من أجل خدمة تلك العلاقات و الروابط بالذات، و من أجل أهداف تدخل فى نطاق الحرب الإعلامية و النفسية للأعداء، و إعطاء فرص إيجابية إلى أولئك الآخرين الذين كانوا ينتفعون من هذه الفرص لتركيز قناعاتهم، و تبلور مفاهيمهم عن الإسلام و المسلمين، الأمر الذى ستكون له إيجابياته فى المستقبل.

غزوة دومة الجندل:

إيضاحات:

۱- دومة الجندل: مدينة بينها و بين دمشق خمس ليال، و تبعد عن المدينة

---

(۱) تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۲۰۳ و راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۷۱ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۸۹ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۳۸۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۱۰۵

خمس عشرة أوست عشرة ليلة. و هى بقرب تبوك «۱».

و قيل: دومة الجندل: اسم حصن «۲».

۲- صاحب دومة الجندل هو أكيدر بن عبد الملك الكندى، و هو يدين بالنصرانية، و هو فى طاعة هرقل ملك الروم «۳».

۳- هذه الغزوة أول غزوات النبى «صلى اللّه عليه و آله» إلى الروم «۴».

۴- قال المقدسى عن سنة خمس من الهجرة: «و هى سنة الزلازل» «۵».

تاريخ هذه الغزوة:

صرح البعض: بأن دومة الجندل كانت فى أواخر السنة الرابعة «۶».

و قال بعض آخر: إنها كانت بعد غزوة ذات الرقاع بشهرين و أربعة أيام «۷».

و ثالث يقول: إن الخندق كانت فى السنة الرابعة، و دومة الجندل بعدها

---

(۱) راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۹ عن ابن سعد، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۷۷ و سيرة مغلطاى ص ۵۴ و نهاية الأرب ج ۱۷ ص ۱۶۳ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۰۸ و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۲ و طبقات ابن سعد ج ۲ ص ۶۲ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۲۳ و التنبيه و الإشراف ص ۲۱۴ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۶.

(۲) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۹.

(۳) التنبيه و الإشراف ص ۲۱۵ و حبيب السير ج ۱ ص ۳۵۷.

(۴) البدء و التاريخ ج ۴ ص ۲۱۴.

(۵) التنبيه و الإشراف ص ۲۱۵.

(۶) راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۷۷.

(۷) نقله فى تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۰۶

فى الخامسة «۱».

و الأكثرون على أنها كانت فى السنة الخامسة فى شهر ربيع الأول منها «۲».

و عند ابن سعد: فى شهر ربيع الأول على رأس تسعة و أربعين شهرا من مهاجره «۳».

هذه الغزوة:

قال البعض: «أراد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أن يدنو إلى أدنى الشام، و قيل له: إنها طرف من أفواه الشام؛ فلو دنوت لها كان ذلك مما يفزع قيصر الخ ..» «۴».

---

(۱) تاريخ مختصر الدول ص ۹۵.

(۲) راجع ما يلى: السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۷۷ و ۱۷۸ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۹۲ و نقل عن الواقدى: أنها فى ربيع الآخر. و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۹ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۷۷ و الجامع للقيروانى ص ۲۸۱ و سيرة مغلطاى ص ۵۴ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ قسم ۲ ص ۲۹ و شذرات الذهب ج ۱ ص ۱۱ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۳۲ و أنساب الأشراف ج ۱ ص ۳۴۱ و حبيب السير ج ۱ ص ۳۵۷ و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۲ و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۴۰۲ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۶.

(۳) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۲ ص ۶۲ و نهاية الإب ج ۱۷ ص ۱۶۳ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۰۸.

(۴) مغازى الواقدى ج ۱ ص ۴۰۳ و راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۷۷ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۹۲ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۳۹۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۰۷

و قال بعض آخر: إنهم كانوا يعترضون المسافرين إلى المدينة و تجارهم «۱».

غير أن جمعا آخر من المؤرخين يقولون: إنه «صلى اللّه عليه و آله» سمع أن جمعا من قضاعة و غسان تجمعوا بكثرة فى دومة الجندل. و كان بها سوق عظيم، و تجار، بلغ رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: أنهم يظلمون من مر بهم. و أنهم يريدون أن يدنوا من المدينة. فاستخلف «صلى اللّه عليه و آله» على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى- و عند المسعودى: استخلف ابن أم مكتوم- و خرج لخمس ليال بقين من شهر ربيع الأول فى ألف من أصحابه.

فكان يسير الليل و يكمن النهار، و معه دليل من بنى عذرة يقال له مذكور. و قد نكب عن طريقهم، فلما كان بينه و بين دومة يوم قال الدليل:

يا رسول اللّه، إن سوائمهم ترعى عندك؛ فأقم حتى أنظر.

و سار مذكور حتى وجد آثار النعم؛ فرجع و قد عرف مواضعهم؛ فهجم النبى «صلى اللّه عليه و آله» على ماشيتهم؛ فأصاب من أصاب،

و هرب من هرب فى كل وجه.

و جاء الخبر إلى دومة الجندل، فتفرقوا، و رجع النبى «صلى اللّه عليه و آله».

و فى نص آخر: و نذر به القوم، فتفرقوا؛ فلم يجد إلا النعم و الشاء، فهجم على ماشيتهم و رعاتهم فأصاب من أصاب، و هرب من هرب فى كل وجه، و جاء الخبر أهل دومة، فتفرقوا.

---

(۱) التنبيه و الإشراف ص ۲۱۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۰۸

و نزل «صلى اللّه عليه و آله» بساحتهم، فلم يلق بها أحدا؛ فأقام بها أياما، و بث السرايا، و فرقها؛ فرجعوا و لم يصادفوا منهم أحدا و رجعت السرية بالقطعة من الإبل.

فرجع «صلى اللّه عليه و آله»، و دخل المدينة فى العشرين من ربيع الآخر، فكانت غيبته خمسا و عشرين ليلة «۱».

و قال المقدسى: «إن التجار و السابلة شكوا أكيدر الكندى عامل هرقل عليها، فسار إليها فى ألف رجل، يسير الليل و يكمن النهار، و أحس بذلك أكيدر فهرب، واحتمل الرحل، و خلى السوق، و تفرق أهلها، فلم يجد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أحدا، فرجع» «۲».

كانت تلك صورة عما يقوله المؤرخون عن هذه الغزوة قد جمعنا

---

(۱) راجع ما تقدم كله أو بعضه فى المصادر التالية: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۹ و طبقات ابن سعد ج ۲ ص ۶۲ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۷۷ و أنساب الأشراف ج ۱ ص ۳۴۱ و سيرة مغلطاى ص ۵۴ و حياة محمد لهيكل ص ۲۸۱ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ قسم ۲ ص ۲۹ و الوفاء ص ۶۹۱ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۳۲ و الثقات ج ۱ ص ۲۶۰ و التنبيه و الإشراف ص ۲۱۵ و حبيب السير ج ۱ ص ۳۵۷ و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۲ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۲۱۲ و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۴۰۳ و نهاية الأرب ج ۱۷ ص ۱۶۳ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۰۸ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۹۲ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۷۷ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۶ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۳۹۰ و ۳۹۱.

(۲) البدء و التاريخ ج ۴ ص ۲۱۴ و أشار إليه الذهبى فى تاريخ الإسلام (المغازى) ص ۲۱۲ (السابلة: عابر و السبيل).

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۰۹

شتاتها، و ألفنا بين متفرقاتها و مختلفاتها، فراجع المصادر التى فى الهوامش.

و قبل أن نواصل الحديث نتوقف قليلا لنسجل بعض الملاحظات و التحفظات فنقول:

مدة غيبته صلى اللّه عليه و آله عن المدينة:

قولهم: إن مدة غيبته «صلى اللّه عليه و آله» عن المدينة فى هذه الغزوة كانت خمسا و عشرين ليلة لا يصح.

لأنهم يقولون: إن دومة الجندل تبعد عن المدينة مسافة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة «۱»، فالذهاب و الإياب منها و إليها لسوف يستغرق أكثر من شهر.

يضاف إلى ذلك: أنه كان يسير الليل و يكمن النهار، فقد يحتاج المسير إليها و الحالة هذه إلى أكثر من ذلك أيضا.

هذا بالإضافة إلى أنهم يقولون: إنه أقام بها أياما يبث السرايا، فكيف تكون مدة غيبته عن المدينة خمسا و عشرين ليلة فقط؟!.

رجوع النبى صلى اللّه عليه و آله قبل بلوغ دومة!!

قد ادّعى البعض، كابن هشام: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» رجع قبل أن يصل إلى دومة الجندل «۲».

---

(۱) تقدمت مصادر ذلك فى أول هذا الفصل تحت عنوان: إيضاحات.

(۲) راجع: السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۲۴ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۹ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۷۷ عن ابن إسحاق و البداية و النهاية ج ۴ ص ۹۲ و دلائل النبوة ج ۳ ص ۳۹۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۱۱۰

و قد يكون لنا الحق فى أن نشك فى صحة هذا القول، ما دام أنه يعطى انطباعا سلبيا عن حالة المسلمين، فإن الرجوع لا بد أن يكون لأحد سببين، أو كليهما، و كلاهما مرفوض.

و هما:

الأول: إنه خاف من التعرض لقيصر، فإنه قد راجع حساباته فى الطريق؛ فأدرك أن هذا فى غير صالحه؛ فآثر الرجوع، و لو تسبب ذلك بنوع من الشعور بالضعف لدى المسلمين، و سوف يؤكد ذلك هيبة ملك الروم فى نفوسهم، و هذا مما لا يمكن قبوله فى حق النبى «صلى اللّه عليه و آله».

الثانى: إنه قد أحس بأن المدينة تتعرض لخطر من نوع ما فى حال غيابه عنها، سواء من داخلها، من قبل المنافقين و اليهود و غيرهم ممن لم يسلم حتى الآن، أو من خارجها، من قبل قريش و من معها من المشركين المتربصين حول المدينة، و فى سائر المناطق.

و هذه أيضا نقطة ضعف أخرى، كان من المفروض أن يكون «صلى اللّه عليه و آله» قد حسب حسابها، و أعد العدة لمواجهتها، قبل أن يخرج من المدينة. فلا يمكن أيضا قبول هذا السبب لما يتضمنه من نسبة القصور أو التقصير- و العياذ باللّه- إلى ساحة قدس النبى الأكرم «صلى اللّه عليه و آله».

التوجيه الأقرب:

و إذا صح أنه رجع و لم يبلغها، فالأظهر أنه قد بلغه أن أهلها قد عرفوا بمسيره إليهم، فتنحوا عنها إلى جهة غير معلومة، بحيث لم يعد ثمة فائدة من المسير إليهم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۱۱۱

لكن الذى يعترض طريق قبول ذلك هو تلك التفاصيل الكثيرة و الدقيقة التى يذكرها المؤرخون مما كان قد حصل فى غزوة دومة الجندل.

و لا سيما مع تصريحهم، بأنه لما كان بينه و بين دومة الجندل يوم، قال الدليل: يا رسول اللّه الخ .. و تصريحهم بأنه أقام أياما يبث السرايا فى النواحى.

فالأقرب أن يقال: إن هؤلاء الذين ادّعوا: أنه قد رجع قبل أن يبلغها قد غلطوا فى ذلك و ليس الغلط من مثل هؤلاء بعزيز.

و نسجل هنا ما يلى:

ألف: إننا نلاحظ: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» يختار المسير ليلا و الكمون نهارا، ليمكن له مفاجأة العدو، و أخذه على حين غرة، فيحقق بذلك الغرض من دون أن يتكبد المسلمون خسائر كبيرة، لو أن المشركين كانوا مستعدين للحرب، عارفين بمسير المسلمين إليهم.

و يكون بذلك قد قدم لنا أيضا مثلا فى التدبير الحربى السليم، الذى يوفر مزيدا من الفرص لتسجيل النصر الحاسم، من خلال الاستفادة من عنصر التخفى فى التحرك نحو الهدف المطلوب.

ب: إن تحرك النبى «صلى اللّه عليه و آله» و المسلمين، كان بهدف الحفاظ على حرية حركة الناس، و ضرب مصدر المتاعب حينما أصبحت طرق المواصلات و الإمدادات و التموين، الذى يأتى عن طريق التجارة مع المناطق الشمالية كسورية و ما والاها غير آمنة. إنه «صلى اللّه عليه و آله» قد تحرك ليصبح طريق الناس آمنا، و ليمكنهم من أن يتواصلوا و ينفع بعضهم بعضا من خلال نقل التجارب و المعارف، و نقل المنتجات، و غير ذلك.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۱۲

و هذا يشير إلى أن حق الحرية هذا مقدس، و لا يمكن المساس به من أى كان، و أنه لا يمكن للحاكم العادل أن يقف تجاه انعدام الأمن موقف اللامبالاة، و يعتبر أن ذلك لا يعينه، و إنما هو مسؤولية غيره، بل عليه أن يبادر إلى تحمل مسؤولية حماية حرية الناس فى تحركاتهم، و ترددهم بتجاراتهم و غيرها، رغم أن ذلك يحمل فى طياته خطر الاصطدام بعامل هرقل عظيم الروم، ثم بهرقل ذاته من بعده.

ج: يضاف إلى ما تقدم: أن ما جرى فى بدر الموعد، قد أعطى المسلمين المزيد من النشاط، و جعلهم يتحركون بصورة أكثر حيوية و فاعلية، حينما توجهوا إلى شمال الجزيرة، بعد أن توطدت هيبتهم فى الجنوب بسبب ما جرى فى غزوتى بدر الموعد، و حمراء الأسد، و غيرهما.

و معنى ذلك هو: أنهم قد عطفوا نظرهم إلى منطقة يعتبر قيصر الروم فيها هو الأقوى، و الأعظم نفوذا، و لا يتوقع القيصر أن تنشأ فى جزيرة العرب حركة تجترئ عليه، أو تسمح لنفسها بالتفكير بالتطاول على هيبته و سلطانه.

د: و الأكثر وقعا و تأثيرا فى هذه الغزوة: أن نجد النبى «صلى اللّه عليه و آله» حينما وصل إلى دومة الجندل، وفر أولئك الأشرار منها، قد بقى يبث السرايا و البعوث عدة أيام فى مختلف الاتجاهات، بحثا عن أولئك الأشرار الهاربين.

و معنى ذلك هو: أن هذا الهجوم قد كان مدروسا بعناية، و هدوء، و يراد له أن يترك آثاره فى المنطقة كلها، و لم يكن ثمة تسرع فى اتخاذ القرار فيه، و لا كان ناشئا عن اندفاع عاطفى، أو ما أشبه ذلك.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۱۳

ه: إن سرعة تحرك جيش بهذه الكثافة إلى بلد يبعد عنه مسيرة أيام كثيرة و ثقته بنفسه، و اطمئنانه إلى عدم جرأة أحد على العبث بالأمن فى بلده من بعده، ليدل على مدى ثقة هذا الجيش بنفسه و بقدراته، و على أنه قادر على تسديد ضربته لكل من تسول له نفسه أن يتآمر أو يشارك فى التآمر ضده، و عليه أن يحسب ألف حساب قبل أن يقدم على التحالف مع أعدائه و مناوئيه.

و إذا كان المسلمون أقوياء، فلسوف تتشوف نفوس الكثيرين للتحالف معهم، و الوقوف إلى جانبهم، و العيش فى كنفهم.

و لا أقل من أنهم سوف يسعون لإقامة علاقات طبيعية معهم. أما التحالف مع الأعداء، و مشاركتهم فى مناوأة المسلمين، فإنه يصبح أكثر صعوبة خصوصا من القبائل التى لا تتوفر لديها أعداد ضخمة و كافية لحماية نفسها من قوة لها هذا النشاط، و بهذا الحجم و المستوى.

و هذا من شأنه أن يضعف أمر قريش، و يقلل من الفرص المتاحة لجمع الحشود، و تحزيب الأحزاب لمواجهة المد الإسلامى العارم.

و: إن النبى «صلى اللّه عليه و آله» و المسلمين و هم يحاولون أن يقللوا من الخسائر البشرية ما أمكنهم، فإنهم يعتمدون طريقة الضغط السياسى و الروحى، على الخصم، و كذلك إضعافه اقتصاديا بصورة رئيسية باستيلائهم على مواشيهم و أموالهم، الأمر الذى يضعف مقاومتهم، و قدرتهم على تنظيم المؤامرات، و بذل الأموال لتجييش الجيوش لحرب المسلمين.

و ليس ذلك لأجل حب السلب و النهب، و جمع الأموال، و الشاهد على ذلك: أننا نجده «صلى اللّه عليه و آله» يجعل فداء أسير من

أسرى المشركين

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۱۴

تعليم عشرة أطفال من المسلمين القراءة و الكتابة، رغم شدة حاجة المسلمين لأقل شيء من المال. و قد تقدم ذلك فى غزوة بدر.

كما أننا نراه «صلى اللّه عليه و آله» حين يرتكب خالد بن الوليد جريمة فى حق بعض القبائل- و ذلك حينما أرسل خالدا لدعوة بنى جذيمة، فآمنهم، فلما وضعوا السلاح أمر بهم فكتفوا، ثم عرضهم على السيف- نراه «صلى اللّه عليه و آله» لما بلغه ذلك تبرأ من فعل خالد، ثم أرسل عليا «عليه السلام» فودى لهم الدماء، و ما أصيب لهم من الأموال، حتى إنه ليدى ميلغة الكلب «۱».

دومة الجندل حقيقة أم خيال؟!:

قال العلامة الحسنى: «إن أخبار هذه الغزوة أكثرها عن الواقدى، و أخباره فى الغالب من نوع المراسيل، و من البعيد أن يترك النبى «صلى اللّه عليه و آله» المدينة قرابة شهر كامل، كما يدّعى المؤلفون فى السيرة، إلى مكان بعيد مسافة تزيد عن خمسة عشر يوما، و الأعراب من حولها لا يزالون على الشرك، و هم يترقبون المسلمين، و يستغلون الفرصة المناسبة للوقيعة بهم.

و من ذا يمنعهم من المدينة إذا غاب عنها النبى «صلى اللّه عليه و آله» مع ألف من أصحابه و فيها من المنافقين ما لا يقل عددا عن المسلمين و كانوا على اتصال دائم بقريش و أحلافها من المشركين؟

---

(۱) راجع: الغدير ج ۷ ص ۱۶۹ عن سيرة ابن هشام ج ۴ ص ۵۳- ۵۷ و عن تاريخ أبى الفداء ج ۱ ص ۱۴۵ و عن أسد الغابة ج ۳ ص ۱۰۲ و عن الإصابة ج ۱ ص ۳۱۸ و ج ۲ ص ۸۱ و عن البخارى كتاب المغازى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۱۵

من البعيد أن يتركها ليغزو أطراف الجزيرة المتاخمة لحدود الشام فى مثل هذه الظروف إلا أن يكون مأمورا بذلك من اللّه سبحانه» «۱».

و نقول:

۱- إننا لا نستطيع أن نوافق على ما ذكره العلامة الحسنى «رحمه اللّه»، لأن ذلك لو كان، لكان مانعا من التحرك نحو أى من المناطق الأخرى، قريبة كانت أو بعيدة. فإن كثيرا من الغزوات كان النبى «صلى اللّه عليه و آله» يغيب فيها أياما كثيرة. فقد غاب فى غزوة بدر الموعد ست عشرة ليلة، منها ثمانية أيام أقامها فى بدر، و الباقى فى الطريق ذهابا و إيابا، و كانت غيبته فى ذات الرقاع خمس عشرة ليلة، و كانت غيبته فى غزوة بنى المصطلق ثمانية و عشرين يوما.

فقد كان بإمكان الأعداء أن يغتنموا فرصة غيابه للإغارة على المدينة، بصورة سريعة و خاطفة، أو احتلالها، لا سيما مع وجود اليهود و المنافقين، و المشركين فيها و حولها.

۲- و من جهة ثانية، فإن سير الأحداث يعطى: أن الرسول الأكرم «صلى اللّه عليه و آله» كانت له أجهزة استخبارات قوية و فاعلة لا يفوتها رصد أية تحركات أو تجمعات مريبة، بل و حتى المؤامرات و النوايا أحيانا.

و قد كانت مبثوثة فى مختلف الأنحاء و الأرجاء قريبة كانت أو بعيدة كما ألمحنا إليه فيما سبق.

و من الواضح: أن مهاجمة المدينة فى غياب الرسول «صلى اللّه عليه

---

(۱) سيرة المصطفى ص ۴۵۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۱۶

و آله» يحتاج إلى جمع قوى كثيرة من مختلف القبائل و لن يخفى ذلك على عيون الرسول الأكرم «صلى اللّه عليه و آله».

۳- أضف إلى ذلك: أن النبى كان قد عقد تحالفات و معاهدات كثيرة فى المنطقة، كما أنه قد عقد تحالفات مع سكان المدينة أنفسهم، يلزمهم فيها الدفاع و النصر، خصوصا إذا هوجم، فكيف إذا هوجموا؟

۴- و حين يظعن النبى «صلى اللّه عليه و آله» عن المدينة، فإنه لا يخليها نهائيا، بحيث لا تبقى فيها أية قوة عسكرية قادرة على ضبط الوضع داخليا، و الدفاع ضد العدو الخارجى قدر الإمكان لو دهمهم أمر، و إلى أن يأتى الرسول «صلى اللّه عليه و آله»، و يمسك هو بزمام المبادرة.

۵- مضافا إلى أن ضرب المدينة فى غياب النبى «صلى اللّه عليه و آله» لا يحسم الأمر، بل هو سوف يعرض من تسول له نفسه و يقدم على ذلك إلى العقاب الصارم، الذى لن يكون قادرا على دفعه عن نفسه. فإن الكل كانوا أصغر من أن يجرؤوا على ذلك، بعد أن عجزت قريش و فشلت ذلك الفشل الذريع. و لم يكن لأى من القبائل ما كان لقريش من قوة و شوكة، و نفوذ و منعة فى المنطقة بأسرها.

ذكريات أبى موسى الأشعرى فى دومة الجندل:

و يذكر المؤرخون: أن تحكيم الحكمين قد كان بدومة الجندل «۱».

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۹ و صفين ص ۵۳۵ و ۵۳۸ و ۵۴۰ و شرح نهج البلاغة للمعتزلى الشافعى ج ۲ ص ۲۴۸ و راجع: مروج الذهب ج ۲ ص ۳۵۲ و مصادر ذلك كثيرة جدا فلتراجع كتب التاريخ، حين الحديث حول قضية صفين، ثم التحكيم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۱۱۷

و فى كتاب الخوارج عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال: «مررت مع أبى موسى بدومة الجندل، فقال: حدثنى حبيبى «صلى اللّه عليه و آله»: أنه حكم فى بنى إسرائيل فى هذا الموضع حكمان بالجور، و أنه يحكم فى أمتى حكمان بالجور فى هذا الموضع.

قال: فما ذهبت الأيام حتى حكم هو و عمرو بن العاص فيما حكماه، قال: فلقيته.

فقلت: يا أبا موسى قد حدثتنى عن رسول اللّه.

فقال: و اللّه المستعان. كذا أورده المجد» «۱».

موادعة عيينة بن حصن الغادر:

و يذكر المؤرخون: أنه لما رجع النبى «صلى اللّه عليه و آله» من دومة الجندل وادع عيينة بن حصن الذى كانت أرضه قد أجدبت: أن يرعى بتغلمين و ما والاه إلى المراض، و كان ما هناك قد أخصب، و هو موضع بينه و بين المدينة ستة و ثلاثون ميلا على طريق الربذة «۲».

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۹ و ذكر هذه القصة أيضا و إن لم يصرح بأن التحكيم كان و سيكون فى دومة الجندل كل من: المسعودى فى مروج الذهب ج ۲ ص ۳۹۲ و شرح نهج البلاغة للمعتزلى ج ۱۳ ص ۳۱۵ و راجع ص ۳۱۶ و راجع: قاموس الرجال ج ۶ ص ۱۰۸ و ۱۰۹.

(۲) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۷۷ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۲ ص ۶۳ و راجع:

نهاية الأرب ج ۱۷ ص ۱۶۳ و سيرة مغلطاى ص ۵۴ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ قسم ۲ ص ۲۹ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۳۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۱۸

و سيأتى: أنه لما سمن حافره، و انتقل إلى أرضه أغار على لقاح «۱» رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بالغابة ..

حكومة القيم، أم حكومة المشاعر؟!

و غنى عن القول هنا: إن عيينة بن حصن كان لا يزال هو و من معه على الشرك و الكفر، الذى كان يناوئ الدعوة الإسلامية بكل الوسائل.

و لم يكن النبى «صلى اللّه عليه و آله» حين سمح له بما سمح يطمع فى الحصول على أى نفع من قبله، فلم يكن يريد فى مقابل ذلك مالا، و لا كان يريد منه أن ينصره على عدوه، و يتقوى به على مناوئيه، لا فى مال، و لا رجال.

كما أن عيينة لم يكن يملك قوة خارقة للعادة، بحيث يخشاه النبى «صلى اللّه عليه و آله» و ينصاع لما يطلبه منه.

كما أننا نلاحظ: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» لم يحاول استغلال حاجة عيينة و من معه، ليفرض عليهم شروطا، و يحصل على امتيازات سياسية، أو مادية، أو غير ذلك. بل هو لم يطلب حتى السماح لدعاته بأن يطرحوا مع الناس هناك قضية الإسلام و الإيمان، فضلا عما هو أبعد من ذلك.

بل تصرف النبى «صلى اللّه عليه و آله» على أساس ما لديه من مثل و قيم، و قناعات و منطلقات إيمانية و إنسانية، و من ثوابت أخلاقية و دينية.

فالنبى «صلى اللّه عليه و آله» يرى أن الحرب إنما تهدف إلى منع قوى

---

(۱) اللقاح: النياق الحلوب الغزيرة اللبن.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۱۹

الهيمنة و الاستكبار من فرض إرادتها، و مصادرة حرية الآخرين فى الفكر و فى الإيمان. و إلى دفع غائلة العدو الذى يريد سحق قوى الخير، و نسف قواعد الإيمان. و ليس للحرب أى دور حين تجرى الأمور بصورة طبيعية.

فإن السلاح الذى يعتمد عليه الإسلام هو الدليل القاطع و البرهان الساطع، و الدعوة إلى اللّه بالحكمة و الموعظة الحسنة، و الجدال بالتى هى أحسن ..

بل إن كل الجرائم التى ارتكبها مشركو قريش فى حق الإسلام و المسلمين لم تمنع النبى «صلى اللّه عليه و آله» من إرسال الأموال إلى مكة، حين علم أن أهلها يعانون من ضائقة كبيرة بسبب الجدب.

و لم يكن منطلقه فى ذلك، و لا فى موقفه هنا من عواطف ثائرة، تتحرك باندفاع و بعنفوان بصورة غير واعية و لا متزنة فى الحالات الطارئة. بل منطلقه «صلى اللّه عليه و آله» هو القيم و المثل العليا، و كل المعانى الإنسانية الصافية و النبيلة، فليس ثمة تناقض بين الأحاسيس و المشاعر، و بين الموقف الرسالى و المبدئى.

بل إن مشاعره «صلى اللّه عليه و آله» و أحاسيسه قد نمت و تربت فى ظل مبادئه و قيمه و من خلالها، فمنها تنطلق و إليها تنتهى، و على أساسها تقوم و تدوم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۲۱

القسم السابع من الخندق إلى الحديبية

اشارة

الباب الأول: التحضيرات لغزوة الخندق

الباب الثانى: معركة الخندق

الباب الثالث: غزوة بنى قريظة

الباب الرابع: غزوة المريسيع

الباب الخامس: حديث الإفك

الباب السادس: زواج زينب و أحداث أخرى بعد المريسيع

الباب السابع: سرايا و غزوات بين المريسيع و الحديبية

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۲۳

آيات حول غزوة الخندق:

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم قال تعالى: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْساءُ وَ الضَّرَّاءُ وَ زُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ «۱».

قال تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْها وَ كانَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيراً، إِذْ جاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَ مِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَ إِذْ زاغَتِ الْأَبْصارُ وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ وَ تَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا، هُنالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَ زُلْزِلُوا زِلْزالًا شَدِيداً، وَ إِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً.

وَ إِذْ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ يا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَ يَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ وَ ما هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِراراً، وَ لَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطارِها ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْها وَ ما تَلَبَّثُوا بِها إِلَّا

---

(۱) الآية ۲۱۴ من سورة البقرة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۲۴

يَسِيراً، وَ لَقَدْ كانُوا عاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الْأَدْبارَ وَ كانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُلًا قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَ إِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا، قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَ لا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَ لا نَصِيراً، قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَ الْقائِلِينَ لِإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا وَ لا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا، أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذا جاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ وَ كانَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً، يَحْسَبُونَ الْأَحْزابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَ إِنْ يَأْتِ الْأَحْزابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بادُونَ فِي الْأَعْرابِ يَسْئَلُونَ عَنْ أَنْبائِكُمْ وَ لَوْ كانُوا فِيكُمْ ما قاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا، لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً، وَ لَمَّا رَأَ الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزابَ قالُوا هذا ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ صَدَقَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ ما زادَهُمْ إِلَّا إِيماناً وَ تَسْلِيماً، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِيلًا، لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَ يُعَذِّبَ الْمُنافِقِينَ إِنْ شاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً، وَ رَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنالُوا خَيْراً وَ كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ وَ كانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزاً، وَ أَنْزَلَ الَّذِينَ ظاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مِنْ صَياصِيهِمْ وَ قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَ تَأْسِرُونَ

فَرِيقاً، وَ أَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَ دِيارَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ وَ أَرْضاً لَمْ تَطَؤُها وَ كانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً «۱».

---

(۱) الآيات ۹- ۲۷ من سورة الأحزاب.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۲۵

تقديم:

اشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ، الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ.

و الصلاة و السلام على محمد و آله الطاهرين، و بعد ..

فان حديثنا فى هذا القسم سيكون- إن شاء اللّه- عن غزوة الأحزاب:

«الخندق» و هى الغزوة التى سميت سورة قرآنية باسمها بسبب أهميتها البالغة ..

و حيث إن الحديث عن هذه الغزوة سوف يتخذ منحى تحقيقيا و تتبعيا، بالإضافة إلى وقفات تحليلية سريعة و مقتضبة، و متناثرة هنا و هناك، فسيكون من الصعب على القارئ لملمة أطراف الحديث و جمع شتات المطالب، و ربط بعضها ببعض و لو فى حدود الخطوط العامة للحدث.

و لأجل ذلك رأينا أن نذكر نصا مختصرا لهذه الغزوة يكاد يقتصر على عناوينها العامة.

فنقول:

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۲۶

موجز عن غزوة الخندق:

إنه فى السنة الرابعة- كما هو الأقوى- أو فى الخامسة- سار عدد من اليهود إلى مكة و استنفروا أهلها لقتال النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و استئصال المسلمين. واتصلوا أيضا بقبيلة غطفان، و قبائل عربية أخرى و حرضوهم على حرب محمد، و وعدوهم بالأموال؛ فساروا و هم ألوف كثيرة إلى المدينة لإنجاز هذا المهم.

فبلغ النبى «صلى اللّه عليه و آله» خبرهم، حفر خندقا حول المدينة من الجهة المكشوفة منها. و جعل للخندق أبوابا، و جعل على الأبواب حرسا.

و قد شارك النبى «صلى اللّه عليه و آله» بنفسه فى حفر الخندق، و ظهرت له «صلى اللّه عليه و آله» حينئذ كرامات و معجزات، سنذكرها فى الموضع المناسب إن شاء اللّه تعالى.

و قد عسكر «صلى اللّه عليه و آله» إلى جنب جبل سلع، و جعل الخندق بينه و بين الأحزاب، و جعل النساء و الصبيان فى بعض حصون المدينة، و استخلف على المدينة ابن أم مكتوم. و كان لواء النبى «صلى اللّه عليه و آله» مع على «عليه السلام».

و لما وافى الأحزاب فوجئوا بالخندق، و نزلوا فى الجهة الأخرى منه، و حاصروا المسلمين.

و ذهب حيى بن أخطب اليهودى إلى بنى قريظة، و لم يزل بهم حتى نقضوا العهد مع المسلمين.

فلما بلغ النبى «صلى اللّه عليه و آله» ذلك أرسل إليهم من يثبت له الأمر فرجعوا إليه و أخبروه بأن ما بلغه صحيح؛ فاشتد الأمر على

المسلمين

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۲۷

و ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، و عظم البلاء، و نجم النفاق، و كثر الخوض، و بلغت القلوب الحناجر.

و قال المنافقون و الذين فى قلوبهم مرض: ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً.

و كان أمير المؤمنين «عليه السلام» على العسكر كله بالليل يحرسهم، فإن تحرك أحد من قريش نابذهم. و كان النبى «صلى اللّه عليه و آله» يحرس بنفسه بعض مواضع الخندق.

و لم يكن بين المسلمين و المشركين قتال إلا- الرمى بالنبل و الحصا. و كان المشركون يتناوبون على الخندق، فلا يمكنهم عبوره و المسلمون يمنعونهم بالنبل و الحجارة.

و أصيب يومئذ سعد بن معاذ «رحمه اللّه» بسهم، رماه به حبان بن العرقة.

و قيل: رماه به أبو أسامة الجشمى، أو خفاجة بن عاصم.

فجعل سعد «رحمه اللّه» فى خيمة رفيدة، التى كانت تداوى فيها الجرحى. و يبدو أن جماعات من المسلمين قد تركوا النبى «صلى اللّه عليه و آله» و فروا، و اختبأوا فى حديقة هناك و فيهم عمر بن الخطاب و طلحة، و قد كشفت عائشة أمرهم، و ذلك بعد إصابة سعد بن معاذ.

كما إن النصوص تؤكد على: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد بقى فى ثلاث مئة من المسلمين.

بل فى نص آخر: إنه لم يبق مع النبى «صلى اللّه عليه و آله» سوى اثنى عشر رجلا فقط.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۲۸

و قد تحدثت الآيات القرآنية عن هؤلاء الفارين، فراجع سورة الأحزاب.

و مهما يكن من أمر: فقد انتدب فوارس من المشركين فأتوا مكانا ضيقا من الخندق، و أكرهوا خيلهم على عبوره، فعبره عكرمة بن أبى جهل، و عمرو بن عبد ود، و ضرار بن الخطاب الفهرى، و هبيرة بن أبى وهب، و حسل بن عمرو بن عبدود، و نوفل بن عبد اللّه المخزومى.

فخرج أمير المؤمنين «عليه السلام» فى نفر من المسلمين، حتى أخذوا عليهم الثغرة التى اقتحموها. و طلب عمرو بن عبد ود البراز فلم يبرز إليه أحد من المسلمين، و خافوا منه خوفا شديدا، لما يعرفون من شجاعته و فروسيته، و كان يعد بألف فارس. و طلب علىّ «عليه السلام» من النبى «صلى اللّه عليه و آله» أن يأذن له بمبارزته فلم يأذن له.

فكرر النداء، و أنشد الشعر، و عيّر المسلمين المحجمين عنه فطلب على الإذن مرة أخرى فلم يأذن له الرسول «صلى اللّه عليه و آله».

فلما كان فى المرة الثالثة، و لم يبادر إلى ذلك سوى على «عليه السلام» أذن له النبى «صلى اللّه عليه و آله» و عممه و دعا له، و قال: برز الإيمان كله إلى الشرك كله. فبارزه على «عليه السلام» فقتله. و قتل ولده حسلا، و نوفل بن عبد اللّه، وفر الباقون.

فقال «صلى اللّه عليه و آله»: «ضربة على يوم الخندق تعدل (أو أفضل من) عبادة الثقلين إلى يوم القيامة».

و زعمت بعض الروايات: أن الذى قتل نوفلا هو الزبير، و سيأتى الإشكال فى ذلك.

و تزعم بعض الروايات: أن نعيم بن مسعود قد ساهم فى إحداث

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۲۹

الفتنة بين بنى قريظة و بين المشركين.

و لكن الظاهر: هو أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» هو الذى ألقى فيما بينهم بذور الخلاف و الشك كما سنوضحه.

ثم أرسل اللّه سبحانه الريح على المشركين فكانت تكفأ قدورهم، و تطرح خيامهم، و تعبث بكل ما يحيط بهم، و قذف اللّه فى قلوبهم

الرعب، فعادوا بالخزى و الخيبة، و الرعب يلاحقهم، و كفى اللّه المؤمنين القتال.

و قال النبى «صلى اللّه عليه و آله» حينئذ: الآن نغزوهم و لا يغزوننا، فكان كما قال ..

و فى هذا القسم تجد التفصيل لكل ذلك، مع بعض التحقيق و التكذيب و التصديق، و التعديل و التحليل، حسبما يقتضيه المقام فإلى ما يلى من مطالب و فصول:

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۳۱

الباب الأول التحضيرات لغزوة الخندق

اشارة

الفصل الأول: الأحزاب إلى المدينة

الفصل الثانى: الخندق فى خطة الحرب و الدفاع

الفصل الثالث: حفر الخندق: أحداث و دلالات

الفصل الرابع: كرامات فى نطاق السياسة الإلهية

الفصل الخامس: جيش المسلمين و جيش المشركين فى المواجهة

الفصل السادس: غدر بنى قريظة

الفصل السابع: معنويات الجيشين و الرعب و الخوف أيام الحصار

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۳۳

الفصل الأول: الأحزاب إلى المدينة

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۳۵

تمهيد و بيان:

لقد كان لتوالى الحروب فى المنطقة فيما بين المسلمين من جهة و بين أعدائهم من اليهود و المشركين و من تبعهم من جهة أخرى، و انشغال المسلمين الدائم بهذه الحروب تأثير قوى على حالة المسلمين الإقتصادية، حيث اختلت الحياة التجارية و الحرفية و ظهرت عوارض خطيرة فيما يختص بالشأن الزراعى، حيث كانت الزراعة بمثابة العمود الفقرى للإقتصاد بالنسبة لأهل المدينة على الخصوص.

و قد بدأت بوادر الحاجة الملحة فى النواحى المعيشية، و شحة المواد الغذائية تظهر بصورة و بأخرى فى هذا المجتمع الإسلامى الصغير الناشئ، و المحاط بالأعداء، و المستهدف بالشر و السوء من كل ناحية و مكان.

و بعد أن خاض المسلمون عدة حروب، و مروا بأزمات كثيرة فى أكثر من اتجاه، و بعد كسر شوكة بنى النضير، و كشف خياناتهم و إفشال مؤامراتهم، و بعد غزوة ذات الرقاع و غيرها .. جاء تأجيل المشركين للحرب فى بدر الموعد بسبب رعبهم و خوفهم ثم استفادة المسلمين تجاريا من سوق بدر بهذه المناسبة أمرا يبعث على الإرتياح، و يثير البهجة و الأمل، و الشعور لديهم بإمكانية تحسن الأوضاع المعيشية، حيث يتوفر الوقت الكافى لإعادة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۳۶

تنظيم مواسمهم الزراعية، و الإنتعاش إقتصاديا فى مجالات أخرى من حرفية، و تجارية و غيرها فى أجواء يهيمن عليها السلام و الأمن، و الطمأنينة النسبية.

هذا بالإضافة إلى توفر الوقت لمواجهة المشكلات التى خلفتها الحروب السابقة، فردية كانت أو اجتماعية، و محاولة وضع الحلول المناسبة لها، أو التخفيف من وطأتها. و عسى و لعل يمكنهم أيضا ترتيب العلاقات بمن يحيطون بهم فى المنطقة بصورة أكثر حميمية و صفاء، و صياغتها بصورة أكثر قوة و ثباتا عنها من ذى قبل.

ثم إنهم بعد وفوق كل ذلك يصبحون أقدر على ممارسة دور الإعلام المركز و الهادئ للدعوة الإلهية التى يحملونها، و يقومون بواجبهم فى نشرها، لتقوم على أسس متينة و رصينة من القناعات العقلية و الوجدانية، و لتثمر من ثم حياة فى الفكر، و يقظة فى الضمير و مسؤولية و طهرا فى الوجدان.

فجاءت حرب الأحزاب المفاجئة لتبدد كل هذه الآمال، و لتزيد من قسوة الظروف، و مرارة المعاناة، و لتكون الكابوس المخيف و المخيف جدا.

خصوصا بما تميزت به من حشد بشرى هائل، و إعداد و استعداد لم تعرفه المنطقة من قبل. مع هذا الإجماع المستقطب تقريبا على العداء لهم من مختلف القبائل و الديانات و الشعوب التى تعيش فى المنطقة. يصاحبه اطمينان إلى التعاطف و التأييد من كل الآخرين من أى الديانات، أو الفئات كانوا، فى جزيرة العرب، أو فى خارجها.

ثم إن حركة الأحزاب قد جاءت محرجة للمسلمين إلى درجة كبيرة و خطيرة من الناحية العسكرية و الاستراتيجية الحربية، لأنها اتخذت صفة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۳۷

هجوم شامل عليهم، من مختلف المواضع و المواقع، إِذْ جاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَ مِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ.

يقابل ذلك: ضعف ظاهر لدى المسلمين، فى العدة و فى العدد، و اختراق خطير من قبل الأعداء لصفوف أهل الإيمان، من خلال قوى النفاق التى كانت تتغلغل داخل جسم هذا المجتمع الإسلامى الصغير و الناشئ.

هذا كله، بالإضافة إلى المشاكل المعيشية و الحياتية على مستوى الفرد و الجماعة. سواء تلك المشاكل الناشئة عن الحروب و المواجهات مع الأعداء، أو المشاكل التى تنشأ عادة من صياغة حياة اجتماعية لفئات تعانى أصلا من تناقضات كثيرة فيما بينها، بسبب اختلافها فى مستوياتها و فى حالاتها الطبيعية و العارضة، و بسبب وجود الكثير مما هو من مخلفات الجاهلية الرعناء.

و لا ننسى هنا الإشارة إلى ضعف تأثير العامل القبلى لدى الفريق الإسلامى، لأن المسلمين كانوا لا يشكلون تيارا قبليا زاخرا و هادرا ذالون واحد، لأنهم عبارة عن مجموعات صغيرة من قبائل شتى، فيبقى الشعور و العصبية للقبيلة هو العامل الأضعف تأثيرا على صعيد رص الصف، و تقوية البنية، و تأكيد اللحمة الداخلية. و إنما الحالة الإيمانية و الدينية وحدها هى التى توحدهم، و تشد من أزرهم، و تشحذ فيهم الهمم، و تبعث فيهم روح الإباء و الشمم. و قد كانت هذه الروح فى بدايات تكوينها لدى الكثيرين منهم فلم تكن مؤهلة للصمود كثيرا و طويلا فى المواضع الصعبة و الخطيرة.

و أخيرا .. نشير إلى أن تحزيب الأحزاب قد انطلق من خلال قناعة تامة،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۳۸

و من شعور أكيد بأن قوة المسلمين قد بلغت حدا لم يعد يمكن القضاء عليها إلا بحشد كامل و شامل لكل القدرات و القوى المادية و المعنوية على مستوى المنطقة بأسرها. و هذا ما حصل بالفعل، كما سنرى. و يمكرون و يمكر اللّه، و اللّه خير الماكرين.

تحزيب الأحزاب فى روايات المؤرخين:

لقد ذكر المؤرخون- و النص فى أكثره للواقدى-: أنه لما أجلى النبى «صلى اللّه عليه و آله» يهود بنى النضير، ساروا إلى خيبر. و كان بها من اليهود قوم أهل عدد و جلد (و ليس لهم من البيوت و الأحساب ما لبنى النضير) فخرج عدد من اليهود، بعضهم من بنى وائل و الباقون من بنى النضير، و هم بضعة عشر رجلا، أو حوالى عشرين، خرجوا إلى مكة يدعون قريشا واتباعها إلى حرب محمد «صلى اللّه عليه و آله». و كان ذلك فى السنة الرابعة، أو الخامسة أو السادسة للهجرة.

و هؤلاء هم- كما ورد فى النصوص المختلفة-: حيى بن أخطب، و كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق، و هوذة بن الحقيق، و هوذة بن قيس الوائلى (أو الوالبى كما فى الإرشاد) و هو أوسى من بنى خطمة، و ابو عامر الراهب أو أبو عمار،- الوائلى- أو أبو عمارة الوالبى، كما عند المفيد فى نفر من بنى والبة.

و زاد البعض: سلام بن مسلم.

و أضاف آخر: «حوج بن عامر، و أبا رافع، و الربيع بن أبى الحقيق» «۱».

---

(۱) راجع: جامع البيان ج ۵ ص ۸۶ و تفسير القرآن العظيم ج ۲ ص ۵۱۳ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۴۰۸ فقد ذكر أبا عمار و حوج بن عمرو.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۳۹

و أضاف غيره: «سلام بن أبى الحقيق، لكن عند ابن الأثير: عبد اللّه بن سلام بن أبى الحقيق».

قال المفيد: «فصاروا إلى أبى سفيان لعلمهم بعداوته لرسول اللّه، و تسرعه لقتاله، فذكروا له ما نالهم منه. و سألوه المعونة على قتاله، فقال: إنا لكم حيث تحبون، فاخرجوا إلى قريش، فادعوهم إلى حربه، واضمنوا النصرة لهم، و الثبوت معهم حتى تستأصلوه. فطافوا على وجوه قريش، و دعوهم إلى حرب النبى».

و يستمر الواقدى و غيره فيقولون: فقالوا لقريش: نحن معكم حتى نستأصل محمدا.

أو قالوا: سنكون معكم عليه، حتى نستأصله و من معه.

قال أبو سفيان: هذا الذى أقدمكم و نزعكم؟

قالوا: نعم. جئنا لنحالفكم على عداوة محمد و قتاله.

قال أبو سفيان: مرحبا و أهلا، أحب الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمد.

زاد فى نص آخر قوله: «و لكن لا نأمنكم إلا إن سجدتم لآلهتنا، حتى نطمئن إليكم؛ ففعلوا» «۱».

قال النفر: فأخرج خمسين رجلا من بطون قريش كلها، أنت فيهم، و ندخل نحن و أنت بين أستار الكعبة، حتى نلصق أكبادنا بها ثم نحلف

---

(۱) و يقال: إن ذلك أيضا قد كان فى مرة سابقة، و ذلك حين جاء كعب بن الأشرف و من معه، يطلبون منهم المسير إلى حرب محمد «صلى اللّه عليه و آله» و المسلمين.

و ربما يكون ذلك قد حصل مرة واحدة، لكن الأمر قد اشتبه على الرواة. و اللّه هو العالم بحقيقة الحال.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۴۰

باللّه جميعا: لا يخذل بعضنا بعضا، و لتكونن كلمتنا واحدة على هذا الرجل، ما بقى منا رجل.

ففعلوا، فتحالفوا على ذلك، و تعاقدوا.

ثم قالت قريش بعضها لبعض: قد جاءكم رؤساء أهل يثرب و أهل العلم و الكتاب الأول، فسلوهم عما نحن عليه و محمد: أينا أهدى؟!

قالت قريش: نعم.

فقال أبو سفيان: يا معشر اليهود، أنتم أهل الكتاب الأول و العلم، أخبرونا عما أصبحنا فيه نحن و محمد، ديننا خير أم دين محمد؟! فنحن عمّار البيت، و ننحر الكوم (أى الناقة عالية السنام)، و نسقى الحجيج، و نعبد الأصنام.

قالوا: اللهم أنتم أولى بالحق، إنكم لتعظمون هذا البيت و تقومون على السقاية، و تنحرون البدن «۱»، و تعبدون ما كان عليه آباؤكم، فأنتم أولى بالحق منه. فأنزل اللّه فى ذلك: أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَ الطَّاغُوتِ وَ يَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هؤُلاءِ أَهْدى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا «۲». فاتّعدوا لوقت وقتوه.

و فى نص آخر: «فلما قالوا ذلك لقريش نشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و أجمعوا لذلك و اتّعدوا له».

فقال صفوان بن أميۀ: يا معشر قريش، إنكم قد وعدتم هؤلاء القوم لهذا الوقت و فارقوكم عليه، ففوا لهم به! لا يكون هذا كما كان وعدنا محمدا

---

(۱) الآيۀ ۵۱ من سورۀ النساء.

(۲) البدن: النياق و الأبقار التى كانت تسمّن لتنحر لدى البيت الحرام.

الصحيح من السيرۀ النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۴۱

بدر الصفراء، فلم نف بموعده، و اجترأ علينا بذلك. و قد كنت كارها لميعاد أبى سفيان يومئذ.

فخرجت اليهود حتى أتت غطفان [و قيس عيلان] و أخذت قريش فى الجهاز، و سيرت فى العرب تدعوهم إلى نصرها، و ألّبوا أحابيشهم و من تبعهم.

ثم خرجت اليهود حتى جاؤوا بنى سليم، فوعدوهم يخرجون معهم إذا سارت قريش، ثم ساروا فى غطفان، فجعلوا لهم تمر خيبر سنۀ، و ينصرونهم و يسيرون مع قريش إلى محمد، إذا ساروا.

فأنعمت بذلك غطفان، و لم يكن أحد أسرع إلى ذلك من عيينۀ بن حصن.

قال ابن خلدون: و خرج بهم عيينۀ بن حصن على أشجع «۱».

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۱ ص ۴۴۱- ۴۴۳، و ذكرت هذه النصوص باختصار أو بتفصيل فى المصادر التالية: سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۱۲ و ۵۱۳ و عيون الأثر ج ۲ ص ۵۵ و حبيب السير ج ۱ ص ۳۵۹ و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۷۸ و الثقات ج ۱ ص ۲۶۴ و ۲۶۵ و الدر المنثور ج ۲ ص ۱۷۲ عن ابن إسحاق، و ابن جرير و جامع البيان ج ۵ ص ۸۶ و الإكتفاء للكلاعى ج ۲ ص ۱۵۸ و السيرۀ النبويۀ لابن هشام ج ۳ ص ۲۲۵ و ۲۲۶ و إعلام الورى ص ۹۰ و تفسير القرآن الكريم ج ۲ ص ۵۱۳، و الوفاء ص ۶۹۲ و أنساب الأشراف ج ۱ ص ۳۴۳.

و راجع: دلائل النبوۀ للبيهقى ج ۳ ص ۳۹۹ و ۳۹۸ ففيه نصوص تختلف عن الذى ذكرناه و راجع ص ۴۰۸ و ۴۰۹ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۳۳ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۲۳۳ فما بعدها و البداية و النهاية ج ۴ ص ۹۴ و ۹۵ و جوامع السيرۀ النبويۀ ص ۱۴۸ و السيرۀ النبويۀ لابن كثير ج ۳ ص ۱۸۱ و ۱۸۲ و البدء و التاريخ ج ۴ ص ۲۱۶ و ۲۱۷ و تجارب الأمم ج ۱ ص ۱۴۹-

الصحيح من السيرۀ النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۴۲

و ذكر البعض: أن كنانة بن أبى الحقيق جعل نصف تمر خيبر لغطفان فى كل عام «۱».

و ذكروا أيضا: أن قريشا كتبت إلى رجال من بنى سليم، بينهم و بينهم أرحام، استمدادا لهم، فأقبل أبو الأعور بمن تبعه من بنى سليم مددا لقريش. ثم كتب اليهود إلى حلفائهم من بنى سعد أن يأتوا إلى إمدادهم «۲».

و حسب نص البلاذرى: «و كان عيينة بن حصن الفزارى أسرع القوم إلى إجابتهم، ثم أتوا بنى سليم بن منصور فسألوهم مثل ذلك فأنجدوهم

- و نهاية الأرب ج ۱۷ ص ۱۶۶ و ۱۶۷ و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۷ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ ق ۲ ص ۲۹ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۰۹ و ۳۱۰ و السيرة النبوية لدحلان ج ۲ ص ۲ و تهذيب سيرة ابن هشام ص ۱۸۸ و ۱۸۹ و تفسير القمى ج ۲ ص ۱۷۶- ۱۸۸ و البحار ج ۲۰ ص ۲۱۶- ۲۳۳ و ۱۹۷ و ۲۵۰ و ۲۵۱ و شرح بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۶۲ و ۲۶۳ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۰ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۱۰ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۲۱۶- ۲۱۸ و حدائق الأنوار ج ۲ ص ۵۸۴ باختصار، و الإرشاد للمفيد ص ۵۰ و ۵۱ و كشف الغمة للأربلى ج ۱ ص ۲۰۱ و ۲۰۲ و مجمع البيان ج ۸ ص ۳۴۰.

(۱) الإكتفاء للكلاعى ج ۲ ص ۱۵۸، لكن ذكرت مصادر أخرى: أنهم جعلوا لهم تمر خيبر سنة، فراجع: إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۲۱۷ و أنساب الأشراف ج ۱ ص ۳۴۳ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۰. و راجع أيضا: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۰ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۴۳ و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۰۱ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۰۱ و السيرة النبوية لدحلان ج ۲ ص ۲.

(۲) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۰ و راجع: الإكتفاء للكلاعى ج ۲ ص ۱۵۹ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۳۹۸ و ۳۹۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۴۳

و ساروا فى جميع العرب ممن حولهم، فنهضوا معهم. فخرجت قريش فى من ضوى إليها و لافها من كنانة و ثقيف و غيرهم و لحقتهم أفناء العرب عليه قادتها و كبراؤها» «۱».

تجمع القوى:

و يستمر الواقدى فيقول:

و خرجت قريش و من تبعها من أحابيشها أربعة آلاف.

و عقدوا اللواء فى دار الندوة.

زاد فى بعض المصادر قوله: «و حمله عثمان بن أبى طلحة، و قائد القوم أبو سفيان».

و قادوا معهم ثلاث مئة فرس، و كان معهم من الظهر ألف بعير، و خمس مئة بعير.

و أقبلت سليم فلاقوهم بمر الظهران، و بنو سليم يومئذ سبع مئة يقودهم سفيان بن عبد شمس، حليف حرب بن أمية، و هو أبو أبى الأعور، الذى كان مع معاوية بن أبى سفيان بصفين.

لكن عند القمى: أن قائدهم هو عباس بن مرداس. و خرج أيضا الأقرع بن حابس فى قومه.

و خرجت قريش يقودها أبو سفيان بن حرب.

و خرجت بنو أسد، و قائدها طلحة (طليحة ظ) بن خويلد الأسدى.

---

(۱) أنساب الأشراف ج ۱ ص ۳۴۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۴۴

و خرجت بنو فزارة و أوعبت «۱»، و هم ألف يقودهم عيينة بن حصن.

و نص آخر يقول: «خرجت غطفان و قائدها عيينة بن حصن».

و خرجت أشجع و قائدها مسعود بن رخيلة (أو مسعر بن زحيلة أو جبلة) و هم أربع مئة، و لم توعب أشجع.

[و عند المفيد: و وبرة بن طريف فى قومه من أشجع].

و خرج الحارث بن عوف يقود قومه بنى مرة، و هم أربع مئة «۲».

---

(۱) أوعب القوم: خرجوا كلهم إلى الغزو.

(۲) المغازى للواقدى ج ۱ ص ۴۴۴ و ذكر ذلك باختصار أو بتفصيل فى المصادر التالية: الإكتفاء ج ۲ ص ۱۵۹ إعلام الورى ص ۹۰ وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۰۱ و السيرة النبوية لدحلان ج ۲ ص ۲ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۰ و ۴۸۱ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۳۳ و ۲۳۶ و الوفاء ص ۶۹۲ و ۶۹۳ و الثقات ج ۱ ص ۲۶۵، و عيون الأثر ج ۲ ص ۵۵ و تهذيب سيرة ابن هشام ص ۱۹۰ و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۷۸ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۳۰ و ۲۳۱ و مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۱۹۷ و تهذيب سيرة ابن هشام ص ۱۸۹ و راجع:

جوامع السيرة النبوية ص ۱۴۸ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۲۳۳ و ۲۳۴ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۸۲ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۹۵ و راجع ص ۱۰۲ و راجع: المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۱۰ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۱ و الإمتاع ج ۱ ص ۲۱۸ و ۲۱۹ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۱۳ و ۵۱۴ و الإرشاد للمفيد ص ۵۱ و كشف الغمة للأربلى ج ۱ ص ۲۰۲ و تفسير القمى ج ۲ ص ۱۷۷ و البحار ج ۲۰ ص ۲۱۷ عنه و ص ۱۹۷ و ۲۵۱ و مجمع البيان ج ۸ ص ۳۴۰ و نهاية الأرب ج ۱۷ ص ۱۶۷ و عيون الأثر ج ۲ ص ۵۶ و محمد فى المدينة ص ۵۴ و راجع: فتح البارى ج ۷ ص ۳۰۱ و شرح الأخبار ج ۱ ص ۲۹۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۱۴۵

الأحزاب إلى المدينة:

و وافى الأحزاب المدينة بعد أن فرغ رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» من حفر الخندق «۱». و كان الذين وافوا من قريش، و سليم، و غطفان، و أسد عشرة آلاف بقيادة أبى سفيان؛ فنزلت قريش برومة، و وادى العقيق فى أحابيشها، و من ضوى إليها من العرب، و نزلت غطفان بالزغابة إلى جانب أحد.

و جعلت قريش تسرح ركابها فى وادى العقيق، فى عضاهه و ليس هناك شىء للخيل إلا ما حملوه معهم من علف، و كان علفهم الذرة. و سرحت غطفان إبلها إلى الغابة، فى أثلها و طرفائها.

و قدموا فى زمان حصد الناس زرعهم قبله بشهر. و أدخلوا حصادهم، و أتبانهم. و كانت غطفان ترسل خيلها فى أثر الحصاد- و كانت خيل غطفان ثلاث مئة- فيمسك ذلك من خيلهم لكن إبلهم كادت تهلك من الهزال.

و كانت المدينة ليالى قدموا جديبة «۲».

---

(۱) تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۲۳۶ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۶۲ و الإكتفاء للكلاعى ج ۲ ص ۱۶۲ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۳ و حدائق الأنوار ج ۲ ص ۵۸۷ و كشف الغمة للأربلى ج ۱ ص ۱۹۷ و غير ذلك.

(۲) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۴۴. و راجع إجمال أو تفصيل ذلك فى: الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۸۰ و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۰۱ و الثقات ج ۱ ص ۲۶۶ و الإكتفاء للكلاعى ج ۲ ص ۱۶۲ و تهذيب سيرة ابن هشام ص ۱۹۰ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۳۰

و ۲۳۱ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۲۳۶ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۳۶ و ۲۳۷ و السيرة النبوية لابن كثير-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۴۶

و يقول نص آخر: نزلت كنانة برومة، و غطفان بالزغابة إلى نقمى «۱».

و عند البعض: نزلت قريش بمجتمع السيول من رومة، بين الجرف و زغابة. و نزل عيينة فى غطفان و من معه من أهل نجد إلى جانب أحد بباب نعمان (أو ذنب نقمى) «۲».

و نص آخر يقول: نزلت قريش بمجتمع السيول من رومة، بين الجرف و رباعة «۳» و لعله تصحيف: زغابة.

أما القمى فقال: نزلت قريش و حلفاءها من كنانة بالعقيق و نزلت فزارة بالزغابة و نزلت سليم و غيرهم حصن بنى ذبيان «۴».

مناقشات و إيضاحات:

و لنا فيما تقدم العديد من المناقشات و التحفظات، كما أنه يحتاج إلى بعض الإيضاحات. و نحن نذكر فيما يأتى نماذج لكلا هذين الأمرين، فنقول:

- ج ۳ ص ۱۹۷ و ۱۹۸ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۰۲ و ۱۰۳ و راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۲۵ و ۵۲۶ و تفسير القمى ج ۲ ص ۱۷۹ و ۱۸۰ و البحار ج ۲۰ ص ۲۲۱ و عيون الأثر ج ۲ ص ۵۸.

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۵۵.

(۲) الإكتفاء للكلاعى ج ۲ ص ۱۶۲ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۲۳۶ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۰۷ و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۰۱ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۳ و فيه: أنه واد بجانب أحد. و راجع: دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۱۰۹ و فيه: نزلوا بنقمين. و جوامع السيرة النبوية ص ۱۴۹.

(۳) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۳.

(۴) تفسير القمى ج ۳ ص ۱۸۰ و البحار ج ۲۰ ص ۲۲۱ عنه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۴۷

تاريخ غزوة الخندق:

لقد اختلف المؤرخون فى تاريخ غزوة الخندق.

فقالت طائفة منهم: إنها كانت سنة خمس من الهجرة.

ذهب إلى ذلك: الواقدى و ابن إسحاق، و المقريزى، و الطبرى، و ابن الأثير، و البيهقى، و الذهبى، و ابن حبيب، و ابن الكازرونى و المقدسى، و ابن القيم، و ابن حجر، و ابن العماد، و المسعودى.

و كذا روى عن عروة، و قتادة و أحمد، و غيرهم كثيرون، كما يتضح من المصادر فى الهامش «۱».

---

(۱) لكى تجد القول بأن هذه الغزوة كانت فى السنة الخامسة، إما بصورة قول تبناه المؤلف أو يذكره بلفظ قيل، راجع المصادر التالية: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۴۰ و ۴۴۱ و تاريخ ابن الوردى ج ۱ ص ۱۶۰ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۲۴ و ۲۴۱ و الإكتفاء للكلاعى ج ۲ ص ۱۵۸ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۳۹۵ و البدء و التاريخ ج ۴ ص ۲۱۷ و صححه، و شذرات الذهب ج ۱ ص

۱۱، و مختصر التاريخ ص ۴۲ و المختصر فى اخبار البشر ج ۱ ص ۱۳۴ و عيون الأثر ج ۲ ص ۵۵ و ۶۴ و تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۵۰ و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۷۸ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۳۳ و تهذيب سيرة ابن هشام ص ۱۸۸ و ۱۹۵ و تفسير القمى ج ۲ ص ۱۷۶ و البحار ج ۲۰ ص ۲۱۶ و ۲۰۸ عنه و نقله فى ص ۲۷۱ عن إعلام الورى لكن الموجود فى إعلام الورى أنها فى الرابعة. و المحبر ص ۱۱۳ و مروج الذهب ج ۲ ص ۲۱۹ و الثقات ج ۱ ص ۲۶۴ و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۰۰ و حبيب السير ج ۱ ص ۳۵۹ و شرح بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۶۲ و بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۶۲ بلفظ: قيل. و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۲۱۶ و الجامع للقيروانى ص ۲۷۹ و ۲۸۱ و التنبيه و الإشراف ص ۱۱۵ و أنساب-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۱۴۸

أما اليعقوبى فيقع فى الغلط، حيث يقول: إن الخندق كانت «فى السنة السادسة، بعد مقدم رسول اللّه بالمدينة بخمسة و خمسين شهرا» «۱».

فإن عدد الأشهر المذكور يقتضى أن تكون فى السنة الخامسة لا السادسة، كما هو ظاهر.

و ثمة فريق آخر يقول: إن هذه الغزوة كانت فى السنة الرابعة و هو ما ذهب إليه مالك، ورواه أحمد فى مسنده عنه.

و ذهب إليه أيضا: ابن العربى، و عياض، و ابن حزم، و ابن الدبيع، و الصاحب بن عباد و ابن حبيب، و صححه ابن خلدون، و النووى فى الروضة و قوّاه البخارى ورواه موسى بن عقبة عن الزهرى، و به قال

- الأشراف ج ۱ ص ۳۴۳ و مجمع البيان ج ۸ ص ۲۰۸ و نهاية الأرب ج ۱۷ ص ۱۶۶ و راجع: فتح البارى ج ۷ ص ۳۰۲ عن ابن إسحاق و السيرة النبوية لدحلان ج ۲ ص ۲ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۶۱ و نسبه إلى الجمهور.

و راجع: البداية و النهاية ج ۴ ص ۹۳ و ۹۴ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۸۰ و ۱۸۱ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۷۹ و ۴۸۰ عن ابن إسحاق و فتوح البلدان ج ۱ ص ۲۳ و صفة الصفوة ج ۱ ص ۴۵۵- ۴۵۹ و الطبقات الكبرى ج ۲ ق ۲ ص ۴۷ و ج ۴ ق ۱ ص ۶۰ و المصنف للصنعانى ج ۵ ص ۳۶۷ و سيرة مغلطاى ص ۵۶ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر لابن خلدون ج ۲ ق ۲ ص ۲۹ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۲۸ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۱۰ و الرصف ج ۱ ص ۶۰ بلفظ قيل.

و راجع: جوامع السيرة النبوية ص ۱۴۸ و تاريخ الإسلام للذهبى و المغازى ص ۲۰۵ و سير أعلام النبلاء ج ۱ ص ۲۸۹ و ۲۹۰.

(۱) تاريخ اليعقوبى (ط دار صادر) ج ۲ ص ۵۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۱۴۹

الفاكهانى فى رياض الأفهام، و يعقوب بن سفيان «۱».

بل قال ولى الدين العراقى: «المشهور أنها فى السنة الرابعة» «۲».

و مقتضى هذا القول: أن أبا سفيان قد خرج لبدر الموعد فى شعبان ثم

---

(۱) راجع المصادر التالية، فإنها قد ذكرت هذا القول فى: عنوان المعارف فى ذكر الخلائف ص ۱۲ و جوامع السيرة النبوية ص ۱۴۸ و قال: الثابت أنها فى الرابعة بلا شك. و المحبر ص ۱۱۳ و صحيح البخارى ج ۳ ص ۲۰ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۰۲ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۹۳ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۸۰ و إعلام الورى ص ۹۰ و تاريخ ابن الوردى ج ۱ ص ۱۶۰ و شرح صحيح مسلم للنووى بهامش إرشاد السارى ج ۸ ص ۶۴ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر لابن خلدون ج ۲ ق ۲ ص ۲۹ و ۳۳ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۰ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۱۰ و تاريخ مختصر الدول ص ۹۵ و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۰۰ و تاريخ الإسلام (المغازى) للذهبى ص ۲۰۵ و ۲۴۴ عن ابن عقبة عن ابن شهاب، و عروة عن ابن عقبة، و النووى. و شذرات الذهب ج ۱ ص ۱۱ عن النووى.

و راجع: الجامع للقيروانى ص ۲۷۹ و ۲۸۱ عن مالك، و سيرة مغلطاى ص ۵۶ و بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۶۲ و عيون الأثر ج ۲ هامش ص ۵۵ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۳۹۳ و ۳۹۵ و ۴۰۰ و ۳۹۴ و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۳۴۵ و تهذيب الكمال ج ۱۰ ص ۳۱ و مناقب آل أبى طالب ج ۴ ص ۷۶ و مرآة الجنان ج ۱ ص ۹ و السيرة النبوية لدحلان ج ۲ ص ۲ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۲۸ و راجع: إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۲۱۶ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۶۱ و حدائق الأنوار ج ۱ ص ۵۲ متنا و هامشا عن الدرر فى اختصار المغازى. و السير للقرطبى ص ۱۷۹ و ذهب إليه العاقولى فى الرصف ج ۱ ص ۶۰.

(۲) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۰ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۱۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۱۵۰

عاد و خرج إلى الخندق فى شوال السنة الرابعة، كما ذهب إليه البعض «۱».

و عند الواقدى: أنها كانت فى ذى القعدة.

و قد حاول البيهقى الجمع بين هذين القولين، فقال: «قلت: لا اختلاف بينهم فى الحقيقة، و ذلك لأن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قاتل يوم بدر لسنتين و نصف من مقدمه المدينة فى شهر رمضان، ثم قاتل يوم أحد من السنة القابلة لسنتين و نصف من مقدمه المدينة فى شوال، ثم قاتل يوم الخندق بعد أحد بسنتين على رأس أربع سنين و نصف من مقدمه المدينة.

فمن قال سنة أربع، أراد: بعد أربع سنين، و قبل بلوغ الخمس.

و من قال: سنة خمس، أراد: بعد الدخول فى السنة الخامسة و قبل انقضائها «۲».

و نقول:

إن الظاهر هو صحة قولهم: إن غزوة الخندق كانت فى السنة الرابعة، وفقا لما اعتادوه من التاريخ، و لا حاجة إلى وجه الجمع الذى ذكره البيهقى و لا لغيره، و ذلك لما يلى:

۱- لقد قوّى البخارى القول بأنها كانت فى السنة الرابعة بقول ابن عمر:

إن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد عرضه يوم أحد، و هو ابن أربع عشرة سنة، فلم يجزه، ثم عرضه يوم الخندق، و هو ابن خمس عشرة سنة فأجازه ..

و من المعلوم: أن أحد كانت فى سنة ثلاث.

---

(۱) دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۳۹۶.

(۲) دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۳۹۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۱۵۱

و قد استدل بهذا أيضا: النووى، و ابن حزم، و ابن خلدون و غيرهم «۱».

و قد احتمل البعض: أن يكون ابن عمر فى غزوة أحد أول ما طعن فى الرابعة عشرة، و فى الأحزاب كان قد استكمل الخامسة عشرة. و بهذا أجاب البيهقى «۲».

---

(۱) راجع: صحيح البخارى ج ۳ ص ۲۰ و ج ۲ ص ۶۹ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ ق ۲ ص ۲۹ و ۳۳ و جوامع السيرة النبوية ص ۱۴۸ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۲۰۵ و ۲۴۴ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۰۲ و شرح صحيح مسلم للنووى (مطبوع بهامش إرشاد السارى) ج ۸ ص ۶۴ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۸۱ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۹۴ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۰ و ۴۸۱ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۱۰ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۴ ص ۱۰۵ و أنساب الأشراف ج ۱ ص ۳۴۳ و ۳۴۴ بإضافة

كلمة: «و أشف منها». و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۵۳ و المصنف للصنعانى ج ۵ ص ۳۱۰ و ۳۱۱ و مسند أحمد بن حنبل ج ۲ ص ۱۷ و صحيح مسلم ج ۶ ص ۳۰ و سنن ابن ماجة ج ۲ ص ۸۵۰ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۲۹ و ۳۱۵ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۶۱ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۳۹۶ و الجامع الصحيح للترمذى، كتاب الأحكام، باب ما جاء فى حد بلوغ الرجل و المرأة ج ۳ ص ۶۳۲ و ۶۳۳ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۳ ص ۲۴۱ و ۲۴۲ و الغدير ج ۱۰ ص ۴ عن البخارى، و فتح البارى، و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۶ و ۷ و عن تاريخ الطبرى ج ۲ ص ۲۹۶.

(۲) راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۰ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۰۲ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۲۹ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۱۰ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۲۴۴ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۸۱ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۹۴ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۲۹ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۶۱ و راجع دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ هامش ص ۳۹۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۱۵۲

ثم أيد البعض هذا الاحتمال: بأن أبا سفيان قال للمسلمين، حين انتهت حرب أحد: موعدكم العام المقبل ببدر.

ثم لم يأت إلى بدر فى ذلك الموعد، بسبب الجدب. و خرج إليها النبى «صلى اللّه عليه و آله» فى شعبان سنة أربع، و رجع، و لم يلق كيدا. و هى الغزوة المسماة ببدر الموعد.

فلم يكونوا ليأتوا إلى المدينة بعد ذلك بشهرين لأجل غزوة الخندق «۱».

و يؤيد ذلك أيضا: قول البعض: «كانت وقعة الأحزاب بعد أحد بسنتين «۲».

و نقول:

لو صح ما ذكروه لكان الفرق بين أحد التى هى فى شوال السنة الثالثة، و الخندق التى هى فى ذى القعدة السنة الخامسة سنتين و شهرا، و هذا يعنى:

ان ابن عمر كان عمره فى الخندق ست عشرة سنة.

فإذا جاز أن يقول: إنه ابن أربع عشرة سنة، لأنه كان أول ما طعن فيها، كان عليه أن يقول: إنه كان فى الخندق ابن ست عشرة سنة، لأنه كان طعن فيها أيضا بصورة أوفى، و ذلك ليجرى الكلام فى صدره و ذيله على نسق واحد.

---

(۱) راجع: البداية و النهاية ج ۴ ص ۹۳ و ۹۴ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۸۰ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۰۲ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۲ ق ۱ ص ۴۳ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۶۱.

(۲) المصنف للصنعانى ج ۵ ص ۳۶۲ و ۳۶۷ أنساب الأشراف ج ۱ ص ۳۴۵ و المغازى للذهبى (تاريخ الإسلام) ص ۲۴۴ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۱۴۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۱۵۳

و لكان على عمر بن عبد العزيز و عمر بن الخطاب أن يجعلا العطاء لمن بلغ ست عشرة سنة، استنادا إلى قضية ابن عمر المذكورة، فكيف فرضا إلى ابن خمس عشرة سنة استنادا إلى ذلك؟! «۱».

و قد صرح ابن حزم: بأنه قد صح أنه لم يكن بين أحد و الخندق إلا سنة واحدة فقط و أنها قبل دومة الجندل بلا شك «۲».

أما قولهم: إنه لا يعقل أن يأتوا المدينة بعد شهرين من بدر الموعد،

فجوابه: إن ذلك معقول، إذا كان التعلل من قبل المشركين بالجدب كان جبنا منهم، و هروبا من المواجهة، ثم لما وجدوا الرجال و الأموال، و جمعوا عشرة آلاف مقاتل أو أكثر بكثير، فلا شىء يمنعهم عن انتهاز الفرصة، فى أى من الظروف و الأحوال.

۲- و مما يدل على أن غزوة الخندق كانت سنة أربع، قولهم: إن أبا زيد بن ثابت قد قتل يوم بعاث، و كان عمر زيد حينئذ ست سنين،

و كانت بعاث قبل الهجرة بخمس سنين «۳» و كان عمر زيد حين قدم النبى «صلى اللّه عليه و آله» المدينة إحدى عشرة سنة «۴».

---

(۱) المصنف للصنعانى ج ۵ ص ۳۱۱ و راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۸۱ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۹۴.

(۲) جوامع السيرة النبوية ص ۱۴۸.

(۳) تهذيب الكمال ج ۱۰ ص ۳۰ و ۳۱ و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۴۲۱ و تذكرة الحفاظ ج ۱ ص ۳۰ و شذرات الذهب ج ۱ ص ۵۴ و تهذيب تاريخ دمشق ج ۵ ص ۴۴۹ و راجع: تهذيب التهذيب ج ۳ ص ۳۹۹ عن الواقدى.

(۴) مجمع الزوائد ج ۹ ص ۳۴۵ عن زيد نفسه، و تهذيب التهذيب ج ۳ ص ۳۹۹-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۵۴

ثم يقولون: إن أول مشاهد زيد الخندق «۱» لأنه «صلى اللّه عليه و آله» قد أجازه يوم الخندق «۲» و هو ابن خمس عشرة سنة «۳».

و يروى عن زيد قوله: أجازنى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يوم الخندق و كسانى قبطية «۴».

و عنه: أجزت يوم الخندق، و كانت وقعة بعاث و أنا ابن ست سنين «۵».

و عنه: لم أجز فى بدر، و لا فى أحد، و أجزت فى الخندق «۶».

- و الثقات ج ۳ ص ۱۳۶ و صفة الصفوة ج ۱ ص ۷۰۴ و سير أعلام النبلاء ج ۲ ص ۴۲۷ و ۴۲۸ و تهذيب الكمال ج ۱۰ ص ۲۵ و ۲۷ و تهذيب الأسماء ج ۱ ص ۲۰۰ و ۲۰۱ و الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ۱ ص ۵۵۱ و شذرات الذهب ج ۱ ص ۵۴ و تهذيب تاريخ دمشق ج ۵ ص ۴۴۹.

(۱) تهذيب الكمال ج ۱۰ ص ۳۰ و ۳۱ و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۴۲۱ و تذكرة الحفاظ ج ۱ ص ۳۰ و شذرات الذهب ج ۱ ص ۵۴ و تهذيب تاريخ دمشق ج ۵ ص ۴۴۹ و راجع: تهذيب التهذيب ج ۳ ص ۳۹۹ عن الواقدى.

(۲) تهذيب تاريخ دمشق ج ۵ ص ۴۴۶ و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۳۴۵ و تهذيب الكمال ج ۱۰ ص ۳۱ و كنز العمال ج ۱۰ ص ۲۸۱ عن الطبرانى و ص ۲۸۴ عن ابن عساكر.

(۳) تهذيب الكمال ج ۱۰ ص ۳۰ و ۳۱ و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۴۲۱ و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۳۴۵.

(۴) سير أعلام النبلاء ج ۲ ص ۴۳۲ و فى هامشه عن الطبرانى و تهذيب الكمال ج ۱۰ ص ۲۹ و تهذيب تاريخ دمشق ج ۵ ص ۴۴۹.

(۵) سير أعلام النبلاء ج ۲ ص ۴۳۳ و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۴۲۱ و تهذيب تاريخ دمشق ج ۵ ص ۴۴۹ و تهذيب الكمال ج ۱۰ ص ۳۰.

(۶) الإصابة ج ۱ ص ۵۶۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۵۵

و توفى زيد سنة ثمان و أربعين، و عمره تسع و خمسون سنة «۱».

و قال الواقدى: مات سنة خمس و أربعين، و هو ابن ست و خمسين سنة «۲» و كل ذلك يؤيد ما قلناه، و يدل عليه.

و أورد بعضهم: على كون الخندق فى السنة الرابعة، بأن من المعلوم: أن غزوة بنى قريظة قد كانت فى السنة الخامسة، و معلوم أنها كانت عقيب الخندق «۳».

و أجيب عن ذلك: بأن الخندق يمكن أن تكون قد استمرت إلى أواخر الرابعة «۴»، لا سيما إذا صح قولهم: إنهم استمروا فى حفر الخندق شهرا «۵» و أن الحصار قد استمر شهرا أيضا «۶» مع ملاحظة: أن ابن سعد يقول: إن الخندق قد كانت فى شهر ذى القعدة «۷». هذا، بالإضافة إلى حصاره «صلى اللّه عليه و آله» الطويل لبنى قريظة حسبما سيأتى. بعد ما تقدم نقول: إنه لا حاجة إلى الإفاضة فى

بيان خطأ قول البعض:

أن الخندق كانت سنة خمس باتفاق المؤرخين باستثناء ابن خلدون «۸».

---

(۱) مجمع الزوائد ج ۹ ص ۳۴۵ و تهذيب الكمال ج ۱۰ ص ۳۱.

(۲) صفة الصفوة ج ۱ ص ۷۰۴ و ۷۰۵.

(۳) راجع: مرآة الجنان ج ۱ ص ۹ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۲۸ و ۲۲۹.

(۴) راجع: مرآة الجنان ج ۱ ص ۹ و راجع السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۲۹ الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ۱۰ ۱۵۵

تاريخ غزوة الخندق: ..... ص : ۱۴۷ (۶) ستأتى الأقوال فى ذلك، حينما نتكلم عن مدة حفر الخندق فى هذه الغزوة

(۷) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۲۸، و راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۴۰.

(۸) محمد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» تأليف محمد رضا ص ۲۲۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۱۵۶

غزوة الخندق فى زمن الحصاد:

و ذكرت النصوص الآنفة الذكر: أن الأحزاب قدموا المدينة فى زمان حصد الناس زرعهم قبله بشهر، و أدخلوا حصادهم و أتبانهم.

و كانت غطفان ترسل خيلها فى أثر الحصاد- و كان خيل غطفان ثلاث مئة- فيمسك ذلك من خيلهم. لكن إبلهم كادت تهلك من الهزال، و كانت المدينة ليالى قدموا جديبة «۱».

و من جهة ثانية: فإن غزوة بنى قريظة كانت بعد الخندق مباشرة.

و يذكر الزهرى: أن أبا لبابة الذى خان اللّه و رسوله فيها، قد ارتبط فى المسجد فى حر شديد «۲» و كان يوما صائفا «۳».

و معنى ذلك هو: أن الأحزاب قد قدموا المدينة فى أواسط فصل الصيف، أو أواخره، لأن الحصاد يكون عادة فى أوائل فصل الصيف لا سيما فى بلاد الحجاز المتميزة بشدة الحر فيها.

و هذا يلقى ظلالا من الشك على ما يزعمونه من أن غزوة الخندق كانت «فى أيام شاتية» «۴» أو «فى برد شديد» «۵» أو «فى زمن شات، و ليال باردة

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۴۴ و الإمتاع ج ۱ ص ۲۱۹ و سبل الهدى و الرشاد و غير ذلك من مصادر تقدمت.

(۲) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۵۰۷.

(۳) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۵۱۴.

(۴) تاريخ ابن الوردى ج ۱ ص ۱۶۲.

(۵) الجامع للقيروانى ص ۲۸۱ و راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۸۴ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۹۵ و ۹۶ عن البخارى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۱۵۷

كثيرة الرياح» «۱».

و سيأتى: أن عائشة كانت تدفئ رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و هم يحفرون الخندق، كما يزعمون.

و ستأتى: سائر النصوص و المصادر لذلك، حينما نتكلم عن أسباب هزيمة الأحزاب و عن حفر الخندق.

إلا أن يقال: أن الحصاد قد يستمر إلى الخريف، فلا مانع من البرد و الشتاء حينئذ.

هل أخطأ التقويم التطبيقى؟!

و بالمناسبة؛ فإن كتاب «التقويم التطبيقى لألف و خمس مئة سنة هجرية قمرية و ميلادية» «۲». قد ذكر: أن أول شهر شوال للسنة الرابعة الهجرية يوازى يوم ۶ من شهر آذار سنة ۶۲۶ م، و أول شهر ذى القعدة يوازى يوم ۴ من شهر نيسان، و أول ذى الحجة يوازى ۴ أيار.

أما فى سنة خمس؛ فإن شوال و ذاالقعدة، و ذاالحجة توازى ۲۳ شباط حتى ۲۳ أيار.

و هذا التطبيق يخالف ما ذكره المؤرخون فى تاريخ غزوة الخندق.

أما بناء على ما ذكره الواقدى فواضح، لأننا قدمنا أن مقتضى كلام الواقدى هو أن غزوة الخندق قد حصلت فى أواخر الصيف و أن انصراف

---

(۱) تجارب الأمم ج ۲ ص ۱۵۲.

(۲) راجع الكتاب: تقويم تطبيقى هزار و بانصد ساله هجرى قمرى و ميلادى قسم الجداول ص ۱ تأليف: فرديننادو وستنفد، و إدوارد ماهلر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۱۵۸

الأحزاب من الخندق كان فى الخريف.

و أما بناء على ما ذكره الآخرون، فإن من الواضح: أنهم يذكرون: أن الأحزاب قد انصرفوا فى ليلة باردة شاتية، و أن انصرافهم كان فى أواخر ذى الحجة، أى فى أواخر شهر أيار.

و من الواضح: أن الجو فى الحجاز، و فى المدينة لا يكون فى هذا الوقت باردا و لا شاتيا فضلا عما يذكرونه من برد كان يقاسيه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و هم يحفرون الخندق- كما سيأتى- فى شوال أو فى ذى القعدة.

فإن الجو فى المدينة يكون فى هذه الأيام فى أعدل أحواله، كما هو معلوم من حال منطقة الحجاز لكل أحد.

مشاركة الحارث بن عوف فى الخندق:

قد ذكرت النصوص المتقدمة: أن الحارث بن عوف قد شارك فى حرب الخندق. و لكن قد روى الزهرى، و كذلك بنو مرة خلاف ذلك، فذكروا:

أنه لما أجمعت غطفان على السير أبى الحارث بن عوف المسير، و قال لقومه:

«تفرقوا فى بلادكم، و لا تسيروا إلى محمد، فإنى أرى أن محمدا أمره ظاهر. و لو ناوأه من بين المشرق و المغرب؛ لكانت له العاقبة؛ فتفرقوا فى بلادهم، و لم يحضر واحد منهم» «۱».

و فى نص آخر: أنه قال لعيينة بن حصن، و لقومه من غطفان: «يا قوم أطيعونى، و دعوا قتال هذا الرجل، و خلوا بينه و بين عدوه من العرب»

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۴۳ و راجع: الإكتفاء ج ۲ ص ۱۵۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۱۵۹

فغلب عليهم الشيطان، و قطع أعناقهم الطمع، و نفذوا لأمر عيينة على قتال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و كتبوا إلى حلفائهم من

بنى أسد فأقبل طلحة فى من اتبعه من بنى أسد الخ .. «۱».

و قال المقريزى و الحلبى الشافعى: «و قيل: لم تحضر بنو مرة» «۲».

لكن الواقدى يصر على: أن بنى مرة قد شهدوا الخندق، بقيادة الحارث بن عوف، و هجاه حسان شعرا.

و ذكروا: أنه كان بينه و بين النبى «صلى اللّه عليه و آله» جوار.

و قال الواقدى: «فكان هذا أثبت عندنا: أنه شهد الخندق فى قومه.

و لكنه كان أمثل تقية من عيينة» «۳».

و قال الواقدى أيضا: «لم يحضر الخندق الحارث بن عوف و لا قومه.

و يقال: حضرها الحارث بن عوف.

قال ابن واقد: و هو أثبت القولين عندنا» «۴».

أبو رافع قتل بعد أحد:

و قد ذكرت بعض النصوص أيضا: أبا رافع اليهودى فى جملة من حرض المشركين و حزّب الأحزاب فى غزوة الخندق «۵».

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۰ و الإكتفاء ج ۲ ص ۱۵۹.

(۲) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۱ و الإمتاع ج ۱ ص ۲۱۹.

(۳) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۴۴.

(۴) المغازى ج ۴ ص ۴۷۷ و عيون الأثر ج ۲ ص ۵۷.

(۵) راجع: جامع البيان ج ۵ ص ۸۶ و الدر المنثور ج ۲ و تفسير القرآن العظيم ج ۱ ص ۵۱۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۱۶۰

و نقول:

إن أبا رافع قد قتل كما يقولون فى السنة الثالثة فى جمادى الآخرة منها «۱»، و ذلك بعد قتل ابن الأشرف، و قيل بعد أحد، و قيل فى السنة الرابعة «۲».

و لكن من الواضح: أن ذلك كان قبل وقعة الخندق، التى كانت فى أواخر الرابعة، و استمرت حتى الخامسة، هى و غزوة بنى قريظة، كما رجحناه، أو كانت فى السنة الخامسة.

و لو كان أبو رافع حيا فى غزوة الخندق، لكان المناسب أن يذكر مقتله بعد الخندق، لا بعد أحد، فراجع و لاحظ كلماتهم.

هل كان أبو الأعور فى الخندق؟!:

و قد ذكرت بعض النصوص المتقدمة: أن أبا الأعور السلمى كان قائد بنى سليم فى غزوة الأحزاب ضد المسلمين «۳».

و لكن الظاهر: هو صحة ما ذكره الواقدى و غيره، من أن أبا الأعور السلمى هو الذى حضر مع الأحزاب فى حرب الخندق «۴».

---

(۱) راجع: تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۱۸۲ و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۴۶.

(۲) راجع: الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۴۸ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۱۸۳.

(۳) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۰ و مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۱۹۷ و مجمع البيان ج ۸ ص ۳۴۰ و نهاية الأرب ج ۱۷ ص ۱۸۰ و البحار ج ۲۰ ص ۱۹۷ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۳۹۹ و البدء و التاريخ ج ۴ ص ۲۱۷ و الإكتفاء ج ۲ ص ۱۵۹.

(۴) راجع المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۴۴ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۲۱۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۶۱

و يدل على ذلك: قول قيس بن سعد للنعمان بن بشير: إنه لم يكن مع معاوية غيره و غير صويحبه مسلمة بن مخلد «۱» كما سيأتى. فلو كان أبو الأعور صحابيا لم يصح قول قيس هذا. فيظهر أن الراوى، أو الناسخ قد أسقط كلمة (أبا) الأولى، إما اشتباها أو سهوا، أو لحاجة فى نفسه قضاها.

و الذى نخشاه هو: أن يكون هذا الإسقاط قد جاء لخدمة هدف سياسى من نوع ما، كأن يكون هو دعوى أن أبا الأعور قد لقى النبى «صلى اللّه عليه و آله» و رآه، و ذلك بهدف الإيحاء بصحة دعوى كون أبى الأعور من الصحابة، و ذلك تدعيما لموقف معاوية بتكثير عدد الصحابة معه، و إيجاد شبهات حول بغيه على إمام زمانه.

و لكن مراجعة كتب الرجال و التراجم توجب المزيد من الشك و الريب فى هذا الأمر، فقد قال العسقلانى: «قال ابن أبى حاتم، عن أبيه:

أدرك الجاهلية، و لا صحبة له و حديثه مرسل، و تبعه أبو أحمد العسكرى.

و ذكره البخارى فى من اسمه عمر. و لكن لم يذكره فى الصحابة ..».

إلى أن قال: «و قال ابن حبان فى ثقات التابعين: يقال له صحبة» «۲» و نقل ابن منظور عن ابن عساكر قوله:

«يقال: له صحبة. و يقال: لا صحبة له» «۳».

---

(۱) صفين للمنقرى ص ۴۴۹.

(۲) الإصابة فى تمييز الصحابة ج ۲ ص ۵۴۰ و ج ۴ ص ۹ و راجع: أسد الغابة ج ۴ ص ۱۰۹ و ج ۵ ص ۱۳۸ و الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ۴ ص ۱۴.

(۳) مختصر تاريخ دمشق ج ۱۳ ص ۲۱۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۶۲

توثيق أبى الأعور!!:

و الذى يلفت نظرنا هنا: هو توثيقهم لأبى الأعور «۱»، رغم تصريحهم بأنه كان أشد من عند معاوية على على «عليه السلام»، و كان على «عليه السلام» يدعو عليه فى القنوت فى آخرين «۲».

بل لقد قال ابن الأثير: «كان من أعيان أصحاب معاوية، و عليه كان مدار الحرب بصفين» «۳».

فمقام أبى الأعور لدى معاوية و خدماته لعرش الشام و ضديته مع على «عليه السلام» قد جعل الكثيرين ممن يسيرون فى هذا الاتجاه يهتمون بصياغة الفضائل له، لأنها ستكون فى نهاية الأمر فضائل لمعاوية نفسه.

و لعلهم أرادوا أن يلبسوه ثوب الصحبة لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» من أجل تكثير الصحابة عند معاوية، بهدف إيجاد شبهات حول بغيه على إمام زمانه، كما قلنا.

و قد تعودنا من هذا النوع من الناس محاولات من هذا القبيل، تهدف إلى تقليل عدد الصحابة مع على «عليه السلام»، و زيادتهم مع خصومه، حتى ليروون عن الشعبى أنه قال: «من زعم أنه شهد الجمل من أهل بدر

(۱) الإصابة ج ۲ ص ۵۴۰ و ۵۴۱ و نهاية الأرب ج ۱۷ ص ۱۶۷.

(۲) راجع: أسد الغابة ج ۲ ص ۱۳۸ و الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ۴ ص ۱۴.

(۳) أسد الغابة ج ۴ ص ۱۰۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۶۳

إلا أربعة فكذبه. كان على و عمار فى ناحية، و طلحة و الزبير فى ناحية» «۱».

و يظهر أن أمير المؤمنين «عليه السلام» و أصحابه قد التفتوا إلى هذا الأمر و لذلك نجدهم يتحدثون عن حضور الصحابة معهم، و يعطون ارقاما دقيقة فى هذا المجال.

فقد رووا: أن ناسا من قراء أهل الشام لحقوا بعلى «عليه السلام» فقال عمرو بن العاص لمعاوية عن على «عليه السلام» فى جملة كلام له: «و إنه قد سار إليك بأصحاب محمد «صلى اللّه عليه و آله» المعدودين، و فرسانهم، و قرائهم، و أشرافهم، و قدمائهم فى الإسلام، و لهم فى النفوس مهابة الخ ..».

فجمع معاوية أجناد أهل الشام و خطبهم، فبلغ عليا «عليه السلام» ذلك، فأمر الناس فجمعوا.

قال أبو سنان الأسلمى: «و كأنى أنظر إلى على متوكئا على قوسه، و قد جمع أصحاب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» عنده، فهم يلونه و [كأنه] أحب أن يعلم الناس: أن أصحاب رسول اللّه متوافرين عليه، فحمد اللّه ثم قال الخ ..» «۲».

و قال سعيد بن قيس فى خطبة له: «و قد اختصنا اللّه منه بنعمة فلا نستطيع أداء شكرها، و لا نقدر قدرها: أن أصحاب محمد المصطفين الأخيار معنا، و فى حيزنا؛ فو اللّه الذى هو بالعباد بصير: أن لو كان قائدنا حبشيا مجدعا إلا أن معنا من البدريين سبعين رجلا؛ لكان ينبغى لنا أن

(۱) العقد الفريد ج ۴ ص ۳۲۸.

(۲) صفين للمنقرى ص ۲۲۲ و ۲۲۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۶۴

تحسن بصائرنا الخ ..» «۱».

و يقول الأشتر فى صفين: «و أنتم مع البدريين، قريب من مائة بدرى، و من سوى ذلك من أصحاب محمد «صلى اللّه عليه و آله» ..» «۲»

و قد كان لهم أثر عظيم فى الحرب و لا سيما الأنصار منهم كما اعترف به معاوية، فراجع «۳».

و قد قالوا: كان مع على «عليه السلام» ثمان مئة رجل ممن بايع النبى «صلى اللّه عليه و آله» تحت الشجرة.

و عن سعيد بن جبير: كان مع على رضى اللّه عنه يومئذ ثمان مئة رجل من الأنصار، و تسعمائة ممن بايع تحت الشجرة.

و عن الأعمش: كان معه ثمانون بدريا، و ثمان ماءة من أصحاب محمد «صلى اللّه عليه و آله» «۴».

و قال الزبير بن بكار: «شهد صفين مع أمير المؤمنين «عليه السلام» من أهل بدر سبعة و ثمانون رجلا، منهم سبعة عشر رجلا من المهاجرين، و سبعون من الأنصار، و أما من باقى الصحابة فكان معه ألف و ثمان مئة، منهم تسعون رجلا بايعوا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» تحت الشجرة» «۵».

(۱) صفين ص ۲۳۶.

(۲) صفين ص ۲۳۸.

(۳) صفين ص ۴۴۵- ۴۴۹.

(۴) الفتوح لابن أعثم ج ۲ ص ۴۵۰.

(۵) تذكرة الخواص ص ۸۱ و ۸۲ و راجع: المعيار و الموازنة ص ۲۲ و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۱۰۴ و الغدير ج ۱۰ ص ۱۶۳ عن بعض المصادر الأخرى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۶۵

و يعترف معاوية بأن المهاجرين و الأنصار كانوا مع على «عليه السلام»، فهو يقول لابن عباس: «فاذكروا على بن أبى طالب و محاربته إياى، و معه المهاجرون و الأنصار الخ ..» «۱».

و قال قيس بن سعد للنعمان بن بشير: «انظر أين المهاجرون و الأنصار و التابعون بإحسان، الذين رضى اللّه عنهم، ثم انظر: هل ترى مع معاوية غيرك و صويحبك؟! الخ ..» «۲».

و المراد بصويحبه: مسلمة بن مخلد.

آية سورة النساء متى و فيمن نزلت:

لقد تحدثت النصوص التاريخية المتقدمة عن قوله تعالى:

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَ الطَّاغُوتِ وَ يَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هؤُلاءِ أَهْدى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا، أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَ مَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً، أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذاً لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً، أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلى ما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ .. «۳».

فذكرت: أن هذه الآيات قد نزلت فى هؤلاء اليهود الذين ذهبوا إلى مكة، و إلى سائر القبائل ليحرضوهم على قتال النبى «صلى اللّه عليه و آله» فجمعوا الجموع، و حزّبوا الأحزاب، فكانت غزوة الخندق.

و نقول:

---

(۱) الفتوح لابن أعثم ج ۴ ص ۲۳۹.

(۲) صفين ص ۴۴۹ و راجع ابتداء من ص ۴۴۵.

(۳) الآيات ۵۱- ۵۴ من سورة النساء.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۶۶

إننا نشك فى أن تكون هذه الآية قد نزلت فى هذه المناسبة و ذلك لما يلى:

۱- هناك روايات تقول: إن هذه الآية قد نزلت فى مناسبة أخرى سبقت غزوة الخندق. و ذلك لما ذهب كعب بن الأشرف إلى قريش، يحرضهم على غزو المسلمين، فسألوه عن أن أى الفريقين أهدى، فأجابهم بما يقرب مما سبق.

و ذكروا أيضا: أنهم طلبوا منه أن يسجد لأصنامهم، ليطمئنوا إلى أنه لا يمكر بهم؛ ففعل، مجاراة لهم.

و ظاهر بعض النصوص الأخرى: أن هذه الآيات قد نزلت فى مكة قبل الهجرة حيث ذكرت نزول سورة الكوثر فى هذه المناسبة أيضا، و هى إنما نزلت قبل الهجرة «۱».

---

(۱) الدر المنثور ج ۲ ص ۱۷۱- ۱۷۳ عن الطبرانى، و البيهقى فى الدلائل عن عكرمة عن ابن عباس. و عن سعيد بن منصور، و ابن

المنذر، و ابن أبى حاتم، عن عكرمة مرسلا.

و عن أحمد، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم عن ابن عباس. و عن عبد الرزاق، و ابن جرير عن عكرمة. و عن ابن جرير عن مجاهد. و عن عبد بن حميد، و ابن جرير عن السدى، عن ابى مالك. و عن البيهقى فى الدلائل، و ابن عساكر فى تاريخه عن جابر عن عبد اللّه. و عن عبد بن حميد، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم عن قتادة و الجامع لأحكام القرآن ج ۵ ص ۲۴۹ و مجمع البيان ج ۳ ص ۵۹ و التفسير الكبير ج ۱۰ ص ۱۲۸ و التبيان ج ۳ ص ۲۲۳ و ۲۲۴ و ۲۲۵ و البحر المحيط ص ۲۷۱ و النهر الماد من البحر (مطبوع بهامش البحر المحيط) ج ۳ ص ۲۷۱ و الكشاف (ط دار الفكر) ج ۱ ص ۵۳۲ و جامع البيان ج ۵ ص ۸۵ و ۸۶ و تفسير القرآن العظيم ج ۱ ص ۵۱۳ و فتح القدير ج ۱ ص ۴۷۸ و ۴۷۹ و تفسير الخازن ج ۱ ص ۳۶۸ و مدارك التنزيل للنسفى (مطبوع بهامش تفسير الخازن) ج ۱ ص ۳۶۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۶۷

إلا أن يقال: إنها مما تكرر نزوله.

۲- قيل: كان أبو برزة كاهنا فى الجاهلية، فتنافس إليه ناس ممن أسلم، فنزلت الآية. عن عكرمة «۱».

توضيح و تصحيح:

إن القصة التى يحكيها المؤرخون قد فرضت وجود فريقين هما:

جماعة اليهود، و المشركون.

و قد سأل المشركون اليهود عن الأهدى؟ هم أم المسلمون؟

فأجابهم اليهود: أنتم أولى بالحق.

مع أن الآية تفرض الفريقين يتحدثان عن فريق ثالث أشير إليه بقولهم: هؤُلاءِ أَهْدى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا «۲».

أى أن اليهود قالوا للمشركين: هؤلاء أهدى، و لم يقولوا لهم: أنتم أهدى. فلا ينطبق مدلول الآية على روايات المؤرخين، سواء رواية كعب بن الأشرف، أو حيى بن أخطب، أو رواية أبى برزة الآنفة الذكر.

إلا أن يقال: فى الآية التفات من الخطاب بالضمير إلى الإشارة بكلمة هؤلاء، و الالتفات موجود فى القرآن.

و النكتة المسوغة لهذا الالتفات هى: أن اللّه سبحانه قد قال: وَ يَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا .. فجاء بصيغة المضارع ليفيد: أن هذا النهج فى التعامل مستمر فى هذا النوع من الناس. و ليست القضية قضية مضت و ذهبت، قد

---

(۱) مجمع البيان ج ۳ ص ۵۹.

(۲) الآية ۵۱ من سورة النساء.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۶۸

تكون لها ظروفها و مبرراتها، فلا تمثل خطأ مستمرا لهؤلاء الناس.

فلما عبر تعالى عما حدث بصيغة المضارع، فإنه لم يعد بالإمكان أن يقول: «أنتم أهدى»، لأن الخطاب لما صار فعليا فيحتمل فيه أن يكون موجها لهؤلاء الناس الذين يسمعون الآية من النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و يخاطبهم «صلى اللّه عليه و آله» بها، و يحتمل أن يكون خطابا للكافرين أيضا.

فهو من قبيل ما لو قلت لرجل: زيد قال لعمرو: أنت رجل فاسق، فكلمة أنت رجل فاسق يحتمل فيها أن تكون موجهة لمخاطبك أنت، و يحتمل أن تكون موجهة لعمرو.

إذن .. فلا بد فى الآية من التصرف فى خطاب أولئك الناس و الإتيان بالمضمون بطريقة تدفع هذا الالتباس.

و هكذا كان، فإنه تعالى استخرج مضمون كلامهم و هو أن هؤلاء أى الكفار المشركين الذين خاطبهم أهل الكتاب (و هم غير من يخاطبهم النبى بالقرآن فعلا) أهدى من المؤمنين.

فاتضح: أن الآية لا تنافى سياق الحدث التاريخى الذى هو مورد البحث.

تحريض اليهود:

لقد رأى اليهود عن كثب كيف أن المسلمين يزدادون قوة و يزداد الإسلام انتشارا باستمرار.

و يرون أن نفوذهم كمصدر وحيد للمعارف بدأ ينحسر و يتلاشى و ها هو الإسلام ينتقد ما يدّعيه اليهود من ذلك و يفنده، و يبيّن الصحيح من

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۱۶۹

المزيف منه. و هو بذلك يزلزل مكانتهم، و يفقدهم الشىء الذى كانوا و لا يزالون يعتزون و يفتخرون و يتسامون به على الناس.

و يبطل مزعمتهم بأنهم شعب اللّه المختار، و يرفع شعار: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ و لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى.

فاحترقت قلوبهم بالغيظ و طفحت بالحقد، و تآمروا على هذا الدين و نقضوا عهودهم التى قطعوها على أنفسهم، و جرّوا على أنفسهم البلاء و العناء. و كانت واقعة بنى قينقاع، ثم واقعة بنى النضير.

و هم يريدون أن يأخذوا بثأرهم حسب زعمهم، و لكنهم يدركون عجزهم عن ذلك بأنفسهم، فالتجأوا إلى تأليب قريش و العرب الموتورين من الإسلام، و الطامعين بتحقيق مكاسب مالية و غيرها من حرب كهذه.

و يقول القاضى النعمان ما ملخصه: إن يهود المنطقة، و هم أهل نعم و أموال، و أصحاب رياسة، قد أزعجهم انتشار الإسلام، لأنهم رأوا أنهم يفقدون هيمنتهم على المنطقة و على أهل الشرك الذين يكذبون بالبعث، فجحدوا رسول اللّه و شككوا الآخرين ما أمكنهم بنبوته.

فلما كان من أمر أحد ما كان، ندموا على عدم المساعدة على حرب محمد، لأنهم رأوا أنها كانت فرصة، و لو أقام المشركون على الحرب لظفروا بالمسلمين؛ فأرسلوا إلى أبى سفيان و وعدوه النصر، فوجد أنها فرصة.

و طلب منهم أن يعلنوا للناس بتكذيب محمد، لأن الناس يركنون إليهم، لأنهم أهل كتاب.

فمضى وجوههم و ساداتهم إلى مكة، و شهدوا للمشركين بأنهم أهدى من محمد سبيلا، فوثقوا بهم، و مشوا معهم إلى قبائل العرب ليقنعوهم

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۱۷۰

بحرب محمد «صلى اللّه عليه و آله» و استئصاله، و تعاقدوا على ذلك الخ .. «۱».

الداء الدوى:

قد اتضح مما تقدم: أن اليهود كانوا هم الذين خططوا لحرب الخندق، و اتصلوا بقريش و بغطفان، و سائر القبائل، و حرضوهم، و شجعوهم، و ساعدوهم على التفاهم و الإتفاق ثم المبادرة إلى غزو النبى محمد «صلى اللّه عليه و آله»، و المسلمين فى المدينة و بذلوا لهم من أموالهم ثلث ثمار خيبر أو أكثر من ذلك.

و قد بدا واضحا من سير الأحداث: أن اليهود أشد حقدا و حنقا على الإسلام و المسلمين. و أنهم رغم كل الآيات و الحقائق التى كانوا

يعرفونها و يشاهدونها لم يستطيعوا أن يتفاعلوا مع هذا الدين، و لا تذوقوا طعم الإيمان به. إلا أفراد قليلون منهم وفقهم اللّه لنيل هذه الكرامة و الفوز بهذا الشرف العظيم من أمثال مخيريق الشهيد السعيد رحمة اللّه تعالى عليه و رضوانه.

ثم إنهم منذ دخل الإسلام إلى المدينة لم تجتمع لهم كلمة على حربه، لأنه دخل قويا عزيزا بتحالفه مع القبائل ذات النفوذ فى المنطقة، و لا سيما الأوس و الخزرج. ثم لأن النبى «صلى اللّه عليه و آله» عقد تحالفات معهم بين الحين و الآخر.

و لم يزل اليهود فى موقع الضعف و الهوان فى قبال عز الإسلام و منعته،

---

(۱) شرح الأخبار ج ۱ ص ۲۸۸- ۲۹۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۷۱

و نفوذه و شوكته.

فالتجأوا منذ اللحظة الأولى إلى مناوأته بأساليب التآمر و الغدر و الخيانة، و إذكاء الفتن، و إثارة النعرات العرقية و غيرها، و كان هذا هو السبيل الذى اختاروه لأنفسهم، بعد أن صدوا عن سبيل اللّه، و اتخذوا آيات اللّه هزوا.

أما المشركون فإنهم حين يستجيبون لليهود، فإنما يستجيبون لإنقاذ سمعتهم، و استعادة هيبتهم التى اهتزت و أصيبت بنكسة قوية بسبب تخلفهم عن بدر الموعد، لدواعى حقد دفين يعتل فى نفوس الكثيرين منهم، أو إلى نوازع الطمع و الجشع و حب الحصول على شىء من حطام الدنيا كتمر خيبر، لدى كثيرين آخرين، كما و يستجيب فريق آخر لنداء الشيطان، الذى يزين لهم أعمالهم و يعدهم و يمنيهم، و ما يعدهم الشيطان إلا غرورا، فيصرون على الجحود و على الإستكبار و العتو و العلو. و إن ربك لبالمرصاد.

و لكن حين يفرض الإيمان و الإسلام نفسه عليهم، فإنك تجد الأمر لا يصل فى صعوبته و تعقيده إلى الدرجة التى نجدها عند اليهود رغم وضوح الأمر لدى اليهود.

حتى إنهم ليعرفون هذا النبى «صلى اللّه عليه و آله» كما يعرفون أبناءهم، و يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة و الإنجيل، و ليس الأمر بالنسبة للمشركين كذلك، إلا أنهم يرون المعجزات و الكرامات، و يقيم «صلى اللّه عليه و آله» عليهم الحجة، حتى لا يبقى عذر لمعتذر، و لا حيلة لمتطلب حيلة.

هذا، و من المضحك المبكى هنا: أننا نجد اليهود يريدون أن ينتصروا على محمد و المسلمين بواسطة قريش و القبائل العربية، و قريش تريد أن تحقق هذا

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۷۲

الهدف بالذات بالإفادة من خيانة اليهود، و مساعدة قبائل غطفان و غيرها.

أما غطفان و غيرها من القبائل العربية: فتريد الحصول على المال و لكن بالاعتماد على جهد القريشى و كيد اليهودى. و لم يكن اهتمامها باستئصال شأفة الإسلام و المسلمين يصل إلى درجة اهتمام قريش و اليهود بذلك- كما ربما يظهر من بعض المؤلفين.

أهداف الحرب:

أما أهداف الحرب: فهى كما يظهر من كلامهم السابق استئصال محمد و من معه، و لكننا إذا أردنا تحديد ذلك بدقة، فإننا نقول: لقد حدد على «عليه السلام» هدف الأحزاب و العرب من الحرب و قال: «إن قريشا و العرب تجمعت، و عقدت بينها عقدا و ميثاقا، لا ترجع من وجهها حتى تقتل رسول اللّه، و تقتلنا معه معاشر بنى عبد المطلب» «۱».

و نعتقد: أن هذا الكلام هو الأقرب و الأنسب فيما يرتبط بتحديد الهدف الأقصى للحرب، فإن كلامهم المتقدم فى النصوص التى أوردناها، و إن كان ينص على استئصال محمد و من معه، إلا أن استئصال جميع من مع النبى من الأوس و الخزرج، و سائر قبائل

العرب لن يكون سهلا و لا- ميسورا لهم. و لا- يمكن لهم أن يقدموا على إذكاء نار قد لا- يمكنهم إطفاء لهيبها على مدى أجيال و لسوف ينالهم منها الشيء الكثير و الخطير كما هو معلوم ..

---

(۱) الخصال (باب السبعة) ج ۲ ص ۳۶۸ و البحار ج ۲۰ ص ۲۴۴ و شرح الأخبار ج ۱ ص ۲۸۷ و الإختصاص ص ۱۶۶ و ۱۶۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۷۳

أما قتل محمد و بنى عبد المطلب، فهو الأسهل و الأيسر، و به يتحقق المطلوب، و لماذا يذهبون إلى أبعد من ذلك؟!

غير أن من الواضح: أن هذا لن يقنع اليهود، لأن هدفهم هو استئصال محمد و جميع من معه. و لعل ذلك يفيدهم فى إعادة بسط هيمنتهم و نفوذهم على يثرب و على المنطقة.

أما غطفان و سائر القبائل فيهمها تمر خيبر بالدرجة الأولى، اما استئصال محمد و المسلمين فلا ترى فيها أية سلبية، بل هو أمر محبوب بالنسبة إليها و مطلوب.

الأحقاد هى المحرك:

قد قرأنا فيما سبق: أن اليهود يقولون للمشركين: «جئنا لنحالفكم على عداوة محمد و قتاله».

فأجابهم أبو سفيان: «مرحبا و أهلا، أحب الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمد».

و الذى نريد أن نلفت النظر إليه هنا: هو أن هؤلاء الناس لم يكلفوا أنفسهم حتى تلطيف عباراتهم، و عقلنة تصريحاتهم. بل أظهروا كل ما يضمرونه من سوء دونما رادع من خلق، أو وازع من عقل أو شرف أو منطق.

فلم يقولوا لأهل مكة مثلا: إننا جئنا لأجل أن نتدارس الأمور، بموضوعية و إنصاف، ثم بحكمة و بمسؤوليه، واضعين فى حسابنا الحفاظ على المصالح الاجتماعية العامة، و توفير الأمن و الاستقرار للناس، و تجنيبهم

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۷۴

مآسى الحروب و سلبياتها على جميع الأصعدة، و فى مختلف الاتجاهات، و إعطاء الناس الفرصة لبناء حياتهم بناء سليما، ثم الإعداد لمستقبلهم، فى ظلال من السلام و الأمن، و فراغ البال و اطمئنان الخاطر.

كما إنهم قد أخفوا ما يضمرونه من الطموح إلى تحقيق مكاسب سياسية، و امتيازات على صعيد النفوذ و الهيمنة على المنطقة، أو فيما هو أوسع منها.

و لم يعترفوا أيضا: أن مصالحهم الدنيوية، و ما فيها من أموال و تجارات و مواقع و مناصب و لذائذ، لها دور فى اندفاعهم إلى حرب محمد و من معه، لظنهم أنهم سوف يخسرون الكثير مما سيتأثرون به لأنفسهم على حساب غيرهم من الناس المستضعفين و المحرومين.

بل غاية ما صرّحوا به: هو أن دافعهم ليس إلا الأحقاد و الضغائن، و العداوات الباطلة، و البغى و الحسد، بل لا مبرر ظاهر سوى أنهم لا يريدون لهؤلاء الناس أن يقولوا: ربنا اللّه، و ليس ربنا الحجارة، و لا يريدون أن يتخذوا الطواغيت أربابا من دون اللّه.

و صدق اللّه تعالى حيث يقول: لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَداوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا .. «۱».

يريدون ليطفئوا نور اللّه سبحانه:

قد عرفنا: أن اليهود إنما قدموا مكة ليتحالفوا و يتعاقدوا مع المشركين

(۱) الآية ۸۲ من سورة المائدة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۷۵

على استئصال محمد «صلى اللّه عليه و آله» و من معه حسب زعمهم، حيث قالوا لقريش: «نحن معكم حتى نستأصل محمدا» أو «سنكون معكم حتى نستأصله و من معه».

كما أنهم و هم يقررون ما يتعاقدون عليه، قالوا: «و لتكون كلمتنا واحدة على هذا الرجل ما بقى منا رجل».

و ذلك يعنى:

۱- أن هدفنا المعلن هو استئصال شأفة الإسلام و المسلمين.

۲- أنهم مصممون على تحقيق هذا الهدف بأسلوب الحرب حتى آخر رجل منهم.

۳- أن هذه المبادرة منهم قد جاءت عن طريق خيانتهم لعهودهم و مواثيقهم التى كانوا قد أبرموها مع نفس الذين يريدون استئصالهم، مع العلم بأن ذلك الطرف لم يزل وفيا بعهده حافظا لمواثيقه معهم، و لم يحدث أن خان أو تردد فى عهد مع أى فريق منهم، و لم يسئ إليهم و لا إلى غيرهم بشىء إلا ما يجرونه هم على أنفسهم بخياناتهم المتتالية، و هم يرتكبون هذه الخيانة رغم أنهم قد رأوا بأم أعينهم عواقب خيانة بنى قينقاع، ثم خيانة بنى النضير، و أكثرهم نضيريون، كما تقدم.

۴- أن مبرر هذا الإجرام العظيم و البشع هو مجرد الحسد و الحقد منهم. بالإضافة إلى مكاسب سياسية، و اجتماعية و غيرها يحلمون بتحقيقها على المدى البعيد من خلال فرض هيمنتهم على المدينة و على غيرها بصورة و بأخرى.

فلم يكن الهدف عقيديا و لا إنسانيا و لا أخلاقيا. بل هم قد داسوا

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۷۶

بأقدامهم الإنسانية و الأخلاق و حتى مبادئهم و عقيدتهم التى يدّعون أنهم ينتسبون إليها و هذا هو منتهى الإسفاف، و غاية التردى فى حمأة الجريمة و البغى.

الإيمان و المواثيق لا تجدى:

و بعد .. فإن الملفت للنظر هنا: أننا نجد اليهود يفقدون صفة الأخلاقية و المبدئية فى مواقفهم، و فى مجمل تحركهم فى مواجهة الإسلام و المسلمين، و كذلك نجد المشركين، خصوصا أبا سفيان، لا يختلف عن اليهود فى ذلك.

فأبو سفيان يحاول أن يخدع قومه فى حركته الهادفة إلى دفعهم إلى مواجهة الإسلام، حيث إن اليهود يتصلون به أولا، ثم يتفق معهم على دعوة الناس إلى استئصال النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و حين يطلبون ذلك من الناس علنا يظهر أبو سفيان بمظهر من يسمع هذا الكلام لأول مرة!!

ثم إنهم يصرحون: بأنهم جاؤوا للتحالف على العداء لمحمد، فلم يكن هذا المجىء، لمحاولة فهم دعوة هذا الرجل، و التعامل معه و معها بإنصاف و بموضوعية، و تعقل و تدبر كما أسلفنا.

كما أنهم يفضلون الاتصال أولا بأبى سفيان، و لم يكن المبرر لذلك إلا أنهم يعلمون بعداوته لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و تسرعه لقتاله فهم يريدون إذن توظيف حالة الحقد غير المسؤول لدى أبى سفيان، و حالة التسرع اللاواعى عنده لصالح تحقيق الأهداف التى يرمون إلى تحقيقها.

أضف إلى ما تقدم: أنهم لا يتورعون عن ارتكاب جريمة التضليل الإعلامى و التعليمى، و مخالفة قناعاتهم، و حتى أصول دينهم فى هذا السبيل.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۷۷

فهم يقررون للمشركين أن الشرك أهدى من التوحيد و أن دعوى الجاهلية خير من الهدى الإلهى.

هذا كله عدا عن استخدامهم المال أيضا كوسيلة لتحريك بعض الفئات لحرب محمد «صلى اللّه عليه و آله» و من معه.

و إذا صحت الرواية التى تقول: إن أبا سفيان قد طلب من اليهود أن يسجدوا للأصنام، لأن قريشا خافت من مكرهم، فاستجاب اليهود و سجدوا للأوثان، و كذلك فعل كعب بن الأشرف و من معه، حين جاؤوا فى مرة سبقت حرب الخندق لتحريض المشركين على حرب محمد- إذا صح ذلك- فإن الأمر يصبح فى غاية الوضوح:

۱- حيث يكون اليهود قد أسقطوا عن وجوههم جميع الأقنعة، و تجاوزوا كل حد، و كل الأرقام القياسية فى سحق المثل و القيم، و المبادئ الأخلاقية و الإنسانية و أثبتوا أنهم و صوليون بكل ما لهذه الكلمة من معنى.

و الغريب فى الأمر: أننا نجدهم يعتمدون على الإيمان و المواثيق لإحكام أمرهم مع المشركين، و للحصول على الحد الأدنى من الاطمئنان و الوثوق ببعضهم البعض، رغم أنهم قد مارسوا- عمليا- أساليب من شأنها أن تنسف كل عوامل الثقة و لو بمستواها الأضعف و الأدنى.

و إلا، فهل يمكن أن يكون المشركون قد وثقوا باليهود لمجرد أنهم قد رأوهم يسجدون للأوثان؟!

و هل اعتقد المشركون: أن اليهود قد تركوا يهوديتهم، و دخلوا فى الشرك؟!

و إذا كانت الإجابة بالنفى، فما معنى وثوقهم بأيمانهم و مواثيقهم؟! و ما معنى اطمينانهم إلى عدم مكرهم بهم، و خديعتهم لهم؟!

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۷۸

أليست نفس استجابتهم لطلب المشركين بالسجود للأوثان دليلا على أنهم لا عهد، و لا ميثاق، و لا أيمان لهم؟ بل هى دليل على أنهم يخادعونهم و يمكرون بهم، و يريدون استخدامهم فيما يريدون بأية صورة كانت، و بأى ثمن كان؟!

ألم يدرك المشركون: أن وثوقهم باليهود استنادا إلى ذلك معناه أنهم يخدعون أنفسهم؟! و يظهرون للملأ: أنهم على درجة كبيرة من الرعونة و السذاجة؟!

۲- و مما يزيد فى ضراوة هذه الشكوك: أننا نجد اليهود، حين سألهم المشركون عن ذلك، قد طلبوا من المشركين أن يعرضوا عليهم دينهم و دين محمد، ليحكموا لهم أو عليهم.

فلما عرضوا ذلك عليهم أصدروا حكمهم لصالح دين المشركين، و أنهم أولى بالحق كما تقدم.

و السؤال هنا هو: هل صحيح أن اليهود كانوا لا يعرفون دين المشركين، الذين يعيشون بينهم و يتعاملون معهم منذ عشرات السنين؟!

و هل كان المشركون أعرف بأمر محمد «صلى اللّه عليه و آله» و بدعوته من اليهود، و هو يعيش بين ظهرانيهم، و قد عقدوا معه التحالفات و خاضوا معه الحروب، و لم يزل يدعوهم إلى دينه و يحتج عليهم و قد جاؤوا ليحرضوا الناس على حربه و استئصاله؟!

۳- و الأغرب من ذلك أن يخطر ببال أحد من المشركين و غيرهم: أن يجيب اليهود، الذين جاؤوا للتحريض على استئصال محمد، بغير ما أجابوا به!!

۴- و الأعجب من ذلك: أن يعتبر الشرك دينا يصلح للمقارنة مع ما جاء به النبى الأكرم «صلى اللّه عليه و آله» من عند اللّه تعالى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۷۹

تمر خيبر:

بقى أن نشير أخيرا: إلى هذا السخاء الذى تجلى فى اليهود حتى جعلوا تمر خيبر سنة، أو نصفه كل سنة، لغطفان لتوافق على المشاركة فى الحرب ضد الإسلام.

و لا نـدرى ما هو الدافع لهم للإقدام على هذه الخطوة؟ فهل كان هذا يسـتبطن غدرا و نقصا كما هو معروف عن اليهود؟ أى أنهم بعد أن يتخلصوا من عدوهم الأقوى و الأخطر بنظرهم يرفضون الوفاء بما تعهدوا به لغطفان.

و هل فكرت غطفان فى هذا الأمر بصورة جدية و واقعية؟!

و ما هو المبرر لهذه العداوة الراسخة من اليهود للاسلام و لنبى الإسلام؟!

و كيف نفسـر هذا السـخاء الذى لا نظير له من قوم لم نعرف عنهم إلا المزيد من الحرص على المال و على الدنيا، و إلا الشح المزرى، و البخل المشين؟!

هذا السخاء قد جاء من أجل استئصال أناس لم يروا منهم إلا الوفاء و الصدق، و النبل و الالتزام بالقيم الإنسانية و المثل العليا!!

إن التفسير الوحيد المعقول لذلك هو: أنهم يشـعرون أن الإسلام يمثل خطرا يتهدد دنياهم و امتيازاتهم، و هو يتناقض بصورة عميقة و أساسية مع ما يفكرون به، و يخططون له من استغلال لثروات البلاد، و إذلال و استعباد للعباد.

فلماذا إذا: لا يضـحون ببعض المال من أجل إزاحة هذا الكابوس الجاثم على صدورهم؟ فإذا تمكنوا من ذلك، فإنهم سوف يستقبلون الدنيا

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۱۸۰

العريضـة بكـل مـا لـديهم من خطـط مـاكرة، و أساليب شـيطانية، تجعلهم يتحكمون بكل مقـدرات الأمم، و يهيمنون على كل نبضات الحياة فيها؟!

تأثير المال فى تحزيب الأحزاب:

إن من الواضـح: أنه لم يكن لقوى الكفر قيـادة موحـدة، ترسم الخطـة، ثم تتخـذ القرار، ثم تعمـل على تنفيـذه، بـل كانت لهم قيادات متعددة و مختلفة.

و ذلك من شأنه أن يضـعف أمرهم، و يوهن وحدتهم، مع وجود فرص تساعد على إلقاء الخلاف فيما بينهم و إذكاء روح التنافس، و إشاعة روح التشكيك ببعضهم البعض كما حصل لبنى قريظة.

كما أن من البـديهى: أنه لم يكن بإمكان كل قبيلـة أن تسـتقل بعـداوة محمـد و قتاله، و كانت كل قبيلـة تخشـى من مواجهة المؤمنين وحدها.

فكان لا بد من تفاهم القبائل فيما بينها لتحصيل إجماع على الاجتماع على قتال محمد و صحبه.

فبادر اليهود إلى العمل لتحصـيل هذا الإجماع، على أمل أن يحسـموا الأمر لمصالحهم، و يكونون بذلك قد ثأروا لأنفسهم، و تصبح- من ثم- لهم هم الكلمة الأولى و الأخيرة فى المدينة على الأقل، و يكون لهم النفوذ و التأثير القوى فى المنطقة بأسرها ..

ثم إنه قـد كان من جملـة العوامل التى ساعـدت على تجييش الجيوش و تحزيب الأحزاب، هو الوعود الماليـة السـخية للناس، إذا نفروا لحرب المسلمين.

حتى لقد رفض بنو مرة نصيحة الحارث بن عوف، إذ قد «غلب عليهم

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۱۸۱

الشيطان، و قطع أعناقهم الطمع» «۱».

الإرهاب الفكرى و الخداع للسذج:

و قد أظهر النص المتقدم: أن قريشا- و الظاهر: أن المقصود هو الزعماء منها- أرادت خداع السذج و البسطاء من الناس بالاستفادة من حالة الانبهار بأهل الكتاب، التى كانت لدى عامة الناس فى المنطقة العربية، و التى كانت حين ظهور الإسلام تعانى من الجهل الذريع، الذى مكّن لشياطين أهل الكتاب أن يصوروا لهم: أنهم هم مصدر العلوم و المعارف، و هم المرجع الموئل و المفزع للناس فيما يهمهم من أمور الدين، و المعارف الدينية.

و استطاع أهل الكتاب أن يمسكوا بعواطف الناس، البسطاء و السذج و الجهلة، باستخدام طريقة التهويل و الإحالة على الغيب الذى يضعف أقوى الناس أمامه إذا كان يلامس مصيره و مستقبله بصورة أو أخرى.

و الملفت هنا: أن يستغل زعماء قريش هذه الفرصة للاستفادة من هذا الانبهار من أجل سوق الناس بالإتجاه الذى يريدون، و يرون أنه يحقق لهم مأربهم، و يوصلهم إلى أهدافهم الشريرة.

فيطلبون من الناس: أن يسألوا اليهود عن الأهدى من الفريقين: أهم بشركهم و ضلالاتهم؟ أم محمد «صلى اللّه عليه و آله» و ما جاء به من عند ربه من الهدى؟ و يأخذ أبو سفيان هنا زمام المبادرة ليلقى سؤاله بطريقة فنية

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۰

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۱۸۲

و ذكية، حينما ضمّن كلامه خليطا من الأمور التى ترضى آنئذ غرور الإنسان العربى و القرشى على وجه الخصوص، بملاحظة طبيعة حياته، و عاداته و موقعه، ككونهم ينحرون الجزور الكوماء، و يسقون الحجيج، و كونهم عمّار البيت، ثم هم يعبدون الأوثان.

فيفهم اليهود ما يرمى إليه و يناغمونه الكيد و التزوير، و يحكمون لهم بأنهم أولى بالحق من محمد بالاستناد إلى نفس ما أراد أبو سفيان أن يستندوا إليه و ألقى إليهم به.

الحارث بن عوف ينصح قومه:

و يستوقفنا هنا: ما قاله الحارث بن عوف لقومه، و هو ينهاهم عن المسير إلى حرب محمد «صلى اللّه عليه و آله»، فإنها نصيحة مهمة تعبر عن إدراك حقيقى لما يجرى، ثم هو يقيّم الواقع بصورة متوازنة، و عاقلة، حيث عبر لهم عن اعتقاده أن أمر الإسلام ظاهر و غالب، و لو ناوأه ما بين المشرق و المغرب لكانت له العاقبة.

و نعتقد: أنه قد أدرك هذا الأمر بحسن تقديره للأمور، و هو يراقب ما يطرح هذا الدين للناس من مفاهيم و تشريعات، و ما يمارسه من تدابير و سياسات تنسجم مع أحكام العقل و الفطرة السليمة، و مع الخلق السامى و النبيل. ثم هو يرى الواقع السياسى، و كل التحولات التى تستجد على المنطقة بصورة مطّردة و مستمرة، و يرى أن هذا الدين لا يزال ينتشر، و يتجذر، و يترسخ و تتنامى هيبته و تتأكد هيمنته، رغم كل الكيد الذى يواجهه به أعداؤه، و كل الحقد الذى يعامله به مناوئوه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۱۸۳

عقدة بدر الموعد:

إن إلماح صفوان بن أمية إلى ما جرى فى بدر الموعد، ليدل دلالة واضحة على: أن المسلمين قد سجلوا فيها نصرا مؤزرا للإسلام و هزيمة روحية و سياسية ساحقة لكبرياء الكفر و الشرك، ليس فى مكة و حسب، و إنما فى المنطقة بأسرها.

و لكن من دون أن يكلف ذلك المسلمين أية تضحيات، بل هم قد ربحوا فى تجاراتهم فى سوق بدر، حسبما تقدم بيانه.

عيينة بن حصن و المعانى الإنسانية:

ربما يفهم من كلام البعض: أن الحارث بن عوف كان يرتبط مع النبى «صلى اللّه عليه و آله» بجوار، لكنه اعتبره أحسن تقية من عيينة بن حصن.

و لعل السر فى ذلك هو: أن الحارث، و إن كان قد نقض الجوار، الذى قد يقال: إنه يعنى الالتزام بعدم الاعتداء، حفظا للجوار، مع أن البعض كالزهرى، و بنى مرة ينكرون أن يكون الحارث قد فعل ذلك، و يصرون على أنه لم يحضر حرب الخندق، إلا أن عيينة قد زاد على ما فعله الحارث: أنه لم يحفظ الجميل، بل جازى الإحسان إليه بالإساءة، و لكنها إساءة جاءت على درجة كبيرة من القبح، لأنها تضمنت خروجا على كل الأعراف، و القيم، و حتى أعراف الجاهلية.

فقد تقدم: أن النبى الأكرم «صلى اللّه عليه و آله» كان قد سمح لعيينة، حينما أجدبت أرضه: أن يرعى فى منطقة نفوذ و سيطرة و حاكمية الرسول «صلى اللّه عليه و آله»، لينقذهم من الخطر الذى يتهددهم، و يساعدهم على التغلب على

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۸۴

المشكلة الحياتية التى يعانون منها، رغم أنهم كانوا يختلفون معه «صلى اللّه عليه و آله»، من جهة أنهم كانوا على شركهم و ضلالهم. ففعل «صلى اللّه عليه و آله» ذلك من دون أى مقابل، و دون أن يسجل لنفسه أى امتياز.

و قد عرف عن العرب: أنهم يعتزون ببعض المعانى التى يرون فيها شيئا من القيمة، مثل: حسن الجوار، و حفظه، و الوفاء بالعهد، و مقابلة الإحسان بمثله، و يعتبرون ذلك هو الرصيد الذى يؤهلهم لاحتلال مواقع إجتماعية متميزة، حتى إذا ما تبين لهم أن أحدا لا يملك شيئا من هذا الرصيد، فإنه يبوء بذل العمر، و عار الدهر، و هو عندهم ساقط و مرذول، أو هكذا زعموا.

و لكن الأمور عند هؤلاء الناس قد انعكست الآن، حيث أصبح العداء للإسلام و لنبى الإسلام هو العمل الصالح عندهم الذى يبيح لهم كل محرم، و تتهاوى و تسقط معه كل قيمهم و مثلهم، التى يعتزون بها، و يعطون الأوسمة و الامتيازات من خلالها و على أساسها.

فنقض العهود، و خفر الجوار، و الإساءة لمن أحسن، و كل خزى و عار لم يعد مهما عندهم إذا كان ذلك فى قبال محمد «صلى اللّه عليه و آله» و ضد الإسلام و المسلمين. بل إن هذه المخازى قد أصبحت أوسمة لهم، و من دواعى تأكيد شخصيتهم، و بسط هيمنتهم بزعمهم.

و إلا فكيف نفسر احتفاظ عيينة بن حصن، و كثيرين من أمثاله، بمواقعهم الاجتماعية، و هم قد أثبتوا أكثر من مرة أنهم لا يملكون شيئا من هذه المعانى التى قبلها العرب، و تبنوها، و تغنوا و افتخروا بها.

و قبل أن نخلص إلى نهاية القول، نقول: إن من الطبيعى للإنسان الذى يحتفظ بميزاته و خصائصه الإنسانية أن يشعر بالامتنان تجاه من يحسن إليه،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۸۵

و يشعر بالاحترام و التقدير تجاه من يحسن جواره و كذلك تجاه من يتعامل معه بطريقة أخلاقية و إنسانية، حتى و لو كان يختلف معه فى الرأى، و فى العقيدة و الدين.

فإذا أراد أن يكون له موقف يختلف عن هذا، فلا بد أن يتناقض أولا مع نفسه، و يقوم صراع حاد مع تلك الخصائص النبيلة، و لن يكون قادرا على اتخاذ ذلك الموقف إلا بعد أن يتم التغلب عليها و قهرها.

و تختلف صعوبة اتخاذ القرار، و الموقف هذا باختلاف درجات البشاعة و الشين فيه، إلا إذا فرض: أن تلك المعانى الإنسانية قد تناهى بها الضعف، بسبب ممارسات سابقة، حتى بلغت درجة فقدت معها تأثيرها و فاعليتها.

و أصبح الإنسان بذلك على درجة كبيرة من الصلف و اللامبالاة، و الوقاحة، و تحول إلى مجرم محترف، لا يبالى أى شىء يرتكب و

يقترف، كما كان الحال بالنسبة لعيينة بن حصن، الذى هو موضع البحث.

و أخيرا: فإن عيينة بن حصن هذا هو الذى يروى أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» وصفه بالأحمق المطاع، و كان من المؤلفة قلوبهم، و قد ارتد عن الإسلام بعد ذلك، و قاتل تحت قيادة طليحة بن خويلد الذى ادّعى النبوة.

فلتراجع ترجمته فى كتب الرجال و التراجم.

شک المشرکین:

و الملفت للنظر هنا: أننا نجد المشركين يشكون فى صحة ما هم عليه، كما أن طلب أبى سفيان من اليهود تصديق ما هم عليه يشير إلى طغيان هذه الشكوك إلى درجة كبيرة حتى احتاجوا إلى تسكينها و طمأنة الناس و تثبيتهم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۱۸۷

الفصل الثانى: الخندق فى خطة الحرب و الدفاع

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۱۸۹

المفاجأة:

۱- إن معرفة الإنسان بعدوّه تجعله أقدر على التعاطى معه من موقع القوة و الحزم، من خلال ما تهيئ له تلك المعرفة من قدرة على رسم الخطة السليمة، ثم التنفيذ الدقيق و الواعى.

و لا تقتصر هذه المعرفة المؤثرة على معرفة عناصر الضعف و القوة فى العدة و فى العدد، و سائر النواحى العسكرية، و الامتيازات الحربية. بل تتعداها إلى الإشراف على خصائص شخصية العدو و المعرفة بطبائعه، و أخلاقياته، و مبادئه و مفاهيمه، و عاداته و تقاليده و مستواه الفكرى و العلمى، و ما إلى ذلك، مما له دور و تأثير فى اتخاذ القرار العسكرى، أو تسجيل الموقف على الصعيد السياسى، أو التعامل فى مجال السلوك، و هكذا على الصعد كافة. ثم انعكاسات ذلك كله على التحرك باتجاه حشد الطاقات، و رسم الخطط، و الإعداد و الاستعداد للمواجهة و التصدى.

فإن التعامل مع العدو الذى يلتزم بالعهود و المواثيق، يختلف عنه مع من عرف أن من طبيعته الغدر، و عدم الوفاء. كما أن التعامل مع من يلتزم بعهده لدوافع دينية و عقيدية و مبدئية يختلف عن التعامل مع من يلتزم بذلك لدوافع أخرى .. و هكذا الحال فى سائر النواحى و مختلف المواضع و المواقع.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۱۹۰

۲- و نبينا الأكرم «صلى اللّه عليه و آله» كان يعرف تماما حقيقة ما يفكر به المشركون، و اليهود و المنافقون، و سائر القوى التى تحيط به. ثم هو يعرف طبيعة تركيبتهم السياسية و الاجتماعية و واقعهم الثقافى و الإقتصادى. ثم هو يعرف نهجهم، و أساليبهم و طموحاتهم و طريقتهم فى الحياة.

و قد أثبتت له التجربة الحسية فى أكثر من موضع و موقع ما ينطوون عليه من غدر و خيانة، و من روح أنانية و تآمرية حاقدة و شريرة و غير ذلك من أوضاع و حالات.

و هـذا الواقع العـدائى، و الروح التآمريـة، و تلك الأعمال الخيانيـة التى كانت تهيمن على أعـداء اللّه و الإنسانية، قد فرضت على النبى الأـكرم «صـلى اللّه عليه و آله» و المسـلمين أن يعيشوا حالـة الحـذر القصوى، فكـان أن بث رسول اللّه «صـلى اللّه عليه و آله» عيونه و أرصاده فى طول البلاد و عرضـها فى الجزيرة العربيـة، هـذا بالإضافـة إلى ما كان يلمسه «صـلى اللّه عليه و آله» من التسديـد بالوحى و الألطاف الإلهية به «صلى اللّه عليه و آله» و بالمسلمين فى الفترات الحرجة و الخطيرة.

و هذا ما يفسـر لنا ما نشـهده من معرفة النبى التامة بواقع ما يجرى حوله، فلم يكن ليفاجئه أمر داهم، بل كان هو الذى يفاجئ أعداءه و يباغتهم. فهو إمـا يسـبقهم بتوجيه الضـربة الأـولى لهم، و إمـا بمواجهته لهم بالخطـة التى تبطل كيـدهم، و تفشل مؤامراتهم، و مكرهم السيّئ، و لا يحيق المكر السيّئ إلا بأهله.

و هذا بالذات هو ما حصل فى حرب الخندق، حيث فاجأ المشـركين بحفر الخندق حول المدينة، و تحصـين سائرها، الأمر الذى أحبط خطتهم،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۹۱

و تسبب لهم بالفشل الذريع، و الخيبة القاتلة و المريرة.

۳- أما معرفة أعداء النبى «صـلى اللّه عليه و آله» به فهى تختلف فى مضمونها، و فى آثارها و نتائجها عن معرفته بهم، فإنهم و إن كانوا يعرفون نبوّته و صـدقه و أمـانته، و لاـ يشـكّون فى حقانيـة مـا جـاء به. إلا أنهم يجهلون الكثير الكثير من آثار الإسـلام، و الإيمان، و لا يعرفون الكثير عما يحدثه الالتزام بتعاليمه و شرائعه من تغييرات عميقة فى فكر و روح الإنسان و فى شخصيته، و فى كل وجوده.

نعم .. إنهم يعرفون صـدق هـذا النبى، و صـحة نبوته، و حقانية ما جاء به، إلى درجة أن اليهود يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، و يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة و الإنجيل.

أمـا المشـركون، فقـد عـاش النبى «صـلى اللّه عليه و آله» بينهم، و عرفوه طفلاـ و يافعـا، و شابا و مكتهلا، و هم الـذين سـموه بالصادق الأمين، و رأوا منه الكثير من المعجزات و الكرامات و الخوارق، و عاينوا و سـمعوا منه من الحجج ما يقطع كل عذر، و يزيل كل شبهة و ريب، حتى لم يعـد أمـامهم إلاـ البخوع و التسـليم، أو الاسـتكبار و الجحود على علم، فـألزموا أنفسـهم بالخيار الثانى، كما حكاه اللّه تعالى عنهم: وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا .. «۱».

فكان من نتيجة ذلك: أن أصـبح محض الحق يواجه محض الكفر و الجحود و ظهر بذلك صـحة قوله «صلى اللّه عليه و آله» حين برز على «عليه

---

(۱) الآية ۱۴ من سورة النمل.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۹۲

السلام» لعمرو بن عبد ود الذى وضع المشركون فيه كل آمالهم: «برز الإيمان كله إلى الشرك كله».

و لا عجب بعد هذا إذا تعاون أهل الشـرك و الأوثان مع اليهود مدّعى التوحيد. بل لا عجب إذا رأينا هؤلاء اليهود، الذين يدّعون أنهم يعبدون اللّه، يشهدون لأهل الأوثان بأنهم أهدى من أهل التوحيد رغم أن ذلك يستبطن اعترافا من اليهود ببطلان دينهم و عقيدتهم!!

و بعد ما تقدم: فإننا نسـتطيع أن نتفهم بعمق السـبب فى أن هذه الحرب فيما بين المسـلمين و أعدائهم لا بد أن تكون مريرة و قاسـية و تتميز بالشـمولية و الاتساع، و العمق. ثم برسوخ آثارها على كل صعيد ما دام أن أعداء الإسلام يرون ضرورة أن تستنفذ جميع الطاقات المتوفرة لديهم للهدم و للاستئصال، و الإبادة الشاملة، فإن الهدف منها هو استئصال محمد و من معه.

وَ يَمْكُرُونَ وَ يَمْكُرُ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ «۱».

المشورة و التخطيط:

و يقول المؤرخون: إنه لما فصلت قريش من مكة إلى المدينة خرج ركب من خزاعة إلى النبى فساروا من مكة إلى المدينة أربعا فأخبروا النبى «صلى اللّه عليه و آله» بالأمر. و ذلك حين ندب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» الناس، و أخبرهم الخبر و شاورهم فى أمرهم، و أمرهم بالجد و الجهاد، و وعدهم النصر، إن هم صبروا و اتقوا، و أمرهم بطاعة اللّه و طاعة رسوله.

---

(۱) الآية ۳۰ من سورة الأنفال.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۹۳

و شاورهم «صلى اللّه عليه و آله»- و كان يكثر من مشاورتهم فى الحرب- فقال: أنبرز لهم من المدينة؟ أم نكون فيها و نخندقها علينا؟ أم نكون قريبا و نجعل ظهورنا إلى الجبل؟! فاختلفوا.

[زاد المقريزى قوله: و كان سلمان الفارسى يرى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يهم بالمقام بالمدينة «۱» و يريد أن يتركهم حتى يردوا ثم يحاربهم على المدينة و فى طرقها فأشار بالخندق].

فقال سلمان: يا رسول اللّه! إنا إذ كنا بأرض فارس، و تخوفنا الخيل خندقنا علينا، فهل لك يا رسول اللّه أن نخندق؟!

فأعجب رأى سلمان المسلمين، و أحبوا الثبات فى المدينة.

فركب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فرسا له، و معه نفر من أصحابه من المهاجرين، و الأنصار، فارتاد موضعا ينزله، فكان أعجب المنازل إليه:

أن يجعل سلعا- جبل معروف بسوق المدينة- خلف ظهره و يخندق على المذاد، إلى ذباب، إلى راتج.

فعمل يومئذ الخندق. و ندب الناس، و خبرهم بدنو عدوهم، و عسكرهم إلى سفح سلع «۲».

و اختصر ذلك المفيد و ابن شهر آشوب، فقالا: «فلما سمع النبى «صلى

---

(۱) لا ندرى من أين فهموا: أنه كان يرى ذلك، و لو كان حقا يرى ذلك فلا ندرى من أين فهموا أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» كان يهم بالمقام فى المدينة؟!.

(۲) راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۴۴ و الإمتاع ج ۱ ص ۲۱۹ و ۲۲۱ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۱ و ألمح إلى ذلك فى: الثقات ج ۱ ص ۲۶۵ و ۲۶۶ و راجع:

سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۱۴ و ۵۱۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۱۹۴

اللّه عليه و آله» باجتماعهم استشار أصحابه، فاجتمعوا على المقام بالمدينة و حربهم على أنقابها» «۱».

و لنا مع هذا الذى يذكره المؤرخون وقفات، و هى التالية:

من أخبر النبى صلى اللّه عليه و آله بمسير الأحزاب؟!

قد تقدم: أن ركبا من خزاعة قدم إلى المدينة فى مدة أربعة أيام فأخبروا النبى «صلى اللّه عليه و آله» بمسير الأحزاب إليه.

و لكننا نجد نصا آخر عن على «عليه السلام» يقول: إن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد علم بذلك من جهة جبرئيل «عليه السلام» «فخندق على نفسه و من معه» «۲».

و لا نستبعد أن يكون كلا الأمرين قد حصل.

و قد ذكرنا فيما سبق: أن خزاعة كانت ترتبط مع الهاشميين بحلف عقده معها عبد المطلب «رحمه اللّه»، و قد بقيت وفية لهذا الحلف و كانت عيبة نصح لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

و قد أشرنا فيما سبق: إلى أنها قد دفعت ثمن هذا الوفاء غاليا فيما بعد وفاة رسول اللّه الأكرم «صلى اللّه عليه و آله»؛ فجزى اللّه أنصار اللّه، و أنصار رسوله خير جزاء و أوفاه. إنه ولى قدير، و بالإجابة حرى و جدير.

---

(۱) مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۱۹۷ و الإرشاد ص ۵۱ و كشف الغمة للأربلى ج ۱ ص ۲۰۲ و البحار ج ۲۰ ص ۲۵۱.

(۲) الخصال (باب السبعة) ج ۲ ص ۲۶۸ و البحار ج ۲۰ ص ۲۴۴ عنه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۱۹۵

من المشير بحفر الخندق؟!

إن السياق المذكور آنفا يدل: على أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» هو الذى بادر إلى اقتراح حفر الخندق، ثم لما اختلف المسلمون، فتكلم سلمان الفارسى «رحمه اللّه» بطريقة بيّن لهم فيها وجه الحكمة فى اعتماد إجراء كهذا، فأعجبهم ذلك حينئذ، فقبلوه و اجتمعت كلمتهم عليه.

و لكن كلمات كثير من المؤرخين قد أظهرت: أن سلمان هو المشير بحفر الخندق «۱» من دون أن تشير إلى أى تحفظ فى ذلك.

و هذا هو ما استنتجه بعض المشركين حين فوجئوا بالخندق «۲».

---

(۱) راجع: وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۰۰ و ج ۴ ص ۱۲۰۶ و الثقات ج ۱ ص ۲۶۶ و التنبيه و الإشراف ص ۲۱۶ و سيرة مغلطاى ص ۵۶ و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۷۸ و الوفاء ص ۶۹۳ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۱ و ۴۷۹ و الروض الأنف ج ۳ ص ۲۷۶ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۸ ص ۳۵ و أنساب الأشراف ج ۱ ص ۳۴۳ و مناقب آل أبى طالب ج ۳ ص ۱۳۴ و ج ۱ ص ۱۹۸ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۳۴ و تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۵۰ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۰۱ و عيون الأثر ج ۲ ص ۵۷ و البحار ج ۲۰ ص ۲۵۱ و ۲۱۸ و ۱۹۷ و ج ۴۱ ص ۸. و مجمع البيان ج ۸ ص ۳۴۰ و نهاية الأرب ج ۱۷ ص ۱۶۸ و تفسير القمى ج ۲ ص ۱۷۷ و إعلام الورى (ط دار المعرفة) ص ۹۹ و الخرايج و الجرايح ج ۱ ص ۱۵۲ و السيرة النبوية لدحلان ج ۲ ص ۳ و بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۶۳ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۱ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۱۴ و حدائق الأنوار ج ۲ ص ۵۱۵ و الإرشاد للمفيد ص ۵۱ و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۷ و مختصر التاريخ ص ۴۳ و حبيب السير ج ۱ ص ۳۵۹ و سعد السعود ص ۱۳۸.

(۲) راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۳۰ و تفسير القمى ج ۲ ص ۱۸۲ و بحار الأنوار ج ۲۰ ص ۲۲۴ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۷۰ و نهاية الأرب ج ۱۷-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۱۹۶

بل قال مسكويه: «فأشار سلمان على رسول اللّه «صلى اللّه عليه» لما رآه يهم بالمقام بالمدينة، و يدبر أن يتركهم حتى يردوا، ثم يحاربهم على المدينة و فى طرقها: أن يخندق. ففعل ذلك» «۱».

لكن مؤرخين آخرين قد عبّروا عن شكهم فى هذا الأمر، فقال بعضهم:

«استشار النبى «صلى اللّه عليه و آله» سلمان- فيما يزعمون- بأمر الخندق» «۲».

و قال آخرون: «فحفر الخندق. قيل: أشار به سلمان» «۳». و فى مقابل ذلك نجد ابن إسحاق و كذا غيره ينسب حفر الخندق إلى

رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و لا يشير إلى مشورة سلمان، لا من قريب و لا من بعيد «۴».

- ص ۱۷۳ و راجع: الإرشاد للمفيد ص ۵۲ و كشف الغمة للأربلى ج ۱ ص ۲۰۲ و إعلام الورى (ط دار المعرفة) ص ۱۰۰ و راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۵.

و تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۵۰ و السيرة النبوية لدحلان ج ۲ ص ۵ و راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۴.

(۱) تجارب الأمم ج ۱ ص ۱۴۹.

(۲) البدء و التاريخ ج ۴ ص ۲۱۷ و راجع: إعلام الورى ص ۹۰.

(۳) راجع: تاريخ ابن الوردى ج ۱ ص ۱۶۰ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ قسم ۲ ص ۲۹ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۹۵ و المختصر فى أخبار البشر ج ۱ ص ۱۳۴ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۸۲ و ۱۸۳ و راجع قول ابن هشام فى السيرة النبوية ج ۳ ص ۲۳۵ و راجع: جوامع السيرة النبوية ص ۱۵۰.

(۴) راجع: السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۲۶ و جوامع السيرة النبوية ص ۱۴۸ و عيون الأثر ج ۲ ص ۵۵ و تهذيب سيرة ابن هشام ص ۱۸۹ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۳۹۹ عن ابن عقبة و ص ۴۰۹ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۸۲ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۲۳۴ و شرح الأخبار ج ۱ ص ۲۹۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۱۹۷

بل إن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد كتب فى رسالته الجوابية لأبى سفيان: «و أما قولك من علّمنا الذى صنعنا من الخندق، فإن اللّه ألهمنى ذلك» «۱».

و كل ذلك يجعلنا نميل إلى أن كلام الواقدى قد جاء أكثر دقة فى هذا المجال. و هو يفسر لنا السر فى كلام ابن إسحاق من جهة، و كلام غيره المقابل له من جهة أخرى.

أما أولئك الذين ظهر منهم التردد فى ذلك فلعلهم لم يقفوا على كلام الواقدى، و لم يتمكنوا من الجمع بين كلام ابن إسحاق و هو الحجة الثبت فى السيرة، و بين كلام غيره.

وعى سلمان:

و لا نخفى هنا إعجابنا بهذا الوعى من سلمان المحمدى، حيث بادر فى الوقت المناسب إلى تقديم تبرير لأولئك الناس الذين اختلفوا على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، يتوافق مع طريقة تفكيرهم، حيث قرر لهم: أن الخندق المقترح من شأنه أن يحد من فاعلية الخيل فى الحرب، و يدفع غائلتها، و يصبح الجهد الشخصى للأفراد هو الذى يقرر مصير الحرب و نتائجها.

فكان أن استجاب المسلمون لاقتراح حفر الخندق، و أعلنوا موافقتهم عليه، و تحملوا مسؤولية الخيار و الاختيار، و هذا بالذات هو ما أراده الرسول الأكرم «صلى اللّه عليه و آله».

---

(۱) الإمتاع ج ۱ ص ۲۴۰ و خاتم النبيين ج ۲ ص ۹۴۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۱۹۸

لو كان الخندق بإشارة سلمان:

و قد رأينا: أن عددا من المؤرخين قد زعم أن الخندق حفر بإشارة سلمان، و إن كنا نرجح: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» هو الذى بادر إلى اقتراحه فاختلف المسلمون، فكان دور سلمان أن بيّن لهم وجه الحكمة فى ذلك، حسبما تقدم بيانه عن الواقدى ..

و مهما يكن من أمر فقد ظهر: أن المشركين قد فوجئوا بالخندق و قالوا عنه: إن هذه المكيدة ما كانت العرب تكيدها «۱»، و لعل الأنظار قد اتجهت إلى سلمان الفارسى منذئذ.

و سواء أكان ذلك بمشورة سلمان أم لم يكن فإن ما نريد أن نؤكد عليه هو أن الإسلام لا يمنع من الاستفادة من تجارب الآخرين و من خبراتهم فى المجالات الحياتية البناءة، فقد روى: أن «الحكمة ضالة المؤمن، فاطلبوها و لو عند المشرك تكونوا أحق بها و أهلها» و فى معناه غيره «۲».

نعم .. إن المؤمن أحق بالحكمة من غيره، ما دام أن ذلك الغير قد يستفيد منها لتقوية انحرافه، و تأكيد موقعه المناوئ للحق و للأصالة و الفطرة.

و قد رأينا: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد أطلق الصناع و أصحاب

---

(۱) راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۳۰.

(۲) أمالى الشيخ الطوسى ج ۲ ص ۲۳۸ و تحف العقول ص ۱۳۸ و ۲۹۲ و غرر الحكم ج ۱ ص ۳۹۴ و البحار ج ۷۵ ص ۳۴ و ۳۸ و ۳۰۷ و ج ۲ ص ۱۷ و ۹۶ و ۹۷ و مواضع أخرى منه. و راجع: دستور معالم الحكم ص ۱۹ و المجروحون ج ۱ ص ۱۰۵ و التراتيب الإدارية ج ۲ ص ۳۴۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۱۹۹

الحرف فى خيبر لينتفع بهم المسلمون «۱».

و أمر النبى «صلى اللّه عليه و آله» المشركين فى بدر، الذين لا يجدون ما يفتدون به: أن يعلم الواحد منهم عشرة من أطفال المسلمين القراءة و الكتابة، و يطلق سراحهم فى مقابل ذلك «۲».

و لكن هذه الاستفادة مشروطة: بأن لا تنشأ عنها سلبيات أخرى كما لو كان ذلك يعطى لأولئك المنحرفين فرصة لتضليل الناس و جرهم إلى مهالك الانحراف، أو يعطيهم بعض النفوذ و الهيمنة أو يجرئهم على التدخل فى الشؤون الخاصة بالمسلمين، و ما إلى ذلك.

و هكذا، فإنه يصبح واضحا: أن المرفوض إسلاميا هو التبعية للآخرين و الانبهار الغبى بهم، و تقليدهم على غير بصيرة. و أما الاستفادة الواعية من منجزاتهم الحيوية لبناء الحياة، و التغلب على مصاعبها، بصورة تنسجم مع أحكام الشرع، و من دون أن تنشأ عنه سلبيات خطيرة، فذلك أمر مطلوب، و لا غضاضة فيه.

و حتى لو كان الخندق بإشارة سلمان من الأساس، و كان سلمان قد

---

(۱) راجع: التراتيب الإدارية ج ۲ ص ۷۵ و ستأتى إن شاء اللّه بقية المصادر فى غزوة خيبر.

(۲) مسند أحمد بن حنبل ج ۱ ص ۲۴۷ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۹۵ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۱۹۳ و الروض الأنف ج ۳ ص ۸۴ و الطبقات الكبرى ج ۲ ق ۱ ص ۱۴ و التراتيب الإدارية ج ۲ ص ۳۴۸ و ج ۱ ص ۴۸ و ۴۹ عن السهيلى، و عن المطالع النصرية فى الأصول الخطية، لأبى الوفا نصر الهورينى، و عن الإمتاع للمقريزى ص ۱۰۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۰۰

استفاد ذلك من بيئته و قومه، الذين ما كانوا على طريقة الإسلام و لا على دين الحنيفية، فلا ضير و لا غضاضة فى قبول مشورته. بل

الغضاضة فى ترك العمل بتلك المشورة إذا كانت موافقة للصواب و يتسبب الإعراض عنها بوقوع المسلمين فى مأزق، و هم فى غنى عنه و لا مبرر للوقوع فيه. مع وجود مخرج ليس فى العمل به حرج و لا تنشأ عنه أية سلبيات يرغب عنها.

طريقة استشارته صلى اللّه عليه و آله أصحابه:

هذا، و لا نرى أننا بحاجة إلى التذكير بمبررات مشاورة النبى «صلى اللّه عليه و آله» أصحابه، فى أمر الحرب، فقد تحدثنا عن ذلك، و عن أسبابه و آثاره الإيجابية فى أوائل غزوة أحد.

غير أننا نشير هنا: إلى أننا نلمح فى طريقة مشاورة النبى «صلى اللّه عليه و آله» لأصحابه خصوصيتين رائعتين تجلتا لنا فى النص الذى ذكره الواقدى.

إحداهما: أنه «صلى اللّه عليه و آله» هو الذى بادر إلى اقتراح حفر الخندق ثم انتظر مبادرة سلمان الإقناعية، متعمدا أن تسير الأمور بهذه الطريقة، سياسة منه «صلى اللّه عليه و آله» لأصحابه، و ترويضا لعقولهم، و إعدادا لهم ليبادروا إلى تحمل المسؤولية، و لغير ذلك من أمور.

الثانية: أنه «صلى اللّه عليه و آله» فى نفس الوقت الذى يمارس فيه أسلوب المشاورة بهدف تحسيس أصحابه بالمسؤولية و إفهامهم- عملا، لا قولا فقط- أنهم الجزء الحركى و الفاعل و المؤثر حتى على مستوى التخطيط، و القرارات المصيرية، و أن القضية قضيتهم، بما يعنيه ذلك كله من ارتفاع ملموس فى مستوى وعيهم و تفكيرهم السياسى، و العسكرى، و غير ذلك من أمور كانت

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۰۱

محط نظره «صلى اللّه عليه و آله»،

نعم .. إنه فى هذا الحين بالذات يطرح أمامهم خيارات من شأنها أن تخرجهم من حالة الضيق و الحرج، و تفتح أمامهم نوافذ جديدة على آفاق رحبة من التدبير العسكرى، الذى يحفظ لهم وجودهم، و يبعد عنهم شبح الهزيمة المرة، أو التعرض لحرب تحمل معها أخطار القتل الذريع، دون أن يجدوا فى مقابل ذلك أيا من تباشير النصر، أو التفاؤل به.

الخندق فى إيجابياته الظاهرة:

قد تحدثنا فى غزوة أحد فى الفصل الأول منها، فى فقرة: ما هو رأى النبى «صلى اللّه عليه و آله» فى أحد، ما يفيد الاطلاع عليه فى فهم إيجابيات البقاء فى المدينة، و التمنع فيها، فيرجى مراجعة ما ذكرناه هناك.

أما هنا، فنقول: إنه لم يطل الأمر بالمسلمين، حيث إنهم سرعان ما أدركوا: أن حفر الخندق هو ذلك التدبير الذكى الرائع الذى فوّت على عدوهم ما كان يحلم به من منازلتهم و مكافحتهم إلى درجة إلحاق الهزيمة بهم ثم استئصالهم و إبادة خضرائهم، و تقويض عزهم.

و قد أعطى الخندق المسلمين القدرة على ممارسة التسويف فى الوقت، و هو الأمر الذى لم يكن المشركون قادرين على تحمل التسويف فيه إلى أجل غير مسمى.

و قد رأى المسلمون بأم أعينهم:

۱- كيف أن عدوهم لم يستطع الصبر طويلا، بسبب بعده عن مصادر الإمداد البشرى و التموينى، مع ملاحظة محدودية طاقاتهم التموينية، لعدم

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۰۲

إمكـان توفير مـدخرات كافيـة لهـذا العـدد الهائـل من الناس، و لكل ما معهم من خيل و ظهر كانوا بحاجـة إليه فى حربهم. فإن منطقة الحجاز لم تكن قادرة- بحكم طبيعـة حياة الناس فيها- على توفير هـذا النوع من القـدرات و الإمكانات بهذا المسـتوى الكبير و الحجم الهائل- و لا أقل من أن المشـركين لم يفكروا مسـبقا بإيجاد خطوط تموين لحرب طويلـة الأمـد، و لا خططوا أبـدا لمثل هـذه الحرب، كما أنهم لم يعتادوا حروبا كهذه و لا ألفوها، فمن الطبيعى- و الحالة هذه- أن يملوا حربا كهذه، و ينصرفوا عنها.

۲- إن هـذا الخندق قد اسـتطاع أن يحفظ لهم وجودهم و كرامتهم، فلم يسـجل عليهم عدوهم نصـرا و قد كبت اللّه به عدوهم وردهم بغيظهم لم ينـالوا شـيئا ممـا كـانوا يحلمون به، دون أن يكلف ذلـك المسـلمين خسـائر تـذكر، و حرم المشـركين بـذلك من إمكـانية إشراك أعداد ضخمة فى المواجهات مع المسلمين.

۳- ثم وجد المسـلمون أنفسـهم بعد ذلك أمام فرص أكبر، و حظ أوفر من ذى قبل، و استمروا يواصلون جهدهم و جهادهم للحصول على المزيـد من أسـباب القوة، و المنعـة، و العمل على إضـعاف عدوهم و تقويض هذا التوافق فيما بين فئاته لصالح بقاء هذا الدين، و ترسيخ دعائمه و أركانه.

۴- إنه «صـلى اللّه عليه و آله» قـد جمع بين أن خنـدق على المدينة و بين جعل جبل سـلع خلف ظهر المسـلمين- كما سـنرى- فيكون بذلك قد اسـتفاد من الموانع الطبيعية، ثم أحدث مانعا مصطنعا من الجهة الأخرى، لتكتمل خطته بحرمان العدو من أية فرصة للنيل من صمود المسلمين، أو إحداث أى إرباك، أو تشويش، أو خلخلة، أو مناطق نفوذ و تسلل فى صفوفهم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۰۳

و أخيرا: نجـد نصـا عن سـلمان الفارسـى يصـرح فيه بـالمبررات لحفر الخنـدق، فهو يقول: «يا رسول اللّه، إن القليل لا يقاوم الكثير فى المطاولة.

قال: فما نصنع؟

قال: نحفر خندقا يكون بيننا و بينهم حجابا، فيمكنك منعهم فى المطاولة.

و لاـ يمكنهم أن يأتونـا من كل وجه. فإنّا كنا معاشـر العجم فى بلاد فارس إذا دهمنادهم من عـدونا نحفر الخنادق، فيكون الحرب من مواضع معروفة.

فنزل جبرئيل «عليه السلام» على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فقال: أشار سلمان بصواب «۱».

بين الأصالة و التجديد:

و آخر ما نقوله هنا: أن حفر الخنـدق قد أفهم المسـلمين: أنه ليس من الضـرورى أن يبقى الإنسان أسـير الأفكار و العادات و الأساليب المتداولـة فى المحيط الـذى يعيش فيه، فإذا كان باسـتطاعته أن يبتكر أساليب، و يحدث وسائل جديدة، تمكنه من تحقيق أهدافه على النحو الأفضـل و الأمثل، فعليه أن يبادر إلى ذلك، و يكسـر حاجز الإسـتغراب و الإسـتهجان و الرهبـة، و يتحرر من عقـدة الحفاظ على القديم، أو على العادة و التراث لمجرد أنه قديم و تراث، و من موقع الجمود، و الخواء و التقوقع.

أمـا إذا كان هـذا القـديم يمثل الأصالـة، و العمق و الانتماء، و يعيـد للإنسان هويته الحقيقيـة، و يحول بينه و بين التخلى عن خصائصـه الإنسانية

---

(۱) تفسير القمى ج ۲ ص ۱۷۷ و البحار ج ۲۰ ص ۲۱۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۰۴

الأصـيلة، فـذلك القـديم يكون هو الجديـد النـافع، فى مقابل كل ما هو غريب، أو يجر الإنسان إلى غربـة حقيقيـة، تبعـده عن واقعه و

تجرده من خصائصه الإنسانيـة الأصـيلة، ليعيش فى الظلام و الضـياع حيث الشـقاء و البلاء، و حيث الوحشـة و الوحدة و الغربة، بكل ما لهذه الكلمات من معنى؛ فالتجديد الإيجابى البناء هو الأصالة ذاتها.

أما التجديد الذى يفقد الإنسان أصالته، فهو الذى يمثل العودة إلى الوراء، و هو حقيقة التغرب و الإنحطاط، و السقوط و التراجع. و هو بالتالى الكارثة الحقيقية و المدمرة له إن فى الحاضر أو فى المستقبل.

أضف إلى ما تقدم: أن التعارف فيما بين الشعوب المختلفة حين ينتهى إلى توظيف حصيلة تجاربها الحياتية لاستكمال سماتها الأصيلة للحياة بكل امتـداداتها و على مختلف المساحات فى الآفاق الرحبة، فإن هذا التعارف يصـبح ضـرورة لا بد منها و لا غنى عنها لأية أمة تريد لنفسـها الخير و السـعادة و الفلاح. و تريد كذلك أن تسـتثمر ذلك كله فى خط التقوى و العمل الصالح. و فى صـراط حصحصة الحق ليكون هو الملاذ، و الرجاء، فى كل شدة و رخاء.

و قد قال تعالى: .. وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ .. «۱».

أين كان الخندق و ما هى مواصفاته؟!

اشارة

قد تقدم: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد ركب فرسا و خط لهم الخندق

---

(۱) الآية ۱۳ من سورة الحجرات.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۰۵

و قد بينت النصوص التاريخية لنا مواضع الخندق و خصوصـياته و مواصـفاته بشىء من التفصيل، و نحن نذكر طائفة من هذه النصوص فنقول:

۱- موضع الخندق:

قال الواقدى: «كان الخندق ما بين جبل بنى عبيد بخربى، إلى راتج.

قال: و هذا أثبت الأحاديث عندنا» «۱».

و فى نص آخر: «من المذاد، إلى ذباب، إلى راتج» «۲».

و عند القمى: «فأمر «صلى اللّه عليه و آله» بمسحه من ناحية أحد إلى راتج» «۳».

و فى نص أكثر تفصـيلا: «حفر النبى «صـلى اللّه عليه و آله» الخنـدق طولا، من أعلى وادى بطحان، غربى الوادى، مع الحرة، إلى غربى مصلى العيد، ثم إلى مسجد الفتح، ثم إلى الجبلين الصغيرين، اللذين فى غربى الوادى. و مأخذه قول ابن النجار».

إلى أن قال: «و الحاصل: أن الخندق كان شامى المدينة، من طرف الحرة

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۵۰- ۴۵۲ و راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۲.

(۲) راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۱۵ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۴۵ و الثقات ج ۱ ص ۲۶۶.

(۳) تفسير القمى ج ۲ ص ۱۷۷ و بحار الأنوار ج ۲۰ ص ۲۱۸ و قال الطبرسى فى مجمع البيان ج ۸ ص ۳۴۲ و عنه فى بحار الأنوار ج ۲۰ ص ۲۰۳ «كان اسم الموضع الذى حفر فيه الخندق: المذاد».

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۰۶

الشرقية، إلى طرف الغربية» «۱».

و روى بسند معتبر، عن عمرو بن عوف قال: «خط رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» الخندق عام الأحزاب من أجم الشيخين (السمر) طرف بنى حارثة، حتى بلغ المذاد (المداحج)» «۲».

و المذاد بطرف منازل بنى سلمة، مما يلى مسجد الفتح، و منازلهم فى جهة الحرة الغربية «۳».

قال السمهودى: «سيأتى أن الشيخين أطمان شامى المدينة بالحرة الشرقية، أما المداحج فلا ذكر لها فى بقاع المدينة» «۴».

و أقول: لعل كلمة «المداحج» تصحيف لكلمة «المذاد»، و لعل كلمة:

«السمر»، تصحيف لكلمة «الشيخين».

۲- جعل الأبواب للخندق:

«و ذكروا: أن الخندق له أبواب، فلسنا ندرى أين موضعها» «۵».

---

(۱) وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۰۴ و الفقرة الأخيرة ص ۱۲۰۶ أيضا و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۱ و العبارة الأخيرة فى السيرة النبوية لدحلان ج ۲ ص ۳.

(۲) راجع: تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۳۵ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۴۱۸ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۱۵.

(۳) وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۰۵.

(۴) المصدر السابق.

(۵) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۵۲ و راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۲ و تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۵۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۰۷

و حسب نص آخر: «جعل له رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أبوابا، و جعل على الأبواب حرسا» «۱».

و لكن كعب بن مالك قد أشار إلى وجود خندقين، فهو يقول:

بباب خندقين كأن أسداشوابكهن يحمين العرينا «۲»

و يقول ضرار بن الخطاب:

كأنهم إذا صالوا وصلنابباب خندقين مصافحونا «۳» و قال الفرزدق:

بدر له شاهد و الشعب من أحدو الخندقان و يوم الفتح قد علموا «۴»

و ذكر القمى: أن عدد الأبواب كان ثمانية «۵»

۳- خصوصيات و مواصفات أخرى:

«و الخندق فيه قناة، يأتى من عين قباء إلى النخل الذى بالسنح، حوالى مسجد الفتح.

و فى الخندق نخل أيضا. و انطمّ أكثره، و تهدمت حيطانه» «۶».

---

(۱) المصادر السابقة، و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۱۵.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۵۴ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۶۷ و وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۰۶.

(۳) السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۶۶.

(۴) مناقب آل أبى طالب ج ۴ ص ۱۷۴.

(۵) تفسير القمى ج ۲ ص ۱۷۹ و عنه فى بحار الأنوار ج ۲۰ ص ۲۲۰.

(۶) وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۰۴ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۰۸

و ذكروا أيضا: أنه قد «بلغ طول الخندق نحوا من خمس آلاف ذراع و عرضه تسعة أذرع، و عمقه سبعة أذرع» «۱».

الموقع الجغرافى للخندق:

و نحن إذا راجعنا الواقع الجغرافى للمدينة، فإنه يتضح: أن الخندق قد ضرب على المدينة فى مواقع من الجهة الغربية و الشمالية أما الجهة الشرقية و الجنوبية فقد شبكت بالبنيان، و لم يخندق المسلمون عليها.

و لعل ذلك يرجع إلى أن المواقع التى تستوعب ألوف الفرسان، و تصلح أن تكون ساحة حرب و نزال هى المنطقة الواقعة بالقرب من ثنيات الوداع شمال غرب المدينة حتى تنتهى بجبل أحد. و هى منطقة واسعة و مسطحة و مكشوفة، و ليست فيها عراقيل مهمة، و هى المنطقة التى حفر الخندق فيها.

أما سائر المناطق حول المدينة فلم تكن تصح لذلك، و لا سيما بالنسبة لجيوش كبيرة تعد بالألوف، من فرسان و رجالة، بالإضافة إلى ما يتبع هذه الجيوش من دواب و خيول تحمل أزوادهم و أمتعتهم، و تحمل الرجالة منهم أيضا فى سفرهم الطويل.

ذلك لأن سائر المناطق حول المدينة كان فيها من الجبال و الأودية، و من التضاريس و الأشجار و الحجارة ما يحد من قدرة تلك الجيوش الغازية على الحركة الفاعلة، و المؤثرة، و يفقدها الكثير من الامتيازات الحربية، و يحرمها من الاحتفاظ بزمام المبادرة، و يفوّت عليها نصرا تطمع إلى تحقيقه.

---

(۱) الرسول العربى و فن الحرب لمصطفى طلاس ص ۲۴۰ و ۲۴۱ و السيرة النبوية للندوى ص ۲۸۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۰۹

و يوضح ذلك: أنه كانت توجد فى الجهة الشرقية حرة واقم و فى الجهة الغربية حرة الوبرة، و هى مناطق و عرة فيها صخور بركانية و تمثل حواجز طبيعية، و كان فى جهة الجنوب أشجار النخيل و غيرها بالإضافة إلى الأبنية المتشابكة، و كل ذلك لا يتيح لجيش المشركين أن يقوم بنشاط فاعل و قوى ضد المسلمين.

و حيث إن بعض المواضع فى جهتى الشرق و الجنوب كان يمثل النقطة الأضعف من غيرها، الأمر الذى يحمل معه احتمالات حدوث تسلل تكتيكى للعدو، يهدف إلى إرباك الوضع العسكرى و النفسى للمسلمين، فقد كان لا بد من سد تلك الثغرة، و رفع النقص، و تفويت الفرصة على العدو، حتى لا يضطر المسلمون لتوزيع قواهم و بعثرتها هنا و هناك بطريقة عشوائية، أو من شأنها أن تضعف فيهم درجة الصمود و التصدى فى ساحة الصراع الحاسم فى ميدان الكر و الفر الأول و الأساس.

فكان أن بادر المسلمون إلى تشبيك المدينة بالبنيان و ذلك فى مواقع الضعف المشار إليها. و هذه الإجراءات كلها قد حالت دون

استخدام قوات كبيرة فى مهاجمة المدينة إلا من جهة الخندق، و هى قد أصبحت مشلولة بسبب حفر الخندق تجاه العدو فيها.

غير أن هذا الذى ذكرناه: لا يعنى أن يمر القادم من مكة على ثنية الوداع، و هى الجهة الشمالية للمدينة. فإن طريق المسافرين، الذين تضمهم فى الغالب قوافل صغيرة محدودة العدد، ليس كطريق الجيوش الضخمة التى تضم ألوفا كثيرة من الناس و من وسائل النقل المختلفة، حسبما ألمحنا إليه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۱۰

و بذلك يتضح: أن من الممكن أن نتفهم أنه لا مانع من أن تأتى الجيوش إلى جهة ثنية الوداع من جهة الشام، و لكن المسافرين يأتون من طريق آخر. و لا يمر القادم من مكة على ثنية الوداع و لا يراها، كما جاء فى النص التاريخى «۱».

يقول مصطفى طلاس: «و بحفر الخندق استطاعت قيادة الجيش الإسلامى أن تعزل قوات العدو عن مكان التجمع الرئيسى للقوات المدافعة عن المدينة، و أن تحول بينها و بين اقتحام مداخل المدينة، لأن هذه المداخل أصبح من الممكن حراستها بعد حفر الخندق.

و قد أفادت قوات الثورة الإسلامية من مناعة جبل سلع، الذى كان إلى يسارها و إلى الخلف، كما أفادت من و عورة حرة الوبرة لحماية جناحها الأيسر، و من و عورة حرة واقم لحماية جناحها الأيمن، و من الحرة الجنوبية و جبل عسير لحماية المؤخرة» «۲».

تشبيك المدينة بالبنيان:

و كان سائر المدينة مشبكا بالبنيان، شبكوها من كل ناحية، و هى كالحصن «۳».

قال فى خلاصة الوفاء: «كان أحد جانبى المدينة عورة، و سائر جوانبها

---

(۱) راجع: وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۱۷۲ و ۱۱۷۰ و زاد المعاد ج ۳ ص ۱۰ و التراتيب الإدارية ج ۲ ص ۱۳۰.

(۲) مصطفى طلاس: الرسول العربى و فن الحرب ص ۲۳۴.

(۳) راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۵ و مغازى الواقدى ج ۲ ص ۴۵۰ و راجع ص ۴۴۶ و وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۰۵ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۲۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۱۱

مشبكة بالبنيان و النخيل، لا يتمكن العدو منها» «۱».

ثم إنه «صلى اللّه عليه و آله»: «اختار ذلك الجانب المكشوف للخندق، و جعل معسكره تحت جبل سلع» «۲».

و بذلك يكون «صلى اللّه عليه و آله»: قد سد الثغرات التى يمكن للعدو أن يتسلل منها ليحدث إرباكا خطيرا فى معسكر المسلمين.

ثم جعل للخندق أبوابا، و جعل على الأبواب حرسا، بطريقة تمنع من التسلل، و من التواطؤ عليه كما سنرى.

ثم اختار الجانب المكشوف للخندق، و جعل معسكره تحت جبل سلع، مستفيدا منه كمانع طبيعى يصعب على العدو اجتيازه لمهاجمة المسلمين.

مدة حفر الخندق:

و قال المؤرخون: «و جعل المسلمون يعملون مستعجلين، يبادرون قدوم العدو عليهم» «۳».

الأقوال فى مدة حفر الخندق و هى التالية:

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۱ و راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۵ و وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۰۶.

(۲) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۱ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۵.

(۳) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۴۱۱. و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۴۵ و راجع: الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۷۸. و راجع البدء و التاريخ ج ۴ ص ۲۱۷. و فتح البارى ج ۲ ص ۳۰۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۱۲

كان حفر الخندق: ستة أيام و حصنه «۱».

و قيل: بضع عشر ليلة «۲».

و قيل: شهرا أو قريبا من شهر.

قال البعض: و هو أثبت «۳».

و وقع عند موسى بن عقبة: أنهم أقاموا فى عمل الخندق قريبا من عشرين ليلة «۴».

و عند الواقدى: أربعا و عشرين «۵».

و جزم النووى فى الروضة: أنهم حفروه فى خمسة عشر يوما «۶».

و صرح القمى: بأنه «صلى اللّه عليه و آله» قد فرغ من حفر الخندق قبل

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۵۴ و سيرة مغلطاى ص ۵۶ و الوفا ص ۶۹۳ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۲ و حبيب السير ج ۱ ص ۳۶۰ و السيرة النبوية لدحلان ج ۲ ص ۴ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۲۲۴ و نهاية الأرب ج ۱۷ ص ۱۷۰ و عيون الأثر ج ۲ ص ۵۷ و وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۰۴ و ۱۲۰۸ و ۱۲۰۹ و ۱۲۰۵.

(۲) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۴ و عيون الأثر ج ۲ ص ۵۷ و وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۰۹.

(۳) المصدر السابق و وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۰۹ عن الهدى لابن القيم و كذا فى المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۱۱ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۰۲.

(۴) المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۱۲ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۲ و عنه و السيرة النبوية لدحلان ج ۲ ص ۴ و راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۴ و وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۰۸ راجع فتح البارى ج ۷ ص ۳۲.

(۵) المصادر السابقة و عيون الأثر ج ۲ ص ۵۷ و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۱۲۰۸ و ۱۲۰۹.

(۶) راجع: المصادر السابقة فى الهامش ما قبل السابق.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۱۳

قدوم قريش و الأحزاب بثلاثة أيام «۱».

و نقول:

إن الأرقام التى تقول: إنهم أقاموا يعملون فى الخندق عشرين يوما أو شهرا أو نحو ذلك، يبدو أنها بعيدة عن الصواب، لأن المفروض أن ركب خزاعة قد خرج إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بعد أن فصلت قريش من مكة إلى المدينة، و بقى أربعا حتى وصل إليها، و أبلغ الرسول بالأمر ..

و لنفترض: أن مسير قريش إلى المدينة قد استغرق أربع أضعاف الأربعة أيام المذكورة، فتكون قد وصلت إلى المدينة خلال ستة عشر يوما فمع حذف الأربعة أيام الأولى لمسيرة ركب خزاعة فإنه يبقى اثنا عشر يوما تم حفر الخندق فيها، فكيف يقال: إن العمل فى الخندق قد استمر عشرين أو أربعا و عشرين أو ثلاثين يوما؟!

هذا .. و لكن يمكننا أن نخفى دهشتنا و إعجابنا بهذا الإنجاز الضخم و السريع جدا، مع ملاحظة ضعف الوسائل و الإمكانات المتوفرة للعاملين فى حفر الخندق آنئذ، بالإضافة إلى وجود المثبطين عن العمل، كما سنرى.

فحيا اللّه هذه الهمم، و بورك لهم جهادهم المبارك و الرائد تحت قيادة و فى طاعة رسول الإسلام الأعظم و الأكرم «صلى اللّه عليه و آله».

زمام المبادرة بيد من؟!

و قد اتضح من خلال النصوص المتوفرة لدينا: أن العدو و إن كان قد فرض

---

(۱) تفسير القمى ج ۲ ص ۱۷۹ و البحار ج ۲۰ ص ۲۲۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۱۴

على النبى و على المسلمين معركة غير متكافئة من حيث العدد و العدة، و اختار هو التوقيت لحشد جيوشه و تحزيب أحزابه.

و لكنه بمجرد وصوله إلى المدينة: فقد زمام المبادرة ليصبح فى يد النبى و المسلمين بصورة نهائية. فأصبح «صلى اللّه عليه و آله» يتحكم بمسار الحرب، و هو يفرض على عدوه الموقع الذى يريد، فى هذا المكان أو فى ذاك، و لا يملك عدوه أية وسيلة للتغيير فى المواقع و المواضع فلا يمكنه أن يجر المسلمين إلى هذا الموقع أو إلى ذلك الموقع.

كما أنه «صلى اللّه عليه و آله» أصبح يتحكم بالزمام و التوقيت للحرب، و لا يستطيع عدوه أن يهاجمه فى وقت لا يرغب هو بدخول الحرب فيه.

ثم إنه «صلى اللّه عليه و آله» قد أصبح قادرا على اختيار الوسيلة الحربية التى تلائمه، و تنسجم مع ظروفه و قد أسقط العتاد و العدة الحربية للعدو من الخيول و غيرها من الفاعلية المؤثرة و أصبحت عبئا على العدو، لا بد أن يهيئ العدو لها ظروف بقائها و صيانتها من التلف فى مصابرته على الحصار الطويل، الذى كان يستنزف طاقته و صبره، حتى انتهى الأمر به إلى هزيمة مخزية، كما سيتضح.

و هذه هى ثمرة التخطيط الواعى و المسؤول، و ثمرة الإدراك الواعى للواقع و للظروف المحيطة، التى كان لا بد من التعامل معها و التغلب على سلبياتها، و الاستفادة من إيجابياتها على النحو الأكمل و الأفضل و الأمثل.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۱۵

الفصل الثالث: حفر الخندق: أحداث و دلالات

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۱۷

شدائد و متاعب:

إن من الواضح: أن حفر خندق بهذا الحجم حول مدينة كبيرة، ليس بالأمر السهل، و لا سيما بالنسبة لأناس لم يقوموا بعمل ضخم طيلة حياتهم، خصوصا مع بدائية الوسائل و محدوديتها، حتى اضطروا لاستعارة بعضها من يهود قريظة، كما سنرى. هذا بالإضافة إلى انقطاع المسلمين عن العمل فى سبيل لقمة العيش، فانقطعت موارد أرزاقهم فكان من الطبيعى أن يعانى المسلمون من هذا الأمر من متاعب

كبيرة، و شدائد لا تطاق، و ذلك من ناحيتين:

إحداهما: فى نفس هذا العمل الشاق و الكبير، و ما يحتاج لإنجازه فى فرصة محدودة و قصيرة جدا، من جهد مضن لم يعتد هؤلاء الناس على أقل القليل منه، و لا واجهوا نظيره، و لو مرة واحدة طيلة حياتهم.

الثانية: فى الضائقة المالية التى كانوا يعانون منها، التى تتجلى فيما يصفه لنا المؤرخون من حالة الضعف و الجهد، و الخصاصة و الجوع فى تلك الظروف بالذات ..

و قد يحاول البعض أن يقول: إن هذه الضائقة لم تنل جميع الناس آنئذ، لأن الناس- كما يروى الواقدى و المقريزى- قد كان كثير منهم فى وفرة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۱۸

معقولة فى تلك الفترة، لأن مجيء الأحزاب كان بعد انتهاء موسم الحصاد، و قد أدخل الناس غلاتهم و أتبانهم، و لا يزال معظمها موجودا لدى أصحابها.

أضف إلى ذلك: أن بعض الروايات الآتية التى تحكى لنا قصة جابر تقول: إن الذين احتاجوا للإصابة من طعام جابر كانوا ثلاث مائة، أى حوالى ثلث المشاركين فى حفر الخندق؛ فالباقون لم يكونوا بحاجة ماسة إلى طعام، أو لعل أكثرهم كان كذلك.

و نقول:

إن هذه المحاولة غير كافية لإثبات ذلك، إذ قد صرح المؤرخون: أن العام كان عام جدب، و لم يكن ثمة غلات فى مستوى يؤثر فى تغيير ظاهرة الفقر و الخصاصة و الجوع، التى كانت مهيمنة على عامة الناس آنئذ. و لو كان ثمة غلات بهذا الحجم لبادر أصحابها إلى تقديمها طوعا إلى هؤلاء الناس. بل كان النبى «صلى اللّه عليه و آله» يأمرهم ببذلها لإخوانهم، و لا سيما فى ظروف الحرب هذه.

و لكنا قد رأيناهم: يتسابقون إلى دفع أذى الجوع عن شخص النبى الأكرم «صلى اللّه عليه و آله»، و يتسابقون إلى نيل بركاته و الفوز برضاه.

إلا أن ذلك: لا يمنع من أن يكون لدى المنافقين قسط من تلك الأموال، كانوا يضنون بها و يبخلون عن بذلها و من يبخل فإنما يبخل عن نفسه.

حفر الخندق فى روايات المؤرخين:

و نحن نذكر هنا: طائفة من النصوص التاريخية المرتبطة بحفر الخندق،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۱۹

متوخين فيها- قدر الإمكان- تبويبها و تقسيمها، حسبما يتهيأ لنا، ثم نعقب ذلك ببعض ما يرتبط بما أجمل منها أو أشكل، و من اللّه نستمد القوة و الحول فنقول:

المساحى و المكاتل:

و يقولون: إنه «صلى اللّه عليه و آله» قد استعار من بنى قريظة آلة كثيرة، من مساح و فؤوس و مكاتل، يحفرون بها الخندق، و هم يومئذ سلم للنبى «صلى اللّه عليه و آله» و يكرهون قدوم قريش «۱». الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ۱۰ ۲۱۹ المساحى و المكاتل: ..... ص : ۲۱۹ لا ندرى مدى صحة هذا القول، بعد أن كان رسول اللّه- حسبما تقدم، حين الكلام حول إيمان أبى طالب- يدعو اللّه أن لا يجعل لكافر و لا لمشرك عنده يدا أو نعمة إلا أن يكون «صلى اللّه عليه و آله» قد قرر عليهم المعونة بهذا

المقدار، إن دهمهم عدو، حسبما تقدم فى معاهدته «صلى اللّه عليه و آله» مع يهود المدينة. فلا تبقى لهم بذلك منة على أحد، بل للّه المنة عليهم، و إنما يعملون بما أخذ عليهم العمل به.

تقسيم العمل فى الخندق:

قال الواقدى: «و كل بكل جانب من الخندق قوما يحفرونه فكان المهاجرون يحفرون من جانب راتج إلى ذباب، و كانت الأنصار تحفر من

---

(۱) راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۴۵ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۱ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۱ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۱۵ و الإمتاع ج ۱ ص ۲۲۰ و راجع وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۰۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۲۰

ذباب إلى جبل بنى عبيد».

و فى نص آخر: إلى خربى «۱».

و فى نص آخر: و خندقت بنو عبد الأشهل عليها بما يلى راتج إلى خلفها، حتى جاء الخندق من وراء المسجد، و خندقت بنو دينار من عند خربى إلى موضع دار ابن أبى الجنوب اليوم «۲».

و من جهة أخرى: فإنه «صلى اللّه عليه و آله» قطع الخندق أربعين ذراعا بين كل عشرة «۳».

و قال القمى: «جعل على كل عشرين خطوة، و ثلاثين خطوة قوم من المهاجرين و الأنصار يحفرونه» «۴».

و فى نص آخر يقول: «و جعل لكل قبيلة حدا يحفرون إليه» «۵».

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۴۶ و ۴۵۰ و راجع: إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۲۲۰ و حدائق الأنوار ج ۲ ص ۵۸۵ و راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۳ و وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۰۵.

(۲) راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۵۰ و ۴۵۱ و وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۰۵.

(۳) راجع: تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۳۵ و البحار ج ۲۰ ص ۱۸۹ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۲۱۵ و مجمع البيان ج ۲ ص ۴۲۷ و ۳۴۱ و بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۶۳ و شرحه مطبوع بهامشه، و قال: رواه الطبرى و الطبرانى، و الحاكم، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۱ و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۷۹ و الخرائج و الجرائح ج ۱ ص ۱۵۲ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۴۱۸ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۰۵ و وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۰۵ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۹۲.

(۴) تفسير القمى ج ۲ ص ۱۷۷ و عنه فى بحار الأنوار ج ۲۰ ص ۲۱۸.

(۵) تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۵۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۲۱

لكن القطب الراوندى يقول: «قسمه بين المهاجرين و الأنصار بالذراع فجعل لكل عشرة منهم عشرة أذرع» «۱».

النبى صلى اللّه عليه و آله يشارك فى حفر الخندق:

و قد شارك النبى «صلى اللّه عليه و آله» المسلمين فى حفر الخندق كما صرحت به النصوص التاريخة، و ذلك رغبة فى الأجر و

لينشط المسلمين «۲».

و قد أجهد المسلمون أنفسهم، و النبى «صلى اللّه عليه و آله» يكابد معهم «۳» النصب و الجوع و قد استمرت هذه المشاركة حتى فرغ من حفر الخندق «۴».

و كان «صلى اللّه عليه و آله» يضرب مرة بالمعول، و مرة يغرف بالمسحاة التراب، و مرة يحمل التراب بالمكتل، قال أبو واقد: و لقد رأيته يوما بلغ منه، فجلس، ثم اتكأ على حجر على شقه الأيسر، فذهب به النوم، فرأيت أبا بكر

---

(۱) الخرائج و الجرائح ج ۱ ص ۱۵۲ و البحار ج ۱۸ ص ۳۲ عنه.

(۲) راجع ما يلى: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۴۵ و تهذيب سيرة ابن هشام ص ۱۸۹ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۲۶. و راجع: البداية و النهاية ج ۴ ص ۹۵ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۲۲۰ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۳۴ و نهاية الأرب ج ۱۷ ص ۱۶۸ و عيون الأثر ج ۲ ص ۵۵ و ۵۷ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۳۹۹ و ۴۰۹ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۸۳ و وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۴۰۷ و الإكتفاء ج ۲ ص ۱۵۹ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۰۱.

(۳) بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۶۳ و حدائق الأنوار ج ۲ ص ۵۸۵.

(۴) تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۵۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۲۲

و عمر واقفين على رأسه ينحيان الناس أن يمروا به فينبهوه، و أنا قريب منه، ففزع، و وثب فقال: إلا أفزعتمونى؟!

فأخذ الكرزن (الفأس) يضرب به، و إنه ليقول:

اللهم إن العيش عيش الآخرةفاغفر للأنصار و المهاجرة

اللهم العن عضلا و القارهفهم كلفونى أنقل الحجارة «۱» و كان «صلى اللّه عليه و آله» يحمل التراب على ظهره، أو على عاتقه «۲» حتى إن التراب على ظهره و عكنه «۳» و ربما كان يحفر معهم حتى يعيا، ثم يجلس حتى يستريح.

و جعل أصحابه يقولون: يا رسول اللّه، نحن نكفيك.

فيقول: أريد مشاركتكم فى الأجر «۴».

و عن أم سلمة بسند صحيح- عند أحمد-: «كان النبى «صلى اللّه عليه و آله» يعاطيهم اللّبن يوم الخندق، و قد اغبر شعر صدره» «۵».

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۵۳ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۲ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۲۲۵ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۱۸ و راجع المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۱۱.

(۲) راجع: حدائق الأنوار ج ۲ ص ۵۸۵ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۲۲۱ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۱۶.

(۳) راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۱۵ و فى المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۴۹ عن أنس: على صدره و بين عكنه. (العكن: ما انطوى و تثنى من لحم البطن).

(۴) وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۰۷ عن تفسير الثعلبى.

(۵) فتح البارى ج ۷ ص ۳۰۸ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۱۶ و عن أبى يعلى و أحمد برجال الصحيح.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۲۳

و فى نص آخر ذكره البخارى و غيره: «رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عنى التراب جلدة بطنه- و كان كثير الشعر- فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة:

و اللّه لو لا اللّه ما اهتديناو لا تصدقنا و لا صلينا

فانزلن سكينة علينا و ثبت الأقدام إن لاقينا

إن الألى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا ثم يمد بها صوته: أبينا، أبينا «۱».

و قد سجل العسقلانى تحفظا هنا، فهو يقول: «ظاهر هذا أنه كان كثير شعر الصدر، و ليس كذلك فإن فى صفته «صلى اللّه عليه و آله» أنه كان دقيق المسربة، أى الشعر الذى فى الصدر إلى البطن. فيمكن أن يجمع أنه كان مع دقته كثيرا» «۲».

---

(۱) راجع المصادر التالية فى: السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۸۵ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۹۶ عن الصحيحين، و صحيح البخارى ج ۳ ص ۲۱ باب غزوة الخندق.

و صحيح مسلم- الجهاد و السير، باب غزوة الأحزاب. و فتح البارى ج ۶ ص ۴۶ و ج ۷ ص ۳۰۸ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۲۴۵ و بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۶۳ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۱۱ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۱ و السيرة النبوية لدحلان ج ۲ ص ۳ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۲ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۲۲۲ و ۲۲۳ و تفسير القرآن العظيم ج ۳ ص ۵۷۹ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۱۷ و راجع: حدائق الأنوار ج ۲ ص ۵۸۵ و ۵۸۶ و مجمع البيان ج ۸ ص ۳۴۱ و بحار الأنوار ج ۲۰ ص ۱۹۹ و نهاية الأرب ج ۱۷ ص ۱۶۹ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۴۹ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۴۱۳ و ۴۱۴ و كنز العمال ج ۱۰ ص ۲۸۱ و الغدير ج ۷ ص ۲۰۶ عن ابن كثير و عن طبقات ابن سعد.

(۲) فتح البارى ج ۷ ص ۳۰۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۲۴

و لكنه جمع غير ظاهر الوجه، بعد أن كان التعبير الوارد فى الرواية يأباه. و لكن المهم عند هؤلاء هو تصحيح رواية البخارى بأى ثمن.

و قد صرح القمى: بأن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» كان هو البادئ فى حفر الخندق، فهو يقول: و أخذ معولا فحفر فى موضع المهاجرين بنفسه و أمير المؤمنين «عليه السلام» ينقل التراب من الحفرة، حتى عرق رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و عيى، و قال:

لا عيش إلا عيش الآخرةاللهم اغفر للأنصار و المهاجرة فلما نظر الناس إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يحفر اجتهدوا فى الحفر، و نقلوا التراب، فلما كان فى اليوم الثانى بكروا إلى الحفر، و قعد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى مسجد الفتح، فبينا المهاجرون و الأنصار يحفرون إذ عرض لهم الخ ..» «۱».

على عليه السلام و شيعته أعظم الناس عناء:

قال القاضى النعمان: «و كان على صلوات اللّه عليه و شيعته أكثر الناس عناء، و فيه عملا. و كان فى ذلك من الأخبار ما يطول ذكره» «۲».

و ثمة تفاصيل أخرى:

قد عرفنا فيما سبق: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» كان هو البادئ فى حفر الخندق، و كان «صلى اللّه عليه و آله» يحفر، و على «عليه السلام» ينقل

---

(۱) تفسير القمى ج ۲ ص ۱۷۷ و ۱۷۸ و بحار الأنوار ج ۲۰ ص ۲۱۸ عنه.

(۲) شرح الأخبار ج ۱ ص ۲۹۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۲۵

التراب من الحفرة، و قد استمرت مشاركة النبى «صلى اللّه عليه و آله» لهم فى العمل حتى انتهوا من الخندق.

و أنه «صلى اللّه عليه و آله» كان يضرب مرة بالمعول، و مرة يغرف التراب بالمسحاة، و مرة يحمل التراب بالمكتل على ظهره، أو على عاتقه.

و كان «صلى اللّه عليه و آله» يعاطيهم اللّبن، الأمر الذى يدل على أنه كان ثمة بناء فى الخندق.

أضف إلى ذلك أنهم يقولون:

إنهم كانوا يحملون المكاتل على رؤوسهم، و إذا رجعوا بها جعلوا فيها الحجارة، يأتون بها من جبل سلع، يسطرونها مما يليهم كأنها حبال التمر و كانت الحجارة من أعظم سلاحهم، يرمونهم بها.

و القوم يرتجزون، و رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يقول:

هذى الجمال لا جمال خيبرهذا أبر ربنا و أطهر «۱» و ما كان فى المسلمين يومئذ أحد إلا يحفر فى الخندق، أو ينقل التراب و كان أبو بكر و عمر لا يتفرقان فى عمل، و لا مسير و لا منزل، ينقلان التراب فى ثيابهما من العجلة، لم يكن مكاتل لعجلة المسلمين «۲».

و قال جابر: و عمل الناس يومئذ كلهم، و النبى «صلى اللّه عليه و آله»،

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۴۶ و راجع: الإمتاع ج ۱ ص ۲۲۰ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۲.

(۲) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۴۹ و ۴۴۸ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۳ و الإمتاع ج ۱ ص ۲۲۲، و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۱۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۲۶

و جعلت الأنصار ترتجز و تقول:

نحن الذين بايعوا محمداعلى الجهاد ما بقينا أبدا فقال النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و فى لفظ آخر: فيجيبهم:

اللهم لا خير إلا خير الآخرةفاغفر للأنصار و المهاجرة «۱» و كان من فرغ من المسلمين من حصته عاد إلى غيره فأعانه، حتى كمل الخندق «۲».

و عن أنس قال: خرج رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» إلى الخندق، فإذا المهاجرون و الأنصار يحفرون فى غداة باردة، و لم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النصب و الجوع.

و فى نص آخر: فلما رآهم يحملون التراب على متونهم، و ما بهم من نصب و جوع، قال:

اللهم إن العيش عيش الآخرةفاغفر للأنصار و المهاجرة فقالوا مجيبين له:

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۵۲ و ۴۵۳ و راجع كنز العمال ج ۱۰ ص ۲۹۰ و السيرة النبوية لدحلان ج ۲ ص ۳ و حدائق الأنوار ج ۲ ص ۵۸۵ و ۵۸۶ و صحيح البخارى (المغازى) باب غزوة خيبر و صحيح مسلم، الجهاد و السير- باب غزوة الأحزاب و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۴۱۰ و ۴۱۱ و ۴۱۲ و راجع: فتح البارى ج ۷ ص ۳۹۲ و عن مسلم باب غزوة الأحزاب و عن البخارى و غير ذلك.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۱۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۲۷ نحن الذين بايعوا محمداعلى الجهاد ما بقينا أبدا «۱» و بعد ما تقدم نقول:

عمل المنافقين فى الخندق:

اشارة

قالوا: و أبطأ عن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و عن المسلمين فى عملهم ذاك رجال من المنافقين، و جعلوا يورون بالضعيف من العمل.

و حسب نص آخر: تخلف طائفة من المنافقين، يعتذرون بالضعف.

و تسلل عنه «صلى اللّه عليه و آله» جماعة من المنافقين إلى أهليهم بغير علم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فأنزل اللّه تعالى فى ذلك:

.. قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِواذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ.

ثم كان الرجل من المسلمين إذا نابته نائبة لا بد منها يستأذن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فيقضى حاجته، ثم يعود، فأنزل اللّه تعالى:

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِذا كانُوا مَعَهُ عَلى أَمْرٍ جامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ ..

---

(۱) السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۸۴ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۹۵ و ۹۶ و بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۶۳ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۱۱ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۲ و السيرة النبوية لدحلان ج ۲ ص ۳ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۱۶ و ۵۱۷ و صحيح البخارى ج ۳ ص ۲۰ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۴۱۰ و ۴۱۱ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۲۴۵ و عن فتح البارى ج ۷ ص ۳۹۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۲۸

. و اللواذ: الإستتار بالشىء عند الهرب «۱».

و هناك الذين كانوا يتسللون زاعمين أن بيوتهم عورة- أى مكشوفة للغزاة، و معرّضة للإحتلال «۲»- و ليس الأمر كذلك.

و لنا مع ما تقدم وقفات، نشير إليها فيما يلى من مطالب:

۱- توزيع المهام على العاملين:

و من الواضح: أن تحديد المسؤوليات، و تقسيم المهام على العاملين من شأنه أن يرفع من درجة الإحساس بالمسؤولية، الأمر الذى يفرض على العاملين قدرا أكبر من الدقة و التحرى، الذى ينعكس على العمل إتقانا و تناسقا و جمالا.

هذا عدا عن أنه يذكى روح التنافس البنّاء و الهادف، الذى يؤدى إلى

---

(۱) راجع ما تقدم كلا أو بعضا، فى المصادر التالية: السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۲۶ و ۲۲۷ و الإكتفاء للكلاعى ج ۲ ص ۱۵۹ و ۱۶۰ و الكامل فى تاريخ ج ۲ ص ۱۷۹ و ۱۷۸ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۳۴ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۳ و ۳۱۲ و نهاية الأرب ج ۱۷ ص ۱۶۸ و عيون الأثر ج ۲ ص ۵۵ و ۵۶.

و راجع: البداية و النهاية ج ۴ ص ۹۵ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۸۳ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۱۰ و راجع ص ۱۱۲ و ۱۱۳ و السيرة النبوية لدحلان ج ۲ ص ۳ و الدر المنثور ج ۵ ص ۶۰ عن ابن إسحاق، و ابن المنذر، و البيهقى فى الدلائل و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۲۲ و ۵۲۳ و تهذيب سيرة ابن هشام ج ۳ ص ۱۸۹ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۴۰۹.

(۲) سيرة المصطفى ص ۴۹۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۲۹

نشوء نوع من الرقابة العفوية، التى تنتهى إلى الانضباط، و إلى الإسراع فى الإنجاز.

و من جهة ثانية: فإنه يقطع الطريق على أولئك الكسالى و الإتكاليين، ممن يضعف لديهم الشعور بالمسؤولية، و يريدون أن يفيدوا و يستفيدوا من جهد الآخرين، دون أن يقدموا هم أنفسهم أى جهد، أو أن يبذلوا أى عناء. و منعهم من ثم من التواكل المؤدى إلى الفشل، و إلى التضييع و البلبلة و الاختلاف.

و قد روى عن على عليه الصلاة و السلام: أنه كتب فى وصيته للإمام الحسن، صلوات اللّه و سلامه عليه: «و اجعل لكل إنسان من خدمك عملا تأخذه به، فإنه أحرى أن لا يتواكلوا فى خدمتك» «۱».

كما أن عدم تحديد المسؤوليات يؤدى إلى تخلخل فى البنية الداخلية، نتيجة للإحساس بالغبن لدى من تفرض عليه ظروف عمله أن يكون هو الذى يتحمل عبء إنجاز ما فرّط الآخرون فى إنجازه. و عسى و لعل أن يتجه الفرقاء إلى إثارة الأسئلة و الشكوك، ثم إلى التراشق بآلتهم لتبرير حالة الضعف القائمة بسبب ذلك.

و علينا بعد ذلك كله: أن نتوقع ظهور عوارض الخلل و الضعف فى أية خطة ترسم و تعتمد، و تفقد الكثير من حيويتها و فاعليتها فى مجال التطبيق و التنفيذ.

كما أن توزيع الحصص على العاملين بهذه الطريقة يضمن تحقق المساواة

---

(۱) نهج البلاغة بشرح عبده، آخر وصية الإمام الحسن رقم (۳۱) ج ۳ ص ۶۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۳۰

و العدل فى تحمل مشاق العمل، فلا يعمل هذا أكثر من ذاك. و إذا استطاع التفوق على أقرانه فى العمل، فإن ذلك يظهر للآخرين و يتجلى امتيازه على سائرهم، كما سنقرؤه بالنسبة لسلمان الفارسى، الذى ظهرت قوته فى العمل، فتنافس فيه المهاجرون و الأنصار.

أما المتواكل المتخاذل: فلا مجال للتستر عليه، إذا كان يريد أن يتوانى فى عمله و يتواكل فيه. و قد فضح القرآن الكريم المنافقين، الذين اتبعوا هذا السبيل كما تقدم.

هذا كله: بالإضافة إلى أن قسمة العمل على النحو المتقدم من شأنها أن تؤثر فى زرع روح التفاؤل بإمكانية إنجاز هذا العمل الضخم و تقلل من رهبته فى صدور العاملين، حينما تنحسر النظرة إلى ذلك العمل الهائل لتصبح فى مدى أذرع يسيرة يتعاون على إنجاز العمل فيها عشرة من المؤمنين.

۲- النبى صلى اللّه عليه و آله و الشعر:

قد تقدم: بعض ما يدل على أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» كان يتمثل ببعض الشعر، أو ينشد مع الصحابة ما ينشدون، و نزيد هنا:

قال دحلان و غيره: عن سهل بن سعد: كنا مع النبى فى الخندق ننقل التراب على أكتافنا، فقال «صلى اللّه عليه و آله»:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرةفأكرم الأنصار و المهاجرة و هو من كلام ابن رواحة، و أصله:

لا هم إن العيش عيش الآخرة.....

فنطق به النبى «صلى اللّه عليه و آله»:

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۳۱ اللهم لا عيش الخ .....

لأنه يعسر عليه النطق بالشعر، و إن كان من قول غيره «۱».

و عن أبى عثمان النهدى، أو سلمان: أنه «صلى اللّه عليه و آله» حين ضرب فى الخندق قال:

باسم الإله و به بديناو لو عبدنا غيره شقينا

يا حبذا ربا و حب دينا «۲».....

قال دحلان: «و هو من كلام بعض أصحابه يتمثل به. أو من كلامه بناء على أن الرجز ليس بشعر. أو أن الشعر شرطه أن يكون مقصودا كونه شعرا موزونا. أما إذا خرج موزونا بلا قصد، فلا يسمى شعرا» «۳».

و نقول:

إن بعض الناس حسبما تقدم، و كما هو مذكور فى كتب التفسير، فى

---

(۱) السيرة النبوية لدحلان ج ۲ ص ۳ عن البخارى و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۲ و راجع البداية و النهاية ج ۴ ص ۹۶ عن البخارى و مسلم و الحديث فى نهاية الأرب أيضا ج ۱۷ ص ۱۶۹ و صحيح البخارى ج ۳ ص ۲۰ و فيه: فاغفر للمهاجرين و الأنصار.

(۲) المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۱۱ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۱ و السيرة النبوية لدحلان ج ۲ ص ۳ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۲ و الإمتاع ج ۱ ص ۲۲۱ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۱۷ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۹۶ و ۹۷ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۴۱۴ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۸۶ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۰۴.

(۳) السيرة النبوية لدحلان ج ۲ ص ۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۳۲

تفسير قوله تعالى: وَ ما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَ ما يَنْبَغِى لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُبِينٌ «۱».

يريد أن يدّعى: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» غير قادر على التفوه بكلام موزون، أو أن الرجز ليس بشعر. أو ما إلى ذلك ..

و لكنها دعاوى ليست على درجة من القوة و الاستقامة، فإن المراد بالآية الكريمة وَ ما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَ ما يَنْبَغِى لَهُ ..: أنه «صلى اللّه عليه و آله» ليس بشاعر، بمعنى أنه ليس لديه ملكة الشعر، لا أنه يعسر عليه التكلم بشعر غيره و النطق به.

و لا حاجة بعد هذا إلى دعوى: أن الرجز ليس بشعر، كما لا حاجة إلى اشتراط القصد أو عدمه فى إيراد الشعر الموزون. فإن النظر هو إلى ملكة الشعر الذى يتضمن الانسياق وراء الأوهام و التخيلات، و المبالغات، و التصويرات غير الواقعية بالإضافة إلى الوزن و الموسيقى، وفقا لما أشار إليه تعالى بقوله: وَ الشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغاوُونَ، أَ لَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وادٍ يَهِيمُونَ، وَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ «۲»

۳- دور عضل و القارة:

و قد ذكرت رواية أبى واقد: أنه «صلى اللّه عليه و آله» قال:

اللهم العن عضلا و القارةهم كلفونى أنقل الحجارة

---

(۱) الآية ۶۹ من سورة يس.

(۲) الآيات ۲۲۴- ۲۲۶ من سورة الشعراء.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۳۳

و ليس هذا الكلام واضح المأخذ و المغزى، إلا أن تكون هاتان القبيلتان:

عضل و القارة، قد قامتا بنشاط واسع فى تحزيب الأحزاب فاق نشاط اليهود و قريش حتى صح أن ينسب «صلى اللّه عليه و آله» إلى هاتين القبيلتين حتى نقل الحجارة للخندق.

و ليس فيما بأيدينا من نصوص ما يدل على ذلك أو يشير إليه من قريب و لا من بعيد.

۴- الأمثولة المواساة:

و ما أروع هذا التنويع فى المهمات التى تصدى الرسول الأعظم «صلى اللّه عليه و آله» لها فى حفر الخندق، حيث لم يقتصر على نوع واحد من العمل فيه، بل شارك «صلى اللّه عليه و آله» كل العاملين فى أعمالهم و أذاق نفسه الشريفة مبلغ جهدهم، فصدق بذلك الخبر، و تجلت المواساة بأبهى صورها، و تجسدت الأمثولة الرائدة بأروع و أدق و أصدق معانيها.

۵- المتحذلقون الأغبياء:

و من الأمور التى تلفت النظر هنا: أن البعض يحاول أن يفرغ هذه التضحية الرائعة، و الأمثولة الفريدة للنبى الأكرم «صلى اللّه عليه و آله» من معناها و مغزاها، فيدّعى رجما بالغيب: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» كان لا يرى الشدة فى حمل الحجارة «۱»، رغم صراحة رواية أبى واقد المتقدمة: أن أبا واقد رأى النبى «صلى اللّه عليه و آله» و قد بلغ منه، و على حد تعبير نص

---

(۱) الزهد و الرقائق ص ۲۵۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۳۴

آخر: «و هو «صلى اللّه عليه و آله» يكابد معهم»

و فى نص ثالث: و ربما كان يحفر حتى يعيا، ثم يجلس حتى يستريح.

و فى نص رابع: «حتى عرق رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و عيى».

و كل ذلك قد تقدم مع مصادره.

۶- لا عيش إلا عيش الآخرة:

و لا ننسى أن نلفت نظر القارئ هنا: إلى مضمون الشعر الذى كان يترنم به العاملون فى الخندق، و ما يتضمنه من ربط لهم بالآخرة و بما يرجو المؤمنون تحقيقه من فوز و فلاح فيها.

كما أنه يحمل فى ثناياه مقارنة عفوية فيما بين الدنيا و العيش فيها، و تفضيل عيش الآخرة عليه. ثم يشاركهم النبى «صلى اللّه عليه و آله» فى ترديد هذا الشعر، فتكون مشاركة للوجدان و للإحساس، و يتعمق لدى هذا الإنسان الكادح المجاهد الشعور باللّه سبحانه، و بألطافه و مواهبه، و ما أحوجهم فى هذا الظرف العصيب بالذات إلى إحساس كهذا.

۷- الحماسة و المثابرة:

و قد كان لمشاركة النبى «صلى اللّه عليه و آله» هذه تأثير كبير فى إثارة الحماسة لدى العاملين فى حفر الخندق. و قد أذكيت هذه الحماسة أيضا معرفتهم بتحرك الأعداء باتجاه المدينة، و إحساسهم بالخطر الذى يتهددهم.

۸- الأسوة الحسنة:

لقد أجمع المؤرخون: على أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد شارك فى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۳۵

حفر الخندق.

و تتفق هذه النصوص: على أنها كانت مشاركة فعالة و حقيقية و جدية.

و ما نريد أن نلفت النظر إليه هنا هو:

ألف: إن هذه المشاركة لم تكن شكلية، و مجرد تمثيل، كما عهدناه و ألفناه من رؤساء الجمهوريات و الوزراء و كبار المسؤولين فى عصرنا الحاضر، حيث يضرب أحدهم بالمعول مثلا ضربات أمام الجماهير فى احتفال تكريمى ليظهر على شاشات التلفزيون، و على صفحات الجرائد فى استعراض إعلامى مزيف، يهدف إلى تكريس زعامته و نفوذه، و لا شىء غير ذلك، ثم يتابع رقابته على العمل و العاملين من موقع الأمر، من قصره المنيف، أو من برجه العاجى الزاهر. فجاءت مشاركة النبى الأكرم «صلى اللّه عليه و آله» فى حفر الخندق بصيغة المعاناة الحقيقية و الصادقة، التى تمثل الأسوة فى المعاناة الكادحة لا مجرد الرمز و المثال.

و لنسمع النشيد العفوى و الصادق:

لئن قعدنا و النبى يعمل لذاك منا العمل المضلل يقول البعض: «إن التاريخ لم يدون لنا غير حادثة مفردة عن شخصية كان لها سلطان روحى و زمنى أيضا على أمة من الأمم. و مع ذلك فقد عملت مثل عامل عادى، و جنبا إلى جنب مع أتباعها فى ساعة الحرج الوطنى العظيم» «۱».

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۴۷ و راجع: الإمتاع ج ۱ ص ۲۲۱ و راجع: دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۳۹۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۳۶

ب: إن مشاركته «صلى اللّه عليه و آله» فى حفر الخندق تجسد عمليا المساواة بين جميع فئات المجتمع، و تخرجها عن أن تكون مجردة شعار يراد له أن يبقى فى حدود إثارة المشاعر، فى النشاط الإعلامى الجماهيرى، دون أن يجاوز ذلك ليصبح حياة و حركة، نهجا و سلوكا.

فالمساواة فى نظر الإسلام نهج و سلوك، و خلق إسلامى و إنسانى رفيع و نبيل، تنطق من خلاله و على أساسه مثل و قيم فى جهات حياتية شتى.

و لأجل ذلك: نجد النبى «صلى اللّه عليه و آله» يشارك أصحابه فى حفر الخندق مشاركة حقيقية، فهو يتعب كما يتعبون، و يرتجز كما يرتجزون، و يجوع كما يجوعون، و يشاركهم حلو العيش و مره، و يشترك معهم فى تحمل المتاعب و مواجهة المصاعب و يكون أكثرهم عناء، و أعظمهم غناء.

ج: إن هـذه المشاركة منه «صـلى اللّه عليه و آله» لم تكن عن تواضع يريد من ورائه نيل رضاهم من خلال المواساة التى يتلمسونها فى مشاركته تلك. بل هى منطلقة بالإضافة إلى ذلك من قناعة راسـخة بالقيم و المبادئ، و بالمثل الإسلامية و الإنسانية، التى تجعل ذلك عبادة إلهية، و عبودية له سبحانه و تعالى، تلك العبادة و العبودية التى لا تستثنى و لا تجامل و لا تحابى أحدا أيا كان.

د: و مـن الواضـح: أن ارتبـاط النـبى «صـلى اللّه عليـه و آلـه» بالنـاس لـم يكـن من نـوع الروابـط الـتى تقـوم بين الزعيم و بين قاعـدته الجماهيريـة، و لا كانت هى رابطـة حاكم و رعيـة، و إنما كانت رابطـة الأبوة المسؤولـة و الواعيـة، التى يدفعها إحساسـها الأبوى لتريد الخير لمن هم تحت تكفّلها من موقع الوعى و التـدبير، لا من موقع العاطفـة الهوجاء، و لا من منطلق التفكير المصـلحى، الـذى يريد أن يستفيد من ذلك لتكريس زعامته، أو كسب امتيازات

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۳۷

سياسية، أو اجتماعية أو غيرها.

و لأجل ذلك كانت مواساته «صـلى اللّه عليه و آله» لأصـحابه فى حالات الجوع، ثم مشاركته لهم فى تلبيته لدعوة جابر لتناول الطعام؛ رغم أن جـابرا لم يجـد فى بيته إلاـ مـا يكفى بضـعة أشـخاص. و لكن الرسول الأـكرم «صـلى اللّه عليه و آله» قـد دعـا الجميع و أطعم الجميع.

منع حسان و كعب بن مالك من الشعر:

و قـال المؤرخون أيضـا: عن كعب بن مالك قال: جعلنا يوم الخنـدق نرتجز و نحفر، فعزم رسول اللّه «صـلى اللّه عليه و آله» علىّ أن لا أقول شيئا!

فقلت: هل عزم على غيرى؟!

قالوا: حسان بن ثابت.

قال: فعرفت أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» إنما نهانا لوجدنا له، و قلته على غيرنا، فما تكلمت بحرف حتى فرغنا من الخندق.

و قـال «صـلى اللّه عليه و آله» يومئـذ: لا يغضب أحـد مما قال صاحبه، لا يريـد بـذلك سوءا إلا مما قال كعب و حسان فإنهما يجـدان ذلك «۱».

و عند البيهقى: نهاهما أن يقولا شيئا يحفظان به أحدا «۲».

و كان جعيل بن سـراقة رجلا صالحا، و كان دميما قبيحا. و كان يعمل معهم فى الخنـدق، و كان «صـلى اللّه عليه و آله» قـد غير اسـمه يومئذ و سماه

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۴۷ و راجع: الإمتاع ج ۱ ص ۲۲۱ و راجع: دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۳۹۹.

(۲) دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۳۹۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۳۸

عمرا، فجعل المسلمون يرتجزون و يقولون:

سماه من بعد جعيل عمراو كان للبائس يوما ظهرا و جعل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لا يقول شيئا، بل يقفى معهم فقط، و يقول: عمرا، ظهرا «۱».

قال الحلبى: «و سياق أسد الغابة يدل على أن هذا الذى غير رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» اسمه و سماه عمرا غير الجعيل المذكور» «۲».

و نشير نحن هنا إلى ما يلى:

الكلمة المسؤولة و القرار الحاسم:

إن هـذه النصوص التى ذكرناهـا: قـد أظهرت أن النبى «صـلى اللّه عليه و آله» قـد اتخـذ قرارا حاسـما يمنع حسان بن ثابت و كعب بن مالـك من إنشـاد أو قـول شـىء حين حفر الخنـدق، و الـذى يظهر لنـا من ثنايـا الكلمـات هو: أن حسانـا و كعب بن مالـك لم يلـتزما بالضوابط الأخلاقية و الإسلامية فيما قالاه و أنشداه، بل هما قد تجاوزا الحد، و أغضبا الآخرين، و يشير إلى ذلك:

---

(۱) راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۱۶ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۴۷ و ۴۴۸ متنا و هامشا، و راجع: دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۴۰۹ و ۴۱۰ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۲۷ و ۲۲۸ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۳۴ و ۲۳۵ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۹۵ و السـيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۸۳ و بهجـة المحافل ج ۱ ص ۲۶۴ و السـيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۱ و ۳۱۲ و الإمتاع ص ۲۲۲ و أسد الغابة ج ۱ ص ۲۹۰ و قال: أخرجه أبو موسى و الإصابة ج ۱ ص ۲۴۰.

(۲) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۵۱۲ و راجع: أسد الغابة ج ۱ ص ۲۹۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۳۹

۱- أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد اختص هذين الرجلين بالمنع، و لم يعزم على أحد غيرهما.

۲- كما أن قوله «صـلى اللّه عليه و آله» يومئـذ: لا يغضب أحد مما قال صاحبه لا يريد بذلك سوءا الخ .. صـريح فى أنه قد قيل ثمة ما يوجب الغضب، حتى احتاج الرسول الأكرم «صلى اللّه عليه و آله» للتدخل لتلطيف الأجواء، و سل الخيمة

۳- و لعل قصـة جعيل بن سـراقة هى أحد الشواهد على هذا التعدى على الآخرين، حيث كان من الطبيعى أن ينزعج هذا الرجل، الذى وصف بالقبح و الدمامة من ارتجازهم الشعر فى حقه، و يعد ذلك نوعا من العبث و الاستهانة به، و الاحتقار له.

و من هنا: فإننا نشك كثيرا فى قولهم: إن النبى «صلى اللّه عليه و آله» جعل يقفى معهم، و يقول: عمرا، ظهرا ..

مع أننا نلاحظ على النص المـذكور: أنه قد ألمح إلى أن سـكوت النبى «صـلى اللّه عليه و آله» عن إنشادهم الشـعر فى حق جعيل كان ملفتا للنظر، حيث يقول النص: «فجعل رسول اللّه لا يقول شيئا، بل يقفى معهم فقط».

و بعد ما تقدم نقول: إننا نلمح فى النصوص المتقدمة محاولة للتحريف و التصـرف فى النص بهدف التعتيم على حقيقة ما جرى؛ حيث حاول أن يصوّر لنا: أن منع حسان و كعب من قول شىء إنما كان لأجل قدرتهما على قول الشعر، و قلته على غيرهم.

مع أن القضـية: ما كانت تتطلب الكثير من قول الشـعر آنئذ، بل يكفى البيت أو البيتان ليرددهما الآخرون مدة طويلة، وفقا لما حفظه لنا التاريخ فى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۴۰

هذه المناسبة، بالإضافة إلى أن الكثيرين كانوا يجيدون الشعر مثل كعب و حسان.

و لم يكن ثمـة داع لتحاسـد القوم فى أمر كهـذا فى مناسـبة كهـذه، و لا كان اللازم هو أن يحسـدوا حسانا و كعب بن مالك فى سائر المناسبات، و يمنعهما النبى «صلى اللّه عليه و آله» من هجاء المشركين، و من نظم الشعر فى كثير من المناسبات الأخرى.

و لم نجد فى ما بين أيدينا من نصوص تاريخية أن حدث ما يشـبه هذه القضـية فى أى مناسـبات أخرى، لا مع النبى «صـلى اللّه عليه و آله» و لا مع غيره.

و ذلك يجعلنا نطمئن إلى حدوث تجاوز منهما للحد أوجب أن يقف النبى الأكرم «صـلى اللّه عليه و آله» منهما هذا الموقف الحازم و الحاسم.

فليتأمل فى تاريخ حياة هذين الرجلين، فقد يجد المتتبع فيها الكثير مما لا يحسن و لا يجمل، و قد تقدم فى أواخر الحديث عن غزوة بنى النضير شيء غريب صدر من حسان، و ربما تأتى الإشارة لأشياء أخرى صدرت منه و من غيره. و اللّه هو المسدد و الهادى.

زيد بن ثابت:

«كان زيد بن ثابت ممن ينقل التراب، فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى حقه: أما إنه نعم الغلام، و غلبته عينه، فنام فى الخندق.

فأخذ عمارة بن حزم سلاحه، و هو نائم.

فلما قام فزع على سلاحه، فقال له «صلى اللّه عليه و آله»: يا بار، [يا أبا رقاد] قد نمت حتى ذهب سلاحك؟

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۴۱

ثم قال: من له علم بسلاح هذا الغلام؟!

فقال عمارة: أنا يا رسول اللّه، هو عندى.

فقال: ردّه عليه و نهى أن يروع المسلم و يؤخذ متاعه لاعبا» «۱».

و كان المسلمون قد انكشفوا يريدون يطيفون بالخندق و يحرسونه، و تركوا زيدا نائما و لا يشعرون به.

و نقول:

لا ندرى مدى صحة ما ينسب إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله»: أنه قاله فى حق زيد بن ثابت، دون سائر من كانوا ينقلون التراب من شباب و غيرهم، من دون مبرر ظاهر، أو سبب معقول، أو فعل متميز من زيد على من سواه، يستدعى أن يخلع عليه النبى الأوسمة، و يخصه بالتقاريض و المدائح.

غير أننا نعلم: أن زيدا كان ممن تهتم السلطة بأمره، و تعمل على رفعة شأنه، و تخصيصه بكل غال و نفيس ما وجدت إلى ذلك سبيلا، لأنه كان من أعوانها بل من أركانها كما أشرنا إليه فى فصل تعليم زيد اللغة العبرانية، فلا نعيد.

سلمان منا أهل البيت:

و يقولون: إن المسلمين جعلوا إذا رأوا فى الرجل فتورا ضحكوا منه.

و تنافس الناس يومئذ فى سلمان الفارسى و كان قويا عارفا بحفر الخنادق، فقال المهاجرون: سلمان منا ..

و قالت الأنصار: هو منا و نحن أحق به.

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۱۳ و الإمتاع ج ۱ ص ۲۲۲ و الإصابة ترجمة زيد بن ثابت و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۴۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۴۲

فبلغ رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قولهم، فقال: «سلمان رجل منا أهل البيت» «۱».

«و لقد كان يومئذ يعمل عمل عشرة رجال، حتى عانه (أى أصابه بالعين) يومئذ قيس بن أبى صعصعة فلبط به (أى صرع و سقط إلى الأرض) فسألوا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فقال: مروه فليتوضأ له، و ليغتسل به، و يكفأ الإناء خلفه ففعل، فكأنما حل من عقال» «۲».

و حسب نص آخر أوضح و أصرح: «روى أنه كان يعمل فى الخندق عمل الرجلين.

و فى روايـة: كـان يحفر كـل يوم خمسـة أذرع من الخنـدق، و عمقها أيضا خمسـة أذرع، فعانه قيس بن صعصـعة، فصـرع و تعطل من العمل، فأخبر بذلك رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فأمر أن يتوضأ قيس لسلمان، و يجمع

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۱ ص ۴۴۶ و راجع: الكامل فى التاريـخ ج ۲ ص ۱۷۹ و تاريـخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۳۵ و شرح بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۶۳ و سـيرة المصطفى ص ۴۹۵ عن الطبرى و تاريـخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۲ السـيرة النبويـة لدحلان ج ۲ ص ۳ و الإمتاع ج ۱ ص ۲۲۱ و سـبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۱۵ و البدايـة و النهايـة ج ۴ ص ۹۹ و مجمع البيـان ج ۲ ص ۴۲۷ و ج ۸ ص ۳۴۱ و البحار ج ۲۰ ص ۱۸۹ و ۱۹۸ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۴۰۰ و ۴۱۸ و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۵۹۸ و وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۰۵ و راجع ص ۱۲۰۷ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۹۲.

(۲) المغازى للواقدى ج ۱ ص ۴۴۷ و الإمتاع ج ۱ ص ۲۲۱ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۱۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۴۳

وضوءه فى ظرف، و يغتسل سلمان بتلك الغسالة و يكفأ الإناء خلف ظهره، ففعل، فنشط فى الحال كما ينشط البعير من العقال» «۱».

و قصـة التنافس فى سـلمان و قول النبى «صـلى اللّه عليه و آله»: «سـلمان منا أهل البيت» مـذكورة فى العديد من المصادر، فلتراجع فى مظانها «۲».

و نص آخر يقول: إنه حين حفر الخنـدق كـان المسـلمون ينشـدون سوى سـلمان، فرأى النبى «صـلى اللّه عليه و آله» ذلك، فـدعا اللّه تعالى: أن يطلق لسان سلمان، و لو ببيتين من الشعر، فأنشد سلمان ثلاثة أبيات هى:

ما لى لسان فأقول شعراأسأل ربى قوة و نصرا

على عدوى و عدو الطهرامحمد المختار حاز الفخرا

حتى أنال فى الجنان قصرامع كل حوراء تحاكى البدرا فضج المسلمون، و جعلت كل قبيلة، تقول: «سلمان منا».

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۲ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۳ و ۳۱۴ و راجع:

الإمتاع ج ۱ ص ۲۲۱ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۴۷.

(۲) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۴ قسم ۱ ص ۵۹ و البدايـة و النهايـة ج ۴ ص ۹۹ و السـيرة النبويـة لابن كثير ج ۳ ص ۱۹۲ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۳۵ و راجع: الكامل فى التاريـخ ج ۲ ص ۱۷۹ و البحـار ج ۲ ص ۱۸۹ عن مجمع البيـان ج ۲ ص ۴۲۷ و السيرة النبوية لدحلان ج ۲ ص ۳ و أسد الغابة ج ۲ ص ۳۳۱ و ذكر أخبار إصبهان ج ۱ ص ۵۴ و تهذيب تاريخ دمشق ج ۶ ص ۲۰۰ و نفس الرحمن ص ۳۴ و ۳۵ و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۵۹۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۴۴

فقال النبى «صلى اللّه عليه و آله»: «سلمان منا أهل البيت» «۱».

و نقول:

إننا نشك فى صحة ذلك كله، و ذلك للأمور التالية:

أولا: إنه عدا عما فى هذه الأبيات الأخيرة من الهنات، لا نجد المبرر المذكور لدعاء النبى «صلى اللّه عليه و آله» لسلمان كافيا فى تبرير ذلـك، لأـن الـذين كـانوا ينشـدون الشـعر، مـا كانوا ينشـدون من نظمهم، بل كان الناظم واحـدا من الناس، و الباقون يرددون المنظوم بطريقـة معينة و وقع خاص يتناسب مع الحالة التى يعيشونها، و قد كان باسـتطاعة سـلمان أن يردد ذلك النشـيد مع المرددين، من دون حاجة إلى أن ينظم شعرا، كما صورته لنا الرواية.

و ثانيا: إن ما ذكروه فى سبب إطلاق هذه الكلمة النبوية الخالدة فى حق سلمان: «سلمان منا أهل البيت» لا يعدو أن يكون أمرا عاديا بل و تافها.

لأن معناه: أن تكون قضية الاستفادة من قوة سلمان البدنية موضع تنافس الفرقاء، و قد حسم النبى «صلى اللّه عليه و آله» نزاعهم، بتحويل سلمان إلى القسم الذى كان يعمل هو «صلى اللّه عليه و آله» و أهل بيته فيه فكانت تلك الكلمة إيذانا بذلك.

و هذا معناه: أن تفقد هذه الكلمة قيمتها و أهميتها. و هكذا الحال بالنسبة لحكاية إطلاق لسان سلمان بالشعر، ثم تنافس الفرقاء فيه فجعله

---

(۱) راجع: المناقب لابن شهر آشوب ج ۱ ص ۸۵ و قاموس الرجال ج ۴ ص ۴۲۴ و الدرجات الرفيعة ص ۲۱۸ و نفس الرحمن ص ۴۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۴۵

«صلى اللّه عليه و آله» جزءا من فئة تحسن التكلم بالعربية، و تحب أن تكرمه و تشجعه، لأنه نطق بلغتها.

إذن .. فلم يكن هذا الوسام لسلمان قد استحقه لعلمه، أو لدينه أو لمواقفه، أو لغير ذلك من أمور تدخل فى نطاق صفات و أعمال الخير و الصلاح فيه.

و بعد هذا: فلا يبقى مبرر لما نلاحظه فى كلمات الأئمة «عليهم السلام» من تركيز على هذا الوسام، و تأكيد لواقعيته و مصداقيته فيه رضوان اللّه تعالى عليه.

كما لا معنى لاستدلال ابن عربى على عصمة سلمان بهذه الكلمة المأثورة عن النبى «صلى اللّه عليه و آله» فى حقه، باعتبار أن أهل البيت معصومون مطهرون، بنص آية التطهير «۱».

الصحيح فى القضية:

و لعل الصحيح فى القضية، الذى ينسجم مع وقائع التاريخ و مع ما عهدناه من سياسات انتهجها الحكام طيلة عشرات السنين هو النص التالى:

«إن سلمان الفارسى رضى اللّه عنه دخل مجلس رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ذات يوم، فعظموه، و قدموه، و صدروه، إجلالا لحقه، و إعظاما لشيبته، و اختصاصه بالمصطفى و آله.

فدخل عمر، فنظر إليه فقال: من هذا العجمى المتصدر فيما بين العرب؟!

---

(۱) راجع: سلمان الفارسى، للعلامة السبيتى ص ۴۰ و نفس الرحمن ص ۳۲ كلاهما عن الفتوحات المكية

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۴۶

فصعد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» المنبر، فخطب، فقال: إن الناس من عهد آدم إلى يومنا هذا مثل أسنان المشط لا فضل للعربى على العجمى، و لا للأحمر على الأسود إلا بالتقوى. سلمان بحر لا ينزف، و كنز لا ينفد، سلمان منا أهل البيت» «۱».

و هكذا يتضح: أن سلمان المحمدى قد تعرض لمحاولة تحقير و امتهان، من قبل رائد «التمييز العنصرى» بعد وفاة النبى «صلى اللّه عليه و آله» الذى شاع و ذاع عنه أنه لم يحب تزويج سلمان. و كان يكره الفرس و يمقتهم و قد حرمهم من أبسط الحقوق «۲» فانتصر النبى «صلى اللّه عليه و آله» لسلمان، و أدان المنطق الجاهلى، و التمييز العرقى و العنصرى، بصورة صريحة، و قوية و قاطعة.

تقتلك الفئة الباغية:

روى فى صحيح مسلم، عن أبى قتادة: «أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قال لعمار حين جعل يحفر الخندق، فجعل يمسح رأسه و يقول:

بؤس ابن سمية، تقتلك الفئة الباغية» «۳».

---

(۱) الإختصاص ص ۳۴۱ و نفس الرحمن فى فضائل سلمان ص ۲۹ و البحار ج ۲۲ ص ۳۴۸.

(۲) قد تكلمنا حول سياسات عمر تجاه غير العرب و مع سلمان فى كتابنا: سلمان الفارسى فى مواجهة التحدى فراجع.

(۳) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۱ عن صحيح مسلم و راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۴۷

لكن القمى قد فصل ذلك حيث قال: «قوله: يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا .. «۱»، نزلت فى عثكن (عثمان) يوم الخندق. و ذلك أنه مر بعمار بن ياسر، و هو يحفر الخندق، و قد ارتفع الغبار من الحفر، فوضع كمه على أنفه و مر، فقال عمار:

لا يستوى من يبتنى المساجدايظل (فيصلى) فيها راكعا و ساجدا

كمن يمر بالغبار حائدايعرض عنه جاحدا معاندا فالتفت إليه عثكن، فقال: يا ابن السوداء إياى تعنى؟

ثم أتى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فقال له (أى عثمان): لم ندخل معك لتسبّ أعراضنا.

فقال له رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: قد أقلتك إسلامك فاذهب.

فأنزل اللّه: يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا .. الخ ..» «۲».

و قد تقدم فى جزء سابق حين الحديث عن بناء مسجد المدينة: أن ذلك قد حصل فى تلك المناسبة فى قضية حصلت بين عمار و عثمان.

و نقول:

إننا لا نريد أن ندخل فى موضوع تحقيق الحق فى كون ذلك قد حصل فى البناء الأول للمسجد أو الثانى، أو فى حفر الخندق، فإن تحقيق ذلك ليس له كبير أهمية ما دام أن أصل القصة، و كلمة الرسول الأكرم «صلى اللّه عليه و آله» مما لا شك فيه، و لا شبهة تعتريه، و قد أجمع عليه المحدثون

---

(۱) الآية ۱۷ من سورة الحجرات.

(۲) تفسير القمى ج ۲ ص ۳۲۲ و البحار ج ۲۰ ص ۲۴۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۴۸

و المؤرخون، بل و المسلمون قاطبة و أصبح من المسلمات. غير أننا نذكّر القارئ هنا بأمر هام، و هو:

أن طريقة النبى «صلى اللّه عليه و آله» و الأئمة الأطهار «عليهم السلام» فى التربية و التعليم لها مرتكز أساس، و هو الإعتماد على بلورة المعايير و المنطلقات الأساسية فى النهج الفكرى و العقيدى للناس بصورة عامة، ثم تفويض أمر اختيار ما يتناسب مع تلك المعايير، و يتطابق مع هاتيك الضوابط إلى الناس أنفسهم، فنجد الناس مثلا هم الذين يقومون بعملية التعرف على الإمام، بما لديهم من ضوابط و معايير يمارسون تطبيقها بأنفسهم، و توصلهم إلى الإمام الحق، بصورة قويمة و سليمة، من دون حاجة إلى التنصيص عليه بالاسم، كما كان الحال حينما أوصى الإمام الصادق «عليه السلام» إلى خمسة أحدهم الإمام الكاظم «عليه السلام»، حيث عرف الشيعة أن الإمام لا

يمكن أن يكون ذلك الحاكم الظالم، كما لا يمكن أن يكون هو زوجة الإمام، ثم لا يمكن أن يكون هو الولد الأكبر مع إشراك الأصغر فى الوصية «۱».

و الأمر فى قصة عمار أيضا من هذا القبيل، حيث قدم النبى الأكرم «صلى اللّه عليه و آله» للناس آنئذ ضابطة يعرفون بها فريق البغاة، و يميزونه عن غيره، دون أن يصرح «صلى اللّه عليه و آله» بالاسم أو بالأسماء، الأمر الذى قد يحمل معه سلبيات كثيرة و متنوعة بشكل أو بآخر ..

و من الواضح: أن لهذه التربية الفكرية و لصياغة الشخصية الإسلامية

---

(۱) راجع: البحار ج ۴۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۴۹

بهذه الطريقة آثارا إيجابية كبيرة و هامة جدا. و ذلك لما ينتج عنها من حصانة و مناعة لدى الإنسان المسلم فى مقابل محاولات الخداع و التضليل التى ربما يتعرض لها من قبل أهل الدعوات الفاسدة و المشبوهة، و يصبح فى مأمن من الوقوع فى شراكهم التى ينصبونها له و لأمثاله ..

كما إنها تجعله قادرا على نقل المفاهيم التى يؤمن بها إلى الآخرين بالطريقة المنطقية و المقبولة و المعقولة.

ثم هى تمكنه من أن ينأى بنفسه عن أن يكون من الهمج الرعاع الذين ينعقون مع كل ناعق، و يسيرون فى ركاب كل قبيل، دون وعى أو تأمل فى الأمور و فى عواقبها ..

أضف إلى ذلك: أنها تخرج الإنسان المسلم عن دائرة التلقين الأعمى، ليصبح قادرا على التفاعل مع الفكرة، أو مع أية قضية تعرض عليه، و لكن لا من موقع التأثر و الانفعال العاطفى أو اللاشعورى، بل من موقع التأمل و التروى و الوعى و الضبط و الانضباط بكل ما لهذه الكلمات من معنى دقيق، و عميق.

و هذا بحث هام و متشعب، يحتاج إلى توفر تام، من أجل حشد الشواهد و الدلائل الكثيرة و المتنوعة للاستفادة منها كطريقة عمل و منهج حياة، و سبيل صلاح و إصلاح، إن شاء اللّه تعالى ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۵۱

الفصل الرابع: كرامات فى نطاق السياسة الإلهية

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۵۳

مما سبق:

قد تحدثنا فى الجزء السابق، فى غزوة ذات الرقاع: عن معرفة الأنبياء و الأوصياء بلغات البشر، بل منطق الطير و سائر الحيوانات.

و تحدثنا أيضا هناك: عن الكرامات التى نقلت عن نبينا الأكرم «صلى اللّه عليه و آله» و عن الأئمة الأطهار و عن الأنبياء «عليهم السلام» السابقين و غيرهم، مما أشار القرآن إلى بعض منه أيضا.

و قد ذكرنا ثمة توضيحا لا غنى عن المراجعة إليه، من أجل جعل الأمور فى نصابها فى نطاق فهم هذه الكرامات و المعجزات التى سجل لنا القرآن و التاريخ و الحديث منها العشرات و المئات فى مختلف الشؤون و المجالات.

فنرجو من القارئ الكريم: أن لا ينسى مراجعة ما كتبناه هناك، و بدون ذلك، فإن فهم هذه القضايا ليس فقط سوف يكون ناقصا، و إنما قد يكون غير واقعى و لا دقيق.

الكرامات و المعجزات فى الخندق:

لقد كان المسلمون يواجهون يوم الخندق أعظم تحد واجهوه سواء من حيث العدد، أو من حيث العدة، بالإضافة إلى حالة الحصار التى يعانون منها.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۵۴

ثم يتعاظم إحساسهم بالخطر الذى يتهددهم: و هم يجدون أمارات الغدر و الخيانة قد ظهرت، لدى أولئك الذين كان لهم معهم عهود و مواثيق، فلم تعد العهود قادرة على إعطاء أدنى شعور بالأمن و السكون إليها. كما أن كل ما عمله النبى و المسلمون من إحسان، و ما اتخذوه من مواقف إنسانية قد اتضح أنه لم يمنع من تلقوا ذلك الإحسان من أن يحالفوا العدو، و ينقلبوا على ما أحسن إليهم ليقابلوه بالإساءة، فيكتشف المسلمون أنهم مجموعة من الذئاب، و السباع الشرسة، التى تفقد كل المعانى الإنسانية، و كل الشيم التى يعتز بها الإنسان العربى، و يفتخر بها.

ثم هناك وجود المنافقين فيما بين المسلمين، الذين كانوا ينخرون فى جسم الأمة، و يعملون على تمزيقها، و زرع الشكوك القاتلة، و إيجاد الريب المهلك فيها.

فتأتى هذه الكرامات: لتكون صمام الأمان لهذه القلوب الخائفة، و المفجوعة، و ليربط اللّه بها على قلوبهم، و لتزيد فى يقينهم و بصيرتهم، و تشد من عزيمتهم.

قال الشيخ محمد أبى زهرة: «إن الآيات المادية قد تؤثر فى أولئك الماديين الحسيين، و خصوصا إذا كانت فى موطن الفزع، فإنها إذا جاءت من غير سبب يألفونه و يعرفونه، فإنها قد تأخذ عقولهم إلى التفكير السليم، و تخلعها من الوثنية، إذ يدخل إليها نور الحق شيئا فشيئا، و النور كلما دخل أشرق، و إذا أشرق اتجهوا إلى الحق و طلبوه» «۱».

---

(۱) خاتم النبيين ج ۲ ص ۹۴۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۵۵

و يلاحظ هنا: أن بعض هذه الكرامات قد اقترن بإخبار النبى «صلى اللّه عليه و آله» للمسلمين بأن البلاد سوف تفتح عليهم حتى الإمبراطوريات العظمى التى كانت تحكم العالم آنئذ، و هما إمبرطوريتا الروم و فارس.

و إذا جاء الخبر من الصادق المصدق، الذى يعتقد المسلمون أنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى، فى حالة مواجهة الأخطار الكبرى و المصيرية، فإنه يكون أكثر رسوخا فى النفس، و أعظم أثرا فى إثارة الهمم و شحذ العزائم.

و نحن نشير هنا: إلى طائفة من هذه الكرامات، بقدر ما يفسح لنا به المجال، فنقول:

نبوءة صادقة للنبى صلى اللّه عليه و آله:

يقول المقريزى و غيره: «و ضرب بالكرزن، فصادفت حجرا، فصل الحجر (أى ترددت صوته فى صليل الفأس)، فضحك رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

فقيل: مم تضحك يا رسول اللّه؟!

قال: أضحك من قوم يؤتى بهم من المشرق فى الكبول (الكبل القيد العظيم)، يساقون إلى الجنة و هم كارهون» «۱».

و الظاهر: أن هذا إشارة لأهل فارس.

و من الواضح: أن هذه البشارة منه «صلى اللّه عليه و آله» للمسلمين إنما

---

(۱) إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۲۲۳ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۴۹ و كنز العمال ج ۱۰ ص ۲۸۵ عن ابن النجار.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۵۶

يراد منها أن تعطيهم انطباعا بصورة عفوية و تلقائية بأن هذه الدعوة مستمرة و باقية، فلا يهولنهم جمع قريش و الأحزاب لهم: فما ذلك إلا: «سحابة صيف عن قليل تقشع».

كرامة أخرى لرسول اللّه صلى اللّه عليه و آله:

عن جابر بن عبد اللّه قال: أصبح الناس كدية يوم الخندق، فضربوا فيها بمعاولهم حتى انكسرت، فدعوا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فدعا بماء فصبه عليها، فعادت كثيبا أهيل.

و فى نص آخر- ذكره البخارى و غيره-: أنه «صلى اللّه عليه و آله» قام و بطنه معصوبة بحجر و لبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا الخ .. «۱».

و يبدو أن هذه قضية أخرى غير قضية سلمان الآتية التى أخبر «صلى

---

(۱) راجع المصادر التالية: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۵۲ و صحيح البخارى ج ۳ ص ۲۱ و تاريخ ابن الوردى ج ۱ ص ۱۶۰ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۲۸ و الإكتفاء للكلاعى ج ۲ ص ۱۶۰ و إعلام الورى ص ۹۰ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۲۳۴ و ۲۴۶ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۸۶ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۹۷ و ۹۸ عن ابن إسحاق، و أحمد، و البخارى و البيهقى، و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۲۲۴ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۱۹ و حدائق الأنوار ج ۲ ص ۵۹۱ و مجمع البيان ج ۸ ص ۳۴۱ و البحار ج ۲۰ ص ۱۹۸، و نهاية الأرب ج ۱۷ ص ۱۷۰ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۴۱۵ و ۴۱۶ و ۴۲۳ و دلائل النبوة لأبى نعيم ص ۳۵۸ و المختصر فى أخبار البشر ج ۱ ص ۱۳۴ و عيون الأثر ج ۲ ص ۵۷ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۱۱ و جوامع السيرة النبوية ص ۱۴۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۵۷

اللّه عليه و آله» المسلمين فيها عن الفتوح التى يفتحها اللّه عليهم.

قصور الروم و فارس:

و من الأمور التى يذكرها المؤرخون هنا: قضية الصخرة التى واجهت المسلمين و هم يحفرون الخندق و كانت سببا فى أن يخبر النبى المسلمين بأخبار غيبية تحققت فيما بعد.

و نحن نذكر النص التاريخى للرواية أولا، ثم نشير إلى بعض ما يرتبط به، فنقول:

كان سلمان، و حذيفة و النعمان بن قرن، و عمرو بن عوف، و ستة من الأنصار يعملون فى أربعين ذراعا فخرجت عليهم صخرة كسرت المعول، فأعلموا النبى «صلى اللّه عليه و آله» بالأمر.

و فى نص آخر يقول فيه عمرو بن عوف: فحفرنا حتى إذا كنا بجب ذى باب [و الظاهر: أن الصحيح: تحت ذباب] «۱» أخرج اللّه من باطن الخندق صخرة مروة كسرت حديدنا، و شقت علينا.

فطلبوا من سلمان أن يخبر النبى «صلى اللّه عليه و آله» بأمرها؛ فإما أن نعدل عنها، فإن المعدل قريب، و إما أن يأمرنا فيها بأمره، فإنا لا نحب أن نتجاوز خطه.

فرقى سلمان إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و هو ضارب عليه قبة

---

(۱) ذباب: جبل بجبانة المدينة. و هو الجبل الذى عليه مسجد الراية. واسمه ذوناب أيضا.

راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۵۸

تركية فأخبره فهبط مع سلمان و بطنه معصوب بحجر، و لبثوا ثلاثة أيام لا يذوقون ذواقا، و التسعة على شفير الخندق.

و فى نص آخر عن سلمان، قال: ضربت فى ناحية من الخندق، فغلظت علىّ و رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قريب منى، فلما رآنى أضرب، و رأى شدة المكان علىّ أخذ المعول، و ضربها به ضربة فصدعها، و برق منها برق أضاء منها بين لابتى المدينة، فكبر «صلى اللّه عليه و آله» تكبيرة، و كبر المسلمون.

ثم ضربها ثانية فكذلك، ثم الثالثة فكذلك أيضا، فصدعها.

فأخذ بيد سلمان ورقى، فسأله سلمان عن الأمر الذى رآه ورآه المسلمون، و عن تكبير النبى «صلى اللّه عليه و آله»، فأخبرهم «صلى اللّه عليه و آله»: أنه بالبرقة الأولى أضاءت له قصور الحيرة و مدائن كسرى، و أخبره جبرئيل بأن أمته ظاهرة عليها.

و فى الثانية أضاءت له القصور الحمر من أرض الروم، و أخبره جبرئيل بأن أمته ظاهرة عليها.

و فى الثالثة أضاءت له قصور صنعاء، و أخبره جبرئيل: بأن أمته ظاهرة عليها فابشروا، فاستبشر المسلمون و قالوا:

الحمد للّه موعد صدق، وعدنا النصر بعد الحصر.

فقال المنافقون، و منهم معتب بن قشير: ألا تعجبون من محمد؟! يمنيكم و يعدكم الباطل، و يخبركم بأنه يبصر من يثرب قصور الحيرة، و مدائن كسرى، و أنها تفتح لكم، و أنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا، فنزل القرآن: وَ إِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۵۹

مَرَضٌ ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً «۱» الخ .. «۲».

---

(۱) الآية ۱۲ من سورة الأحزاب.

(۲) للرواية نصوص مختلفة. فراجعها على اختلافها فى المصادر التالية: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۲ و ۴۸۳ و راجع ص ۴۸۴ و عيون الأثر ج ۲ ص ۵۸ و وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۰۷ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۵۰ و السيرة النبوية لدحلان ج ۲ ص ۳ و ۴ و ۵ و الأمالى للشيخ الصدوق ص ۲۵۸ و حبيب السير ج ۱ ص ۳۶۰ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۳ و ۳۱۴ و ۳۱۸ و بحار الأنوار ج ۲۰ ص ۲۵۳ و ۲۱۹ ص ۱۸۹ و ۱۹۰ و ج ۱۸ ص ۳۲ و مجمع البيان ج ۲ ص ۴۲۷ و ۳۲۸ و ج ۸ ص ۳۴۱ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۳۹۹ و ۴۰۰ و راجع ص ۴۱۷ و ۴۱۹- ۴۲۱ و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۷۹ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۳۵ و ۲۳۶ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۱۹ و ۵۲۰، عن أحمد، و الشيخين، و ابن سعد و ابن جرير، و ابن أبى حاتم، و أبى نعيم، و الطبرانى و البيهقى، و تاريخ ابن الوردى ج ۱ ص ۱۶۱ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۳۰ و ۲۲۸ و حدائق الأنوار ج ۱ ص ۵۳ و الخصال ج ۱ ص

۱۶۲ و الإكتفاء للكلاعى ج ۲ ص ۱۶۲ و ۱۶۰ و إعلام الورى ص ۹۰ و كنز العمال ج ۱۰ ص ۲۸۱ و الروض الأنف ج ۳ ص ۲۷۷ و صحيح البخارى ج ۳ ص ۲۱ و الخصائص الكبرى للسيوطى (ط الهند) ج ۱ ص ۲۲۸ و الوفاء ص ۶۹۳ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۲۴۶ و ۲۳۴ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۹۹ و ۹۷ و ۹۸ و ۱۰۰ و ۱۰۱ و ۱۰۲ و المختصر فى أخبار البشر ج ۱ ص ۱۳۵ و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۵۹۸ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۹۱- ۱۹۵ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۵۲ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۱۱- ۱۱۲ و دلائل النبوة لأبى نعيم ص ۴۳۲ و عن سنن النسائى ج ۲ ص ۶۵ و عن ابن إسحاق و راجع: تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۵۱ و شرح بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۶۵ و تفسير القمى ج ۲ ص ۱۷۸ و الخرايج و الجرايح ج ۱ ص ۱۵۲ و فيه أن المسلمين هم الذين رأوا تلك البلاد.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۶۰

و قيل: إن قائل ذلك هو عبد اللّه بن أبى بن سلول «۱».

و فى نص آخر: أن المنافقين قد قالوا ذلك عند مجيء الأحزاب «۲».

و هذا هو ما نرجحه، لأن سياق الآيات إنما يناسب حالة الشدة التى عانى منها المسلمون بعد مجيء الأحزاب، و حدوث الحصار كما سنوضحه إن شاء اللّه تعالى.

و يظهر من نص للطبرانى: أن هذه القضية قد حدثت بعد قصة دعوة جابر للنبى «صلى اللّه عليه و آله» و أهل الخندق للطعام «۳» كما سيأتى.

و صرح القمى: بأن هذه القضية قد كانت فى اليوم الثانى من بدء حفر الخندق «۴».

و ذكر نص آخر: أنه «صلى اللّه عليه و آله» «جعل يصف لسلمان أماكن فارس، و يقول سلمان: صدقت يا رسول اللّه، هذه صفتها، أشهد أنك رسول اللّه.

ثم قال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: هذه فتوح يفتحها اللّه بعدى يا سلمان» «۵».

و عن أبى عبد اللّه جعفر بن محمد الصادق «عليه السلام»: لما حفر

---

(۱) السيرة النبوية لدحلان ج ۲ ص ۵.

(۲) السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۹۲.

(۳) راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۹۴ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۰۱.

(۴) تفسير القمى ج ۲ ص ۱۷۸ و بحار الأنوار ج ۲۰ ص ۲۱۹ عنه.

(۵) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۴ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۵۰ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۲۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۶۱

رسول اللّه الخندق مروا بكدية، فتناول رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» المعول من يد أمير المؤمنين «عليه السلام»، أو من يد سلمان، فضرب بها ضربة، فتفرق بثلاث فرق.

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: لقد فتح اللّه علىّ فى ضربتى هذه كنوز كسرى و قيصر.

فقال أحدهما لصاحبه: يعدنا كنوز كسرى و قيصر، و ما يقدر أحدنا يخرج يتخلى «۱».

و المراد بأحدهما و صاحبه: هو أبو بكر و عمر، و لم يذكر اسميهما صراحة تقية.

و نقول:

لكن هذه الرواية: تخالف ما تقدم عن ابن الوردى و زينى و دحلان، من أن الذى قال ذلك: هو معتب بن قشير، أو عبد اللّه بن أبى.

نص آخر يخالف ما سبق:

و يقولون أيضا: كان عمر بن الخطاب يضرب يومئذ بالمعول فصادف حجرا صلدا، فأخذ «صلى اللّه عليه و آله» منه المعول، و هو عند جبل بنى عبيد فضربه، فذهبت أولها برقة إلى اليمن، ثم ضرب أخرى فذهبت برقة إلى الشام، ثم ضرب ثالثة فذهبت برقة نحو المشرق، و كسر الحجر عند الثالثة.

---

(۱) بحار الأنوار ج ۲۰ ص ۲۷۰ و ۲۷۱ عن الكافى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۶۲

فكان عمر بن الخطاب يقول: و الذى بعثه بالحق، لصار كأنه سهلة (رمل ليس بالدقاق).

و كان كلما ضرب ضربة يتبعه سلمان ببصره، فيبصر عند كل ضربة برقة، فسأله عن ذلك، فأخبره «صلى اللّه عليه و آله»: أنه رأى فى الأولى قصور الشام، و فى الثانية قصور اليمن، و فى الثالثة قصر كسرى الأبيض بالمدائن. و جعل يصفه لسلمان؛ فصدقه سلمان، و شهد له بالرسالة.

فقال «صلى اللّه عليه و آله»: هذه فتوح يفتحها اللّه عليكم بعدى يا سلمان لتفتحن الشام، و يهرب هرقل إلى أقصى مملكته، و تظهرون على الشام فلا ينازعكم أحد و لتفتحن اليمن، و ليفتحن هذا المشرق، و يقتل كسرى بعده.

قال سلمان: فكل هذا قد رأيت «۱».

و نقول:

إن هذا النص- كما ترى- يخالف جميع النصوص الأخرى الواردة فى كتب الصحاح، و المسانيد، و فى كتب التاريخ، التى سجلت لنا هذا الحدث الهام.

حيث إنه يذكر: أن عمر بن الخطاب هو الذى صادف الحجر الصلد، الذى ضربه النبى «صلى اللّه عليه و آله»، فبرقت البرقات الثلاث.

مع أن النصوص التى أوردتها سائر المصادر المعتبرة بالأسانيد الموثوقة: قد

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۵۰ و ۴۴۹ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۲۲۳ و اشار إليه فى سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۱۹ و ۵۲۰ عن الواقدى و وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۰۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۶۳

نصت على أن القضية بجميع فصولها و خصوصياتها، و جزئياتها قد كانت مع سلمان الفارسى.

بل قد ذكر النص الذى أوردناه أولا: أسماء ثلاثة ليس عمر بن الخطاب أحدهم. ثم صرح بأن الستة الباقين جميعهم من الأنصار.

بل إن نفس هذا النص الذى ذكرناه آنفا، و الذى أراد حشر اسم الخليفة الثانى فى هذه القضية، قد عاد و التزم جانب سلمان، بمجرد أن أخذ النبى «صلى اللّه عليه و آله» المعول ليضرب به ذلك الحجر و لم يعد لعمر فيه أى دور يذكر.

و كل ذلك يعطينا: أن ذكر اسم الخليفة الثانى هنا قد جاء سهوا من الراوى، و لعل ثمة حاجة فى النفس قضيت.

القيادة الحازمة، و الإنضباط أساس النجاح:

و بعد، فإن سيطرة القيادة النبوية الشريفة على الموقف و إشرافه «صلى اللّه عليه و آله» على كل تحرك و تصرف، و استتباب حالة الانضباط التام لدى الفئات التى كانت تعمل معه و تحت قيادته، له تأثير كبير فى حسم الموقف، وفقا لما ترسمه القيادة و يحقق

أهدافها.

و قد تجلت الهيمنة القيادية للرسول الأعظم «صلى اللّه عليه و آله» فى أكثر من مجال فى غزوة الأحزاب.

و قد قرأنا آنفا: أنهم حين ظهرت الكدية و الصخرة، قالوا: إنهم ما كانوا يتجاوزون ما خطه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أبدا، رغم أن المعدل قريب.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۶۴

و تقدم أيضا: أن أحدا لم يكن يترك موضعه و عمله لحاجة يريدها إلا أن يأذن له النبى الأكرم «صلى اللّه عليه و آله». و هذا هو ما طالب به أمير المؤمنين «عليه السلام» بعض أصحابه فى صفين، حين قال له: طاعة إمامك أوجب عليك من مبارزة عدوك، و نجد أمثال هذه الكلمة فى مغزاها و مرماها الكثير فى مختلف المواضع و المواقع.

و هذا الانضباط هو الضمانة للنجاح فى أية خطة ترسم، إذ إن القبول بالانسياق وراء الاجتهادات المختلفة يفقد القيادة الثقة بإمكانية تحقيق أية خطة تضعها للمواجهة، ثم هو يفسح المجال لتمرير بعض الخدع التى تفيد الأعداء، و تهيئ لهم الظرف الملائم لتسديد ضرباتهم الموجعة، و الخطيرة فى أحيان كثيرة.

أضف إلى ذلك: ما يمكن أن ينشأ عن ذلك من منافسات ثم من نزاعات، إلى أن ينتهى الأمر إلى التراشق بالتهم و تصدع الصف الواحد، الذى يفترض أن يكون كالبنيان المرصوص.

و لم ينس المسلمون بعد، ما أصابهم فى حرب أحد حيث تسبب الرماة و الذين تركوا مراكزهم على ثغرة الجبل بكارثة حقيقية منى بها المسلمون كما سبق بيانه.

و مهما يكن من أمر: فإن الانضباط فى غزوة الأحزاب، و التقيد بأوامر النبى الأعظم «صلى اللّه عليه و آله» قد هيأ الفرصة لتحقيق النجاح الكبير الذى غير مسار تاريخ المواجهة مع المشركين، حتى قال النبى «صلى اللّه عليه و آله»: الآن نغزوهم و لا يغزوننا كما سيأتى ذلك مع مصادره فى الفصل الأخير من هذا الباب إن شاء اللّه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۶۵

نقول هذا رغم أننا نجد المنافقين: يحاولون التملص من تحمل مسؤولياتهم، و يختلقون الذرائع و الحجج المختلفة لذلك، و لكن ذلك كان يتم وفقا لقوانين الانضباط أيضا، فقد كانوا يورون بالضعيف من العمل، و كانوا يستأذنون لحاجات وهمية، و ما إلى ذلك، و لكنه كله كان تحت سمع و بصر القيادة و فى نطاق علمها، و سيطرتها على الموقف كما هو معلوم.

مدائن كسرى و قصور الروم و صنعاء:

إننا حين نقرأ هذه القضية نشعر: أن المسلمين كانوا يواجهون أكبر تجمع لقوى الشرك، و يتهيأون للدفاع عن وجودهم و حياتهم و هم يشعرون بعظيم الخطر الداهم، و تختلف فى نفوسهم عوامل اليأس تارة، و عوامل الرجاء تارة أخرى.

و لعل المنافقين، و من وراءهم اليهود، قد أسهموا بتضعيف عوامل الرجاء بما أشاعوه و أذاعوه مما يؤكد و يقوى حالة التشاؤم إلى درجة اليأس لدى الكثيرين ممن لم ترسخ لهم بعد قدم فى الإيمان و التسليم، و التوكل.

فتأتى قصة رؤية قصور الحيرة و الروم و صنعاء، و مدائن كسرى حينما ضرب النبى «صلى اللّه عليه و آله» تلك الصخرة المستعصية فى الخندق ضربات ثلاثا- تأتى- لتعيد للمسلمين ثقتهم بأنفسهم و بربهم، و تطلعاتهم و نظراتهم القوية و الثاقبة للمستقبل، و يبتعد حينئذ تلقائيا شبح الخوف المذل و الاستسلام الخانع لعوامل اليأس، التى لو تمكنت و ترسخت فيهم لجرتهم إلى مزالق الذل، و لكان ذلك سببا فى ذهاب ريحهم و سقوطهم فى حمأة الهوان، و البوار.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۶۶

إذ إن الحادثة قد استنبطت: أن ما هم فيه ما هو إلا «سحابة صيف عن قريب تقشع» و أنهم سيخرجون من هذه الضائقة التى يواجهونها مرفوعى الرأس، ليواصلوا مسيرتهم الظافرة من نصر إلى نصر، و من فتح إلى فتح، حتى ينتهى بهم الأمر إلى فتح الفتوح، حيث تفتح لهم البلاد، و تدخل العباد فى دينهم أفواجا، و يملكون كنوز كسرى و قيصر، حسبما أخبرهم به الرسول «صلى اللّه عليه و آله» منذ فجر دعوته فى مكة.

و مما يدخل فى هذا السياق: ما روى من أنه «صلى اللّه عليه و آله» قال يوم الخندق لأصحابه: لئن أمسيتم قليلا، لتكثرن، و إن أمسيتم ضعفاء لتشرقن، حتى تصيروا نجوما يهتدى بكم، و بواحد منكم «۱».

الأمل بالنصر:

و ذلك كله يوضح لنا: سر اطمئنان المؤمنين بنصر اللّه لما رأوا الأحزاب و قد أحاطوا بالمدينة، و ضيقوا عليها الخناق، فلم ينهزموا أمام كل تلك الحشود، و ما وهنوا لما أصابهم، بل واجهوا ذلك بكل صلابة عزم، و بكل تصميم قاهر، تحدث اللّه عنه سبحانه حينما قال: وَ لَمَّا رَأَ الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزابَ قالُوا هذا ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ صَدَقَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ ما زادَهُمْ إِلَّا إِيماناً وَ تَسْلِيماً «۲»» «۳».

أما المنافقون، فاتخذوا ما أخبر به النبى «صلى اللّه عليه و آله» ذريعة

---

(۱) الخرائج و الجرائح ج ۱ ص ۶۶.

(۲) الآية ۲۲ من سورة الأحزاب.

(۳) فتح البارى ج ۷ ص ۳۰۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۶۷

للمزيد من السخرية، و التندر و الاستهزاء، الذى يعبر عن انهزامهم النفسى و الروحى أمام القوى الغازية قال تعالى: وَ إِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً «۱».

كرم و كرامة:

و قضية وليمة جابر فى الخندق تروى بنصوص مختلفة نلخصها فيما يلى:

قال جابر: رأيت رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يحفر، و رأيته خميصا و رأيت بين عكنه الغبار؛ فاستأذن من النبى «صلى اللّه عليه و آله» أن يذهب إلى بيته، فأذن له فعاد إلى امرأته- و اسمها سهيلة بنت مسعود الأنصارية- فاتفق معها على أن يصلحا ما عندهما، و هو مد من شعير، و عناق (شاة) أو شويهة غير سمينة. ثم يدعو النبى «صلى اللّه عليه و آله» للطعام.

فذهب ليدعوه مع رجل أو رجلين؛ فسأله النبى «صلى اللّه عليه و آله» عما عنده فأخبره؛ فقال «صلى اللّه عليه و آله»: كثير طيب.

ثم دعا أهل الخندق جميعا، و قال لهم: إن جابرا قد صنع لهم سورا؛ فأقبلوا معه.

قال جابر: فقلت: و اللّه إنها الفضيحة.

فأتيت المرأة فأخبرتها (أى بأنه «صلى اللّه عليه و آله» قد جاءها بالجند أجمعين، أو قد جاءك رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و أصحابه أجمعون).

فقالت: أنت دعوتهم، أو هو دعاهم؟

---

(۱) الآية ۱۲ من سورة الأحزاب.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۶۸

فقلت: بل هو دعاهم.

قالت: دعهم، هو أعلم.

و فى نص آخر: أنها سألته إن كان رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قد سأله عما عنده.

فأجابها بالإيجاب، فقالت له ذلك.

و ذكرت نصوص أخرى: أنه «صلى اللّه عليه و آله» أقبل و أمر أصحابه، فكانوا فرقا عشرة عشرة، ثم قال اغرفوا و غطوا البرمة، و أخرجوا من التنور الخبز ثم غطوه. ففعلوا، فجعلوا يغرفون، ثم يغطون البرمة، ثم يفتحونها فلا يرون أنها نقصت شيئا، و يخرجون الخبز من التنور، ثم يغطونه فما يرونه ينقص شيئا؛ فأكل الجميع حتى شبعوا.

و قال «صلى اللّه عليه و آله»: كلوا و اهدوا، فإن الناس أصابتهم مجاعة شديدة فأكلنا و أهدينا.

و فى نص آخر: فلم نزل نأكل و نهدى يومنا ذلك أجمع، فلما خرج رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ذهب ذلك.

و لهذه الرواية: نصوص تختلف من حيث التفصيل و الإختصار، لم نر حاجة إلى إيرادها، و يمكن لمن يريد ذلك أن يراجع المصادر التى فى الهامش «۱».

---

(۱) راجع النصوص المختلفة لهذه القضية فى: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۵۲ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۸۶- ۱۹۰ و تفسير القمى ج ۲ ص ۱۷۸ و ۱۷۹ و بحار الأنوار ج ۲۰ ص ۲۱۹ و ۲۲۰ و ۱۹۸ و ۱۹۹ و ج ۱۸ ص ۲۶ ج ۷ و ص ۳۲ حديث ۲۵ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۴۱۶ و ۴۱۵ و ۴۲۷ و مستدرك الحاكم ج ۳-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۶۹

و قد صرحت بعض المصادر: بأن الذين أكلوا عند جابر كانوا ألف رجل، و هم جميع أهل الخندق.

و قيل: كانوا ثلاث مئة، و قيل: ثمان مئة، و قيل: تسع مئة «۱».

و فى بعض النصوص: حتى شبع المسلمون كلهم.

- ص ۳۱ و راجع: تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۲۳۴ و ۲۳۵ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۲۹ و ۳۳۰ و صحيح البخارى ج ۳ ص ۲۱ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۹۷- ۹۹ عن البخارى، و أحمد، و البيهقى، و ابن أبى شيبة، و مسلم، و ابن إسحاق و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۲۰ و ۵۲۱ عمن تقدم، و عن الحاكم و الطبرانى و حدائق الأنوار ج ۱ ص ۲۱۲ و ج ۲ ص ۵۹۲ و شرح الشفاء للقارى (ط سنة ۱۲۶۴) ج ۱ ص ۲۴۵ و ۲۴۶ و عيون الأثر ج ۲ ص ۵۷ و ۵۸ و دلائل النبوة لابن نعيم ص ۳۵۸ و ۳۶۰ و الشفاء ج ۱ ص ۲۹۱ و إعلام الورى (ط دار المعرفة) ص ۳۶ و صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره و الخرايج و الجرايح ج ۱ ص ۲۷ و ۱۵۲- ۱۵۴ و إثبات الهداة ج ۲ ص ۸۸.

(۱) البداية و النهاية ج ۴ ص ۹۸ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۸۸ و ۱۸۹ و ۱۹۰ عن البخارى و ابن أبى شيبة و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۲۱ و ۵۶۴ و دلائل النبوة لأبى نعيم ص ۳۶۰ و الشفاء ج ۱ ص ۲۹۱ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۴۲۴ و ۴۲۶ و عن فتح البارى ج ۷ ص ۳۹۵، و راجع: تاريخ ابن الوردى ج ۱ ص ۱۶۱ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۲۹ و الإكتفاء للكلاعى ج ۲ ص ۱۶۱ و إعلام الورى ص ۹۰ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۳۳ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۲۳۴ و ۲۳۵ و المختصر فى أخبار البشر ج ۱ ص ۱۳۴ و ۱۳۵ و عيون الأثر ج ۲ ص ۵۷ و ۵۸ و السيرة النبوية لدحلان ج ۲ ص ۴ و حدائق الأنوار ج ۱ ص ۵۳

و ۲۱۲ و ج ۲ ص ۵۹۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص: ۲۷۰

زاد ابن شهر آشوب: فلم يكن موضع للجلوس، فكان يشير إلى الحائط، و الحائط يبعد، حتى تمكنوا، فجعل يطعمهم بنفسه «۱».

و فى نص آخر: أنه «صلى اللّه عليه و آله» قال: هل دللتم على رجل يطعمنا أكلة؟

فدلوه على رجل، فذهب إلى بيته، و لكنه كان فى الخندق يعالج نصيبه، فأرسلت إليه امرأته، فأقبل يسعى، فذبح لهم جديا كان عنده فأكل منه عشرة، ثم ذهبوا، و جاء عشرة آخرون فأكلوا.

«ثم قام «صلى اللّه عليه و آله» و دعا لربة البيت، و سمت عليها، و على أهل بيتها» «۲».

قضية أخرى فيها كرامة لرسول اللّه صلى اللّه عليه و آله:

و أرسلت أم متعب (أو أم عامر) الأشهلية بقعبة فيها حيس «۳» إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و هو فى قبته مع أم سلمة، فأكلت حاجتها، ثم خرج بالقعبة فنادى مناديه: هلم إلى عشائه، فأكل أهل الخندق حتى

---

(۱) دلائل النبوة لأبى نعيم ص ۳۶۰ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۸۸ و راجع:

الخرائج و الجرائح ج ۱ ص ۱۵۴ و ۱۵۵ و البحار ج ۱۸ ص ۳۲ حديث ۲۵ و المناقب لابن شهراشوب ج ۱ ص ۱۰۳.

(۲) السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۹۳ و ۱۹۴ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۰۱ و ۱۰۰ عن الطبرانى، و راجع: فتح البارى ج ۷ ص ۳۰۵.

(۳) الحيس: طعام متخذ من التمر و السمن، و الدقيق و الفتيت.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص: ۲۷۱

نهلوا، و هى كما هى «۱».

كرامة أخرى للنبى صلى اللّه عليه و آله:

و بعث أبو طلحة إنسانا بأقراص من الشعير تحت إبطه، ففتها «صلى اللّه عليه و آله» و أطعم منها ثمانين «۲».

يطعم الجيش كله حفنة من تمر:

و مما ذكره فى هذا السياق: أن ابنة بشير بن سعد «۳» جاءت بحفنة من تمر إلى أبيها و خالها عبد اللّه بن رواحة؛ فرآها رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و هى تلتمس أباها و خالها، فأخذ ذلك منها فى كفه فما ملأتها، ثم أمر بثوب فبسط له، ثم دحا بالتمر عليه، فتبدد فوق الثوب.

ثم أمر جعال بن سراقة، فصرخ فى أهل الخندق: أن هلم إلى الغداء؛ فاجتمعوا، فجعلوا يأكلون منها، و جعل يزيد، حتى صدر أهل الخندق عنه، و أنه ليسقط من أطراف الثوب «۴».

---

(۱) إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۲۳۵ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۲۲ عن ابن عساكر، و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۷۷ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۳۰.

(۲) حدائق الأنوار ج ۲ ص ۵۹۲ و سنن الدارمى ج ۱ ص ۲۱ و ۲۲ (المقدمة).

(۳) هى أخت النعمان بن بشير.

(۴) راجع: السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۲۸ و ۲۲۹ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۲۱ و ۵۲۲ عن أبى نعيم، و ابن إسحاق و الإكتفاء للكلاعى ج ۲ ص ۱۶۰ و ۱۶۱ و تاريخ ابن الوردى ج ۱ ص ۱۶۰ و ۱۶۱ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۲۳۵، و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۹۰ و ۱۹۱ و البداية-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۷۲

كرامة أخرى لرسول اللّه صلى اللّه عليه و آله:

عن معاوية بن الحكم قال: لما أجرى أخى على بن الحكم فرسه فدق جدار الخندق ساقه، فأتينا به إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» على فرسه، فقال: بسم اللّه، و مسح ساقه، فما نزل عنها حتى برئ «۱».

بين نظرتين:

ألف: و يلفت نظرنا فى قصة جابر: أن جابرا قد تصرف وفق ما وجد أنه متوفر لديه من معطيات مادية، حيث رأى أن ما عنده لا يكفى إلا- لعدد يسير من الأشخاص، و لكن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لم يكن ليجعل نفسه أسيرة للأسباب المادية فى حدودها الظاهرة.

بل تجاوز ذلك ليتعامل مع مسبب الأسباب، و مفيض الوجود مباشرة، و هو اللّه سبحانه، و لم يكن اللّه ليبخل على نبيه «صلى اللّه عليه و آله» فى وقت يحتاج فيه هؤلاء الناس إلى الشعور برعاية اللّه سبحانه لهم.

و حتى مع إغماض النظر عن ذلك كله، فى الأسوة و القدرة، لم يكن

- و النهاية ج ۴ ص ۹۹ و السيرة النبوية لدحلان ج ۲ ص ۴ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۲۳۵ و جوامع السيرة النبوية ص ۱۴۸ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۲۹ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۴۲۷ و دلائل النبوة لابى نعيم ص ۴۳۳ و المختصر فى أخبار البشر ج ۱ ص ۱۳۴ و عيون الأثر ج ۲ ص ۵۷ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۷۶ و بحار الأنوار ج ۲۰ ص ۲۴۷ و الخرائج و الجرائح ج ۱ ص ۱۱۰ و ۱۲۳ و فيه: أنها أخت عبد اللّه بن رواحة و كذا فى مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۱۰۲.

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۲۲ عن الطبرانى، و أبى القاسم البغوى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۷۳

ليميز نفسه عن الناس، بل هو سوف يواسيهم بنفسه فيما قل و كثر، و فيما صغر و كبر. و ذلك هو ما تمليه عليه التعاليم و المبادئ التى جاء بها من عند اللّه جل و علا.

و الذى يستأثر بإعجابنا العميق هو تلك اللفتة الواعية من زوجة جابر، و التى تظهر لنا أيضا مدى إيمان هذه المرأة و مدى تسليمها لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله». كما أنها تحكى لنا طبيعة و نوعية و سنخ اعتقادها بهذا الرسول الكريم و العظيم.

و ذلك حينما أخرجت زوجها جابرا من حيرته المحرجة بسؤالها له: إن كان النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد علم بمقدار الطعام المتوفر عندهم، فأجابها بالإيجاب، فقالت: اللّه و رسوله أعلم.

و من يدرى فلعل النبى الأكرم «صلى اللّه عليه و آله» قد عرف أن هذا الإخلاص من جابر و زوجته، ثم الإيثار منه «صلى اللّه عليه و

آله»، و حبه لأصحابه، و إقدامه على تقسيم هذا القليل من الطعام معهم، ثم إخلاص صحابته الأخيار فى دفاعهم عن أنفسهم، و عن كرامتهم، و شرفهم و دينهم، و نبيهم، و هذه المتاعب الكبيرة، و المصاعب الخطيرة التى تواجههم، بالإضافة إلى أن اللّه سبحانه لن يخيب نبيه و وليه و صفيه،

نعم .. إن ذلك كله إذا اقترن بأن اللطف الإلهى لا بد أن يظهر فى هذه الفترة العصيبة بالذات ليطمئن المؤمنون إلى نصر اللّه سبحانه، فإن زيادة الطعام الذى قدمه جابر، حتى ليأكل المسلمون كلهم حاجتهم منه، تصبح أمرا مقبولا و معقولا، و فى محله ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۷۴

التزوير الرخيص:

زعم الشعرانى: «أنه شاهد شيخه الشيخ محمد الشنّاوى، و قد جاء من الريف، و معه نحو خمسين رجلا، و نزل بزاوية شيخه الشيخ محمد السروى، فتسامع مجاورو الجامع الأزهر بمجيئه، فأتوا لزيارته، فامتلأت الزاوية، و فرشوا الحصر فى الزقاق.

ثم قال لنقيب شيخه: هل عندك طبيخ؟!

قال: نعم، الطبيخ الذى أفعله لى و لزوجتى.

و قال له: لا تغرف شيئا حتى أحضر.

ثم غطى الشيخ الدست بردائه، و أخذ المغرفة، و صار يغرف إلى أن كفى من فى الزاوية، و من فى الزقاق. و هذا شىء رأيته بعينى» «۱».

و نحن إذا قارنّا بين هذا الكلام و بين قضية وليمة جابر، فإننا نجد أن هذا النص أراد أن يعطى الشناوى نفس الكرامة التى ثبتت لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» حين استجاب لدعوة ذلك الرجل الصالح «رحمه اللّه».

و الذى يستوقفنا هنا: ثقة الشنّاوى بحصول الكرامة له، و كأنه يمارس عملا عاديا لا يشك فى انتهائه إلى النتيجة التى يريدها. تماما كما كان الحال بالنسبة للنبى «صلى اللّه عليه و آله» فى الخندق.

و ليت شعرى لماذا لم يشتهر أمر الشنّاوى فى الآفاق، و تسير به الركبان من بلد إلى بلد، و يصبح قبره كقبر النبى «صلى اللّه عليه و آله» فى المدينة المنورة تشد إليه الرحال، و تقصده النساء و الرجال من أقصى بلاد المعمورة؟

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۳۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۷۵

مع أننا نجدهم يقصدون زيارة قبور أناس صالحين لم تظهر لهم حتى و لو كرامة واحدة من هذا القبيل!!

الجهد، و الضعف و الجوع:

اشارة

قد تحدثت النصوص التى سلفت فى هذا الفصل، و فى غيره من الفصول، عن المعاناة التى كان يتعرض لها المسلمون بسبب شحة الأقوات فى تلك السنة بالذات حيث: «كان المسلمون قد أصابهم مجاعة شديدة، و كان أهلوهم يبعثون إليهم بما قدروا عليه» «۱».

و ذكر نص آخر: أن حفر الخندق كان فى زمان عسيرة، و عام مجاعة حتى أن الأصحاب كانوا يشدون على بطونهم الحجر من الجهد

و الضعف الذى بهم من الجوع، و يقول البخارى: إنهم لبثوا ثلاثة أيام لا يذوقون ذواقا، و كذا النبى «صلى اللّه عليه و آله» «۲».

و فى نص آخر: «يأتون بملء كفى شعير، فيصنع لهم بإهالة سنخة توضع بين يدى القوم، و القوم جياع، و هى بشعة فى الحلق، و لها ريح منتن» «۳».

---

(۱) إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۲۳۵ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۷۶.

(۲) راجع مصادر حديث جابر الذى أوردناه فى فقرة: كرم و كرامة. و راجع أيضا:

السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۲۹ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۲.

(۳) راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۸۴ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۹۶ عن البخارى، و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۲۴۵ و صحيح البخارى ج ۳ ص ۲۰ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۱۷ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۴۱۲ و عن فتح البارى ج ۷ ص ۳۹۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۷۶

و يقول أبو طلحة: «شكونا إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» الجوع، و رفعنا عن بطوننا عن حجر، حجر، فرفع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» عن بطنه حجرين» «۱».

و يقول نص آخر: «و كانوا فى قر شديد و جوع» «۲».

و عن على أمير المؤمنين «عليه السلام»، قال: «كنا مع النبى «صلى اللّه عليه و آله» فى حفر الخندق إذ جاءته فاطمة، و معها كسرة خبز، فدفعتها إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله» و قال النبى عليه و على آله الصلاة و السلام: ما هذه الكسرة؟!

قالت: قرصا خبزتها للحسن و الحسين، جئتك منه بهذه الكسرة.

فقال النبى «صلى اللّه عليه و آله»: أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاث «۳».

و لنا هنا وقفات:

الأولى: النبى صلى اللّه عليه و آله وصوم الوصال:

لقد ذكروا: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» نهى عن صوم الوصال، فقالوا له: ما لك تواصل يا رسول اللّه؟!

قال: إنى لست مثلكم، إنى أبيت يطعمنى ربى و يسقينى.

---

(۱) السيرة النبوية للندوى ص ۲۸۲ عن الترمذى.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۲۹.

(۳) عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۴۰ و ذخائر العقبى ص ۴۷ و بحار الأنوار ج ۲۰ ص ۲۴۵ و صحيفة الإمام الرضا «عليه السلام» ط دار الأضواء ص ۷۱ و ۷۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۷۷

قال ابن حبان: و يستدرك بهذا الحديث على بطلان ما ورد: أنه «صلى اللّه عليه و آله»، كان يضع الحجر على بطنه، لأنه كان يطعم و يسقى من ربه إذا واصل. فكيف يترك جائعا مع عدم الوصال، حتى يحتاج إلى ربط الحجر على بطنه؟!

قال: و إنما لفظ الحديث: الحجز، بالزاى، و هو طرف الإزار. فصحفوا، و زادوا لفظ الجوع.

و أجيب: بأنه «لا منافاة، كان «صلى اللّه عليه و آله» يطعم و يسقى إذا واصل فى الصوم، أى يصير كالطاعم و الساقى، تكرمة له. و لا يحصل له ذلك دائما، بل يحصل له الجوع فى بعض الأحايين، على وجه الابتلاء الذى يحصل للأنبياء، عليهم الصلاة و السلام، تعظيما لثوابهم» «۱».

أضف إلى ذلك: أن توجه ابن حبان هذا، و دعواه تصحيف كلمة الحجز بالحجر لا تتلاءم مع ما تقدم عن على «عليه السلام»، و لا مع ما تقدم عن جابر فى قصة اندفاعه لتهيئة طعام للنبى «صلى اللّه عليه و آله» لما رآه خميصا، و لا مع ما ذكر فى قصة سلمان حينما طلب من النبى «صلى اللّه عليه و آله» أن يعالج الصخرة.

الثانية: العزم و الثبات:

و يلفت النظر هنا: أنه رغم كل ما كان يعانيه المسلمون من جهد و ضعف و جوع، و برد- كما يقولون- فإن ذلك لم ينل من عزمهم، و لم يؤثر

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۲۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۷۸

على إرادتهم، و لا هزمهم روحيا. بل استمروا فى تصميمهم على تنفيذ قرارهم بالمواجهة، و لم يحملهم ذلك على الدخول فى أى مساومة، و تقديم أية تنازلات.

و لا شك: فى أن للعامل الإيمانى دوره الحساس فى هذا المجال، و لعل العامل الأهم هنا: هو توفر القيادة الحكيمة و الواعية و الحازمة، المرتبطة باللّه سبحانه، المتمثلة بشخصية النبى الأكرم «صلى اللّه عليه و آله».

الثالثة: الخصاصة و الجوع:

قد تعودنا من أولئك الذين يتعاقبون على كراسى الحكم: أن يكونوا من أصحاب الأموال الطائلة، و أهل الثراء الفاحش، مع السعى الحثيث منهم للتمتع بمباهج الحياة، و التقلب فى ملذاتها، و اهتمام ظاهر بما فيها من زينة، و بهارج، فى حين تكون شعوبهم تعانى من النصب و الحرمان، و من الحاجة و الخصاصة بدرجة قبيحة و مزرية.

إن لم نقل: إن الكثيرين من هؤلاء الحكام هم الذين يمتصون دماء شعوبهم، و يعبثون بمقدراتها، و يختلسون كل ما قدروا عليه من أموالها.

أما نبينا الأكرم «صلى اللّه عليه و آله»: فإنه على عكس ذلك تماما، فها هو فى أيام الخندق يربط الحجر، و لا يستأثر نفسه بشىء من حطام الدنيا.

بل إنه حتى حينما يرغب أحدهم فى استضافته على الشىء القليل جدا فى هذا الظرف العصيب بالذات، لا يرضى «صلى اللّه عليه و آله» إلا أن يشاركه المسلمون جميعا فى ضيافته تلك، فيبارك اللّه سبحانه فى ذلك الطعام، و تكون الكرامة من اللّه سبحانه لرسوله الأكرم «صلى اللّه عليه و آله».

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۷۹

ثم نجد عليا أمير المؤمنين «عليه السلام» خير من يتأسى برسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و يسير على نهجه، و ينسج على منواله. فإنه

رغم أنه كان قد أنشأ- بكديده، و بعرق جبينه- الكثير من الضياع و البساتين، لكنه لم يكن يستفيد منها بتحسين وضعه المعيشى، و لا أحدثت تغييرا فى حياته الخاصة، بل كان يتصدق بها و يوزعها على الفقراء و المحتاجين، و قد أوقف عامتها على جهات البر المختلفة، ثم لم يزل يلبس الخشن، و يأكل الجشب إلى أن توفاه اللّه سبحانه.

و حسبك ما كتبه لعثمان بن حنيف: يلومه على حضوره وليمة دعى إليها:

قال «عليه السلام»: «ألا- و إن لكل مأموم إماما يقتدى به، و يستضىء بنور علمه، ألا و إن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، و من طعمه بقرصيه، ألا و إنكم لا تقدرون على ذلك، و لكن أعينونى بورع، و اجتهاد، و عفة و سداد. فواللّه ما كنزت من دنياكم تبرا، و لا ادخرت من غنائمها وفرا، و لا أعددت لبالى ثوبى طمرا، و لا حزت من أرضها شبرا، و لا أخذت منه إلا كقوت أتان دبرة، و لهى فى عينى أوهى و أهون من غصة مقرة» «۱».

إلى أن قال: «و لو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل، و لباب هذا القمح، و نسائج هذا القز. و لكن هيهات أن يغلبنى هواى، و يقودنى جشعى إلى تخير الأطعمة، و لعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له فى القرص، و لا عهد له بالشبع.

أو أبيت مبطانا و حولى بطون غرثى، و أكباد حرى، أو أكون كما قال القائل:

---

(۱) الأتان الدبرة: التى عقر ظهرها فقل أكلها. مقرة: مرة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۸۰ و حسبك داء أن تبيت ببطنةو حولك أكباد تحن إلى القد أأقنع من نفسى بأن يقال: هذا أمير المؤمنين و لا أشاركهم فى مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم فى جشوبة العيش؟ فما خلقت ليشغلنى أكل الطيبات، كالبهيمة المربوطة، همها علفها، أو المرسلة، شغلها تقممها «۱»، تكترش «۲» من أعلافها، و تلهو عما يراد بها».

إلى أن قال: «و كأنى بقائلكم يقول: إذا كان هذا قوت ابن أبى طالب، فقد قعد به الضعف على قتال الأقران، و منازلة الشجعان. ألا و إن الشجرة البرية أصلب عودا، و الروائح الخضرة أرق جلودا، و النباتات العذية «۳» أقوى وقودا، الخ ..» «۴».

---

(۱) التقمم: التقاط القمامة.

(۲) تكترش: تملأ كرشها.

(۳) العذى: الزرع لا يسقيه إلا ماء المطر.

(۴) نهج البلاغة (تحقيق صبحى الصالح، ط سنة ۱۳۸۷ ه. ق) ص ۴۱۷ و ۴۱۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۸۱

الفصل الخامس: جيش المسلمين و جيش المشركين فى المواجهة

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۸۳

الإعداد و الإستعداد:

قال البلاذرى: «بلغ رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» الخبر، فندب المسلمين إلى قتال الأحزاب، و خرج فارتاد لعسكر المسلمين» «۱». و كان خروجه بعد أن استخلف على المدينة ابن أم مكتوم «۲».

و حسب نص الصالحى الشامى: «ركب فرسا و معه عـدة من المهاجرين و الأنصار فارتاد موضـعا، و كان أعجب المنازل إليه أن يجعل سلعا الجبل خلف ظهره، و يخندق الخ ..» «۳».

---

(۱) أنساب الأشراف ج ۱ ص ۳۴۳.

(۲) راجع: الثقـات ج ۱ ص ۲۶۶ و التنبيه و الإشـراف ص ۲۱۶ و زاد المعـاد ج ۲ ص ۱۱۷ و جوامع السـيرة النبوية ص ۱۴۹ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۳۱ و العبر ج ۲ ق ۲ ص ۲۹ و السـيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۹۷ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۰۳ و ۱۰۲ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۱ و السيرة النبوية لدحلان ج ۲ ص ۴ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۵ و ۳۱۴ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۲۱۶ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۲۳ و نهاية الأرب ج ۱۷ ص ۱۶۸ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۴۱ و عيون الأثر ج ۲ ص ۵۷.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۴۱۴ و ۴۱۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۸۴

و كان خروجه «صـلى اللّه عليه و آله» لثمان خلون من ذى القعـدة، أو شوال، حسـبما تقدم، و يقال: إن خروجه «صـلى اللّه عليه و آله» كان فى يوم الإثنين «۱».

و اختار «صلى اللّه عليه و آله» ذلك الموضع المكشوف للخندق، و جعل معسكره تحت جبل سلع «۲» أو سفح سلع، أو سطح سلع، أو جعل سلعا وراء ظهره، و الخندق بينه و بين القوم «۳».

يقول البعض: «فلو أن العدو عبر الخندق لقدمت سلع للمدافعين

---

(۱) راجع: نهاية الأرب ج ۱۷ ص ۱۷۰ و غير ذلك من المصادر السابقة و اللاحقة

(۲) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۱ السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۵.

(۳) راجع المصادر المتقدمـة فى الهوامش السابقة، و فى: البداء و التاريخ ج ۴ ص ۲۱۷ و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۰۱ و ۳۰۰ و ج ۴ ص ۱۲۰۴ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۵۴ و العبر و ديوان المبتـدأ و الخبر ج ۲ ق ۲ ص ۲۹ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۳۱ و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۷ و الكامل فى التاريـخ ج ۲ ص ۱۸۰ و الإكتفـاء للكلاعى ج ۲ ص ۱۶۲ و ۱۶۳، و أنساب الأشراف ج ۱ ص ۳۴۳ و تاريـخ الإسـلام للذهبى (المغازى) ص ۲۳۶ و تاريـخ الأمـم و الملوك ج ۲ ص ۲۳۷ و جوامع السـيرة النبويـة ص ۱۴۹ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۰۷ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۴۱۵ و ۵۱۴ و ۵۲۳ و تهذيب سيرة ابن هشام ص ۱۹۰ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۴۲۸ و بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۶۴ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۱۲ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۱۲۵ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۰۲ و مجمع البيان ج ۸ ص ۳۴۲ و بحار الأنوار ج ۲۰ ص ۲۰۰ و نهاية الأرب ج ۱۷ ص ۱۶۸ و سعد السعود ص ۱۳۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۸۵

نفس المزايا التى حصلوا عليها فى أحد» «۱».

و يستفاد مما تقدم: أن موقعهم كان عند سلع من جهة الشام و المغرب «۲».

مقر القيادة:

«و ضربت له «صلى اللّه عليه و آله» قبة من أديم أحمر، على القرن فى موضع مسجد الفتح» «۳».

و تقـدم فى الفصل السابق، حين الكلام عن قصور الروم و فارس: أنها قبـة تركيـة. الصـحيح من السـيرة النبى الأعظم، مرتضـى العاملى

ج ۱۰ ۲۸۵ مقر القيادة: ..... ص : ۲۸۵ و نسجل هنا:

ألف: إنه يستفاد من هذا و مما تقدم- مع أن بعض النصوص ذكرت: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» جعل معسكره سطح (أو سفح) سلع-: أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد اختار من السفح موضعا مشرفا، و مرتفعا نسبيا يمكنه من مراقبة الوضع بدقة، ثم المبادرة إلى اتخاذ القرار اللازم فى الموضع المناسب.

ب: إنه إذا كان المشركون إنما يفكرون بالدنيا، و يرون العزة بما

---

(۱) محمد فى المدينة ص ۵۶.

(۲) وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۰۰.

(۳) و راجع أيضا: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۱.

(۴) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۵۴ و ۴۵۷ و راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۴ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۲۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۸۶

يحصلون عليه من حطامها، فإن رؤيتهم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى مكان مشرف عليهم، و هو فى قبة ذات لون متميز من أدم أحمر، سيكون مغيظا لهم، و سيزيد من حسرتهم و حنقهم، حين يرغمون على التراجع، و هم يجرون أذيال الخيبة و الخسران، و قد خلفوا وراءهم قتلى من رؤسائهم و أبطالهم، كما سنرى.

عرض النبى صلى اللّه عليه و آله الخارجين إلى الحرب:

ثم عرض «صلى اللّه عليه و آله»: الجيش، و هو يحفر الخندق.

فعن أبى واقد الليثى قال: «رأيت رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يعرض الغلمان، و هو يحفر الخندق، فأجاز من أجاز، ورد من رد.

و كان الغلمان يعملون مع الذين لم يبلغوا و لم يجزهم، و لكن لما لحم الأمر، أمر من لم يبلغ أن يرجع إلى أهله، إلى الآطام مع الذرارى.

إلى أن قال: فكان ممن أجاز رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يومئذ ابن عمر و هو ابن خمس عشرة، و زيد بن ثابت و هو ابن خمس عشرة، و البراء بن عازب و هو ابن خمس عشرة «۱»، و أبا سعيد الخدرى و لم يردهم.

و يقال: إنه أجازهم قبل ذلك» «۲».

قال العسقلانى: «عرض الجيش اختبار أحوالهم قبل مباشرة القتال

---

(۱) راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۵۳ و أنساب الأشراف ج ۱ ص ۳۴۳ و ۳۴۴ و راجع تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۱ و السيرة النبوية لدحلان ج ۲ ص ۳۱۴ و ۳۱۵ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۲۲۴ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۲۳.

(۲) أنساب الأشراف ج ۱ ص ۳۴۴ و راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۲۸۷

للنظر فى هيبتهم و ترتيب منازلهم و غير ذلك» «۱».

و مهما يكن من أمر فقد أصبحت المدينة بسبب حفر الخندق كالحصن، حسبما تقدم «۲».

النساء و الأطفال فى الآطام:

و يذكر المؤرخون كافة تقريبا، و هم يتحدثون عن غزوة الخندق: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد جعل النساء و الصبيان فى الآطام «۳».

قال الواقدى: «و رفع النساء و الصبيان فى الآطام، و رفعت بنو حارثة الذرارى فى أطمهم، و كان أطما منيعا. و كانت عائشة يومئذ فيه. و رفع بنو عمرو بن عوف النساء و الذرية فى الآطام، و خندق بعضهم حول الآطام بقباء، و حصن بنو عمرو بن عوف و لفها، و خطمة، و بنو أمية، و وائل، و واقف فكان ذراريهم فى آطامهم» «۴».

الحرس على أبواب الخندق:

و يذكر المؤرخون: أنهم بعد أن حفروا الخندق، و حصنوه «جعل له رسول

---

(۱) فتح البارى ج ۷ ص ۳۰۲.

(۲) إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۲۲۳ و راجع أواخر الفصل الثانى، حين الكلام عن تشبيك المدينة بالبنيان.

(۳) قد ذكرت ذلك مختلف المصادر التى تقدمت فى هذا الفصل، فمن أرادها فليراجعها.

(۴) المغازى ج ۱ ص ۴۵۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۸۸

اللّه أبوابا «۱» و جعل على الأبواب حرسا، من كل قبيلة رجلا، و عليهم الزبير بن العوام، و أمره إن رأى قتالا أن يقاتل» «۲».

و فى نص آخر: «و جعل على كل باب رجلا من المهاجرين، و رجلا من الأنصار مع جماعة يحفظونه» «۳».

و تقدم: أن أبواب الخندق كانت ثمانية.

تركيبة الحرس مثار تساؤل:

و أما لماذا اختار النبى الأكرم «صلى اللّه عليه و آله» أن تكون تركيبة الحرس على أبواب الخندق بهذا الشكل، فربما يكون السر فيه: هو أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد أراد أن يقطع الطريق على أى تفكير تآمرى، من خلال اتصالات سرية فيما بين المشركين و المنافقين أو غيرهم، للتواطؤ على المسلمين. و لو عن طريق الإغراء بالمال، أو الاحتيال، أو التغفيل، حيث يتمكنون من إحداث ثغرة أو أكثر، من شأنها أن تعرض المسلمين للخطر الكبير.

و حين يكون الحرس من كل قبيلة رجلا، فإن الرقابة على بعضهم البعض تصبح طبيعية، و لن يعود من السهل فتح علاقة مشبوهة مع أى

---

(۱) راجع: مغازى الواقدى ج ۲ ص ۴۵۲ و ۴۵۰ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۱۵ و تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۵۰، و راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲ ص ۳۱۲ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۶۷ و وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۰۶.

(۲) تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۵۰.

(۳) تفسير القمى ج ۲ ص ۱۷۹ و بحار الأنوار ج ۲۰ ص ۲۲۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۸۹

منهم، و يصبح احتمال تواطؤهم أبعد، و اتفاقهم على الخيانة يكون أصعب و أعقد.

و يلفت نظرنا هنا: ذلك النص الذى بيّن فيه اهتمام النبى «صلى اللّه عليه و آله» بمشاركة الأنصار للمهاجرين فى هذا الأمر.

و نحن نعلم: أن إمكانية اختراق مشركى أهل مكة للمهاجرين أسهل و أيسر، لأنهم إخوانهم و أبناؤهم، و لم نزل نجد فى المهاجرين من يحابى قومه و يهتم بعدم إلحاق المزيد من الأذى بهم بدءا من حرب بدر، حسبما أوضحناه هناك فى قضية فداء الأسرى.

بل لقد وجدنا حتى زوجة النبى «صلى اللّه عليه و آله» تخرج عن وقارها، و تندفع لتحرض على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى بدر، فراجع ما ذكرناه هناك أيضا عن سودة بنت زمعة.

و تجد فى كتابنا هذا، و فى كتاب «الغدير و المعارضون» شواهد كثيرة و غزيرة و مثيرة عن مواقف قريش من النبى «صلى اللّه عليه و آله» و أهل بيته. و لا نرى حاجة لإعادة التذكير بها هنا.

الذرارى و النساء فى الآطام:

و إن جعل النساء و الذرارى فى مواضع حصينة، و تجميعهم فى أماكن معينة يعتبر إجراء حكيما، لأنه يوفر على المسلمين معاناة حالة التوزع فى الاهتمامات، و انتشارها، و يركزها فى نقطة أو نقاط محددة يمكن التركيز عليها فى الرعاية الأمنية، و تسهيل تقديم المعونة الفاعلة و المؤثرة و السريعة، وفق خطة مرسومة فى الوقت المناسب لو فرض تعرضها لأى خطر من قبل الأعداء.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۹۰

ثم هى تمكن هؤلاء الضعفاء من أن يفيدوا من مناعة تلك الآطام للدفع عن أنفسهم بدلا من بيوت واهنة لا تساعد على حمايتهم، و لا تدفع عنهم فى شىء.

و بذلك لم يعد النساء و الأطفال منتشرين على مساحات واسعة، بصورة تجعلهم هدفا سهلا لكل عابث، و عرضة لأطماع الأعداء و السفهاء، الأمر الذى يوجب إرباكا نفسيا لدى القوى التى يفترض فيها أن تصب كل اهتماماتها على نقطة واحدة، و واحدة فقط، و هى دفع العدو، و إبطال كيده، و إلحاق الهزيمة المخزية به.

و قد يمكن للعدو- لو لم تجعل الذرارى و النساء فى الآطام- أن يستفيد من الوضع القائم، فيعتدى أو يتظاهر بالاعتداء على المواقع المختلفة المنتشرة على مساحة المدينة بأكملها، و ذلك بهدف زعزعة حالة الاتحاد و الانسجام لدى الجيش الإسلامى، ليتمكن من إنزال ضربته القاصمة فى الوقت المناسب.

و قد كان بنو قريظة يعرفون تفاصيل مسالك المدينة، لأنهم من أهلها، فقيامهم بأى تسلل إليها سوف يربك الوضع فى ساحة القتال بصورة كبيرة و خطيرة.

و قد كان المسلمون يعرفون ذلك، فكانوا يعيشون حالة القلق لو لا هذا الإجراء الذى اتخذه النبى «صلى اللّه عليه و آله».

و مما زاد فى الربط على القلوب، و تهدئة المشاعر، و استقرار الحالة النفسية: أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد جعل حراسا يطوفون فى المدينة، حتى أصبح واضحا ليهود بنى قريظة و لغيرهم: أن أى تحرك سوف ينتهى بنكسة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۹۱

خطيرة لهم.

و قد كان فى التجربة التى قام بها بعضهم للوصول إلى حصن حسان الذى كانت فيه النساء، و انتهت بقتل ذلك الرجل على يد زينب بنت جحش عبرة لهم و بلاغ.

عقد الألوية للحرب:

أما بالنسبة لعقد ألوية الحرب، فإننا نقول:

ألف: بالنسبة للمشركين، فالمؤرخون يقولون: إنهم عقدوا لواءهم فى دار الندوة، و حمله عثمان بن أبى طلحة، و قائد القوم أبو سفيان «۱».

ثم وافى المشركون المدينة، فأنكروا أمر الخندق، و قالوا: ما كانت العرب تعرف هذا «۲».

ب: بالنسبة للمسلمين، يقول المؤرخون: «و كان لواء المهاجرين بيد زيد بن حارثة، و لواء الأنصار بيد سعد بن عبادة، و كان «صلى اللّه عليه

---

(۱) السيرة النبوية لدحلان ج ۲ ص ۲ و راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۰ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۱ و الإمتاع ج ۱ ص ۲۱۸ و عيون الأثر ج ۲ ص ۵۶ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۱۳.

(۲) تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۵۰ و السيرة النبوية لدحلان ج ۲ ص ۵ و راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۴ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۵ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۳۰، و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۷۰ و تفسير القمى ج ۲ ص ۱۸۲ و بحار الأنوار ج ۲ ص ۲۲۴ و نهاية الأرب ج ۱۷ ص ۱۷۳ و الإرشاد للمفيد ص ۵۲ و كشف الغمة للأربلى ج ۱ ص ۲۰۲ و إعلام الورى (ط دار المعرفة) ص ۱۰۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۹۲

و آله» يبعث الحرس على المدينة، خوفا على الذرارى من بنى قريظة» «۱».

و نقول:

إننا لا نهتم لتحريفات المؤرخين هذه، حيث نراهم يتجاهلون الحقيقة الدامغة إرضاء لأسيادهم، و انسياقا مع أهوائهم و عصبياتهم و تعصباتهم البغيضة.

فها هم يهملون هنا ذكر صاحب الراية العظمى للجيش كله و صاحب لواء رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى كل مشهد، و هو على أمير المؤمنين «عليه السلام» مع تصريحهم باسم حامل لواء المهاجرين، و حامل لواء الأنصار.

و نقول هنا:

۱- إنه قد تقدم فى حرب أحد فى فصل: قبل نشوب الحرب، و فى بدر أيضا، طائفة من النصوص التى تضافرت و تواترت فى كتب السيرة و التاريخ و الحديث بالأسانيد الصحيحة و الموثوقة: أن عليا «عليه السلام» هو صاحب لواء وراية النبى «صلى اللّه عليه و آله» فى كل مشهد، و تقدم أن ذلك من فضائله و خصائصه التى اشتهر بها. و هذه حقيقة مؤلمة لمبغضى و شانئى علىّ «عليه السلام» و لأجل ذلك فهم يحاولون تجاهلها، و الدس الرخيص للتشكيك بها، و لو وسعهم الجهر بإنكارها لبادروا إلى ذلك.

---

(۱) المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۱۲ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۳ و راجع ص ۴۸۱ و السيرة النبوية لدحلان ج ۲ ص ۴ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۵ و راجع: إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۲۲۵ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۲۴، و نهاية الأرب ج ۱۷ ص ۱۷۰ و عيون الأثر ج ۲ ص ۵۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۹۳

۲- و قد ورد فى احتجاج الإمام الحسن المجتبى «عليه السلام» على معاوية و ابن العاص، و الوليد الفاسق قوله: «ثم لقيكم يوم أحد، و يوم الأحزاب و معه راية رسول اللّه و معك و مع أبيك راية الشرك» «۱».

۳- روى الحكم بن عتيبة عن مقسم عن ابن عباس، قال: «كانت راية رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» مع على «عليه السلام» فى

المواقف كلها:

يوم بـدر، و يوم أحـد، و يوم حنين، و يوم الأحزاب، و يوم فتح مكة. و كانت راية الأنصار مع سـعد بن عبادة فى المواطن كلها، و يوم فتح مكة، ورايـة المهاجرين مع على «عليه السلام» «۲».

و هذا يدل على أن قولهم: كانت راية المهاجرين يوم الأحزاب مع زيد بن حارثة غير صحيح.

شعار الحرب:

و يقول المؤرخون: كان شعار المهاجرين أيام الخندق: «يا خيل اللّه» «۳».

و قالوا أيضا: كان شعار أصحاب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يوم

---

(۱) كفاية الطالب ص ۳۳۶ و شرح نهج البلاغة للمعتزلى ج ۶ ص ۲۸۹ و الغدير ج ۱۰ ص ۱۶۸ عنه و جمهرة الخطب ج ۲ ص ۲۳.

(۲) إعلام الورى (ط دار المعرفة) ص ۱۹۱.

(۳) إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۲۳۰ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۶۶ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۵ و راجع: السيرة النبوية لدحلان ج ۲ ص ۸ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۲۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۹۴

الخندق و بنى قريظة: حم، لا ينصرون «۱».

و نقول:

لقد رأينا: أن شـعار المسـلمين فى حروبهم مع أعدائهم، سواء فى زمن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أو فى زمن على «عليه السلام» فى حروبه مع البغاة هو: «حم، لا ينصرون»، و كذا عبارة: «يا منصور أمت».

و هاتان الكلمتان لهما دلالاتهما و إيحاءاتهما فى ظرف كهذا حيث إنهما تزرعان الطموح إلى النصـر فى قلب و روح المقاتل المسـلم فيزداد جرأة على القتال و إقـداما على التضـحية، و يتـذرع بالصبر الجميل على ما يواجهه من مكاره يترقب الفرج و الفوز بعـدها بمزيد من الطمأنينـة و الثقة و يكون تحركه فى ساحة القتال و الحالة هذه تحرك الواثق، الذى يريد من خلال تفعيل طاقاته القتالية بحكمة و حنكة و تعقل أن يتجاوز هذا الواقع، الذى يرى فيه

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۳ عن ابن هشام و ص ۴۸۵ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۲۴ و الكافى ج ۵ ص ۴۷ و نهاية الأرب ج ۱۷ ص ۱۷۸ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۷۴ و عيون الأثر ج ۲ ص ۶۲ عن ابن هشام، و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۳۷ و تهذيب سيرة ابن هشام ص ۱۹۴ و السـيرة النبوية لدحلان ج ۲ ص ۸ و زاد المعـاد ج ۲ ص ۱۱۸ و بهجة المحافل و شـرحه ج ۱ ص ۲۷۱ و ۲۷۲ عن الترمـذى، و أبى داود و الوسائل ج ۱۱ ص ۱۰۵ و الكافى ج ۵ ص ۴۶ و ۴۷ و كنز العمال ج ۱۰ ص ۲۹۱ و جوامع السـيرة النبوية ص ۱۵۰ و الإكتفـاء للكلاعى ج ۲ ص ۱۶۹ و السـيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۲۱ و قال: «لعل المراد بالمسـلمين الأنصار، فلا يخالف ما فى الإمتاع، و كان شعار المهاجرين: يا خيل اللّه».

و نقول: إن هذا التوجيه لا يمكن المساعدة عليه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۹۵

وضعا إستثنائيا و نشازا، لا تساعد على استمراره عوامل طبيعية و مقبولة.

ثم إن هـذا الشـعار، حين يبـدأ بواحدة من مفردات الحروف المقطعة التى اختص بها القرآن، فإنه يكون قد أوحى مسـبقا لهذا الإنسان

المؤمن بصدق هذا الوعد الإلهی، الذی یتلفظ به هو نفسه و یطلقه شعارا له فی هذا الوقت بالذات الذی یحتاج إلیه عملیا. فهو شعار یتجه نحو الواقع لیتجسد حقیقة ملموسة له، و یساهم هو فی صنعها و فی بلورتها.

و الأمر الملفت للنظر هنا: أن یکون هذا الیقین قد أیقظته فی نفسه کلمة حم، التی هی رمز التحدی الفکری کما تقدم فی الجزء الثانی من هذا الکتاب مفصلا و قد اقترن هذا التحدی الفکری بالتحدی بالعنف و القتال، کنتیجة طبیعیة لعجز قوی الشرک، و هزیمتها المخزیة و النکراء فی مجال الفکر و المثل و القیم.

و أما بالنسبة للمشرکین، فالأمر سیکون علی عکس ذلک تماما، فإنهم حین یسمعون هذه الکلمة (حم، لا ینصرون) لسوف یتمثلون حالة العجز و السقوط و الهزیمة بکل أنحائها، و بکل مجالاتها، و لسوف تزرع هذه الکلمة الیأس و الفشل فی نفوسهم، فإنها کانت رمز التحدی القرآنی لهم و لکل من هو علی شاکلتهم، بالإضافة إلی إیحاءات أخری- ألمحنا إلیها فیما سبق- کانت إیجابیة بالنسبة لقوی الإیمان و لسوف تکون معکوسة و سلبیة بالنسبة لقوی الشرک و الطغیان.

فلیتأمل المتأمل فیما ذکرناه، و لیتدبره کیف یتحول إلی الضد من ذلک علی قوی الشرک، حتی لا نضطر إلی إعادة تفصیلیة له.

غیر أننا نلمّح هنا إلی نقطة واحدة نضیفها إلی ما سبق، و هی: أن هذا

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۱۰،ص:۲۹۶

الشعار یقول: «لا ینصرون» بصیغة المبنی للمجهول و لم یقل: «لا ینتصرون» ففیه إلماح إلی أن المشرکین لا یملکون معطیات النصر فی أنفسهم فلا بد أن ینتظروا النصر من غیرهم، و لیس ثمة ناصر لهم و لا معین، فهزیمتهم حتمیة لفقدهم مقومات النصر من الجهتین. فالمشرک یری العجز و الفشل الفکری و العقیدی بکلمة حم. کما أنه یتمثل الخواء من أی من القدرات و الطاقات التی تخوله أن یصنع نصرا. فهو مهزوم فی الحالتین، و المؤمن یأتیه النصر من اللّه، و هو علی یقین من هذا النصر. فاجتمع علی قوی الشرک عاملان من عوامل الضعف و لقوی الإیمان عاملان من عوامل القوة.

هذا عدا عن أن الصیغة صیغة إخبار، تعطی: مزیدا من الثقة بتحقق ذلک، حتی کأنه أمر واقع و ملموس، یصح الإخبار عنه بهذه الدرجة من الجزم و الثبات و الطمأنینة.

و لسوف یتیقن المشرکون صدق هذا الوعد، ما دام أنه هدی قرآنی استقر فی نفوسهم: إنهم أعجز و أصغر من أن یشککوا فی أی من آیاته و حقائقه.

و هذا درس نافع نستفیده من هذا الشعار. نسأل اللّه التوفیق للتوفر علی دراسة هذا الموضوع بصورة أتم و أوفی، و أوضح و أجلی و أصفی، و هو الموفق و الهادی إلی سواء السبیل.

عدة و عدد المسلمین:

هذا و قد اختلفت کلمات المؤرخین فی عدة و عدد الجیش الإسلامی الذی واجه الأحزاب فی حرب الخندق.

فأما بالنسبة للعدة، فقد ذکر ابن سعد: «أنه کان مع المسلمین ستة

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۱۰،ص:۲۹۷

و ثلاثون فرسا» «۱» و أما بالنسبة إلی العدد فنشیر إلی الأقوال التالیة:

۱- قیل کان المسلمون سبع مئة، و هو قول ابن إسحاق «۲».

و قد حکم البعض علی ابن إسحاق بأنه: «و هم فی ذلک» و غلط. و زعم ابن القیم: أن منشأ الغلط هو ارتکاز عدد من خرج معه «صلی اللّه علیه و آله» فی أحد «۳».

۲- قیل: کانوا ألفا أو نحوها، و هو صریح روایة البخاری و مسلم عن جابر. و صرح به قتادة أیضا «۴».

۳- و قيل: تسع مئة أضاف ابن خلدون قوله: «و هو راجل بلا شك».

و قال ابن حزم: «و هو الصحيح الذى لا شك فيه، و الأول و هم» «۵».

---

(۱) المواهب اللدنيـة ج ۱ ص ۱۱۰ و تاريـخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۰ عن ابن سـعد، و السـيرة النبويـة لدحلان ج ۲ ص ۲ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۵۷.

(۲) تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۵۰ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۴ عن ابن إسحاق.

و راجع: إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۲۲۴ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۲۴ و راجع ص ۵۶۵ و تفسير القمى ج ۲ ص ۱۷۷ و البحار ج ۲۰ ص ۲۱۸ عنه و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۷.

(۳) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۴ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۲۴ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۲۲۴ و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۷.

(۴) راجع: وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۰۱ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۰۱ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۰ و السيرة النبوية لدحلان ج ۲ ص ۲ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۶۵ و حدائق الأنوار ج ۱ ص ۲۱۲ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۳۹۴.

(۵) راجع: العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ قسم ۲ ص ۲۹ و راجع: إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۲۲۵ و جوامع السيرة النبوية ص ۱۴۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۹۸

يريد بالأول: القول بأنهم كانوا ألفا.

۴- و ذهب أكثر المؤرخين إلى أنهم كانوا ثلاثة آلاف أو نحوها «۱».

و نقول:

ألف: إننا نحتمل قويا: أن يكون القول الثالث هو نفس قول ابن إسحاق، لكن النساخ صحّفوا سبعمئة بتسعمئة، لتقارب رسم الخط فى الكلمتين، و عدم

---

(۱) إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۲۲۴ و ۲۲۵ و مجمع البيان ج ۸ ص ۳۴۲ و البحار ج ۲۰ ص ۲۰۰ عنه، و راجع هذا القول فى المصادر التالية: سيرة مغلطاى ص ۵۶ و التنبيه و الإشراف ص ۲۱۶ و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۰۱ و ج ۴ ص ۱۲۰۴ عن المطرى عن ابن إسحاق و الثقات ج ۱ ص ۲۶۶ و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۸۰ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۳۱ و الإكتفاء للكلاعى ج ۲ ص ۱۶۲ و الوفاء ص ۶۹۳ و مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۱۹۷ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ج ۲ ص ۲۳۳ و ۲۳۶ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۳۶ و ۲۳۷ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ قسم ۲ ص ۲۹ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۹۷ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۰۲ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۱۰ و ۱۱۲ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۰ و ۴۸۱ و ۴۸۳ و بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۶۴ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۴ و السيرة النبوية لدحلان ج ۲ ص ۲ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۲۴ و ۵۶۵ و كشف الغمة للأربلى ج ۱ ص ۱۹۷ و شرح النهج للمعتزلى (منشورات دار مكتبة الحياة) ج ۴ ص ۲۶۷ و البحار ج ۲۰ ص ۲۷۲ عن المناقب و نهاية الأرب ج ۱۷ ص ۱۶۸ و عيون الأثر ج ۲ ص ۵۷ و ۵۸ و التهذيب سيرة ابن هشام ص ۱۹۰ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۴۲۸ و البدء و التاريخ ج ۴ ص ۲۱۷ و مختصر التاريخ ص ۴۳ و حبيب السير ج ۱ ص ۳۵۹ و جوامع السيرة النبوية ص ۱۴۹ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۰۱ و ۳۰۷ و سعد السعود ص ۱۳۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۲۹۹

وجود النقط فى السابق، و ما أكثر ما يقع الاشتباه و الاختلاف بين سبع و تسع، من أجل ذلك.

ب: إننا نرجح قول ابن إسحاق، و إن حكم عليه البعض، كالحلبى و غيره، بأنه قد وهم أو غلط فى ذلك.

و لو تنزلنا عن ذلك، فإننا نأخذ بالقول الثانى، أما القول بأنهم كانوا ثلاثة آلاف، فلا مجال للاعتماد عليه، و ذلك للأمور التالية:

۱- ما تقدم فى قصة إطعام جابر لأهل الخندق جميعا و كانوا سبع مئة رجل، أو ثمان مئة، أو ألف رجل. فراجع حديث جابر المتقدم فى الفصل السابق، و راجع المصادر التى أشير إليها فى الهامش هناك.

۲- روى عن الإمام الصادق «عليه السلام»: أنه «صلى اللّه عليه و آله» شهد الخندق فى تسع مئة رجل «۱». و يحتمل أن تكون كلمة تسع تصحيفا لكلمة سبع أيضا.

۳- روى: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قال: اكتبوا لى من تلفظ بالإسلام. فكتب حذيفة بن اليمان له ألفا و خمس مئة رجل.

و فى نص آخر: و نحن ما بين الست مئة إلى السبع مئة.

قال الدمامينى: قيل: كان هذا عام الحديبية «۲».

و يرى البعض: أن المسلمين كانوا فى أحد بعد رجوع المنافقين سبع مئة

---

(۱) الكافى ج ۵ ص ۴۶ و الوسائل ج ۱۱ ص ۱۰۵.

(۲) راجع: صحيح البخارى ج ۲ ص ۱۱۶ و صحيح مسلم ج ۱ ص ۹۱ و مسند أحمد ج ۵ ص ۳۸۴ و سنن ابن ماجة ج ۲ ص ۱۳۳۷ و التراتيب الإدارية ج ۱ ص ۲۲۰ و ۲۲۳ و ج ۲ ص ۲۵۱ و ۲۵۲ و عن المصنف لابن أبى شيبة ج ۱۵ ص ۶۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۳۰۰

رجل، و بين أحد و الخندق سنة أو أكثر بقليل، و يبعد أن يزيد المسلمون خلال سنة واحدة هذه الزيادة الكبيرة، بحيث يصلون إلى ثلاثة آلاف «۱».

و ما جرى فى الخندق يوضح: أن عدد سكان المدينة لا يصل إلى الخمسة آلاف نسمة بما فى ذلك الأطفال و النساء.

عدد المشركين:

و وافى المشركون المدينة، و أحاطوا بها من جميع جهاتها و اشتد الحصار على المسلمين «۲». و قد اختلفت الأقوال فى عدد المشركين، و ذلك على النحو التالى:

۱- قال المسعودى: «سارت إليه قريش، و غطفان، و سليم، و أسد، و أشجع، و قريظة، و نضير، و غيرهم من اليهود، فكان عدة الجميع أربعة و عشرين ألفا، منها قريش و أتباعها أربعة آلاف» «۳».

۲- و قال ابن شهر آشوب: «كانوا ثمانية عشر ألف رجل» «۴».

۳- و قال ابن الدبيع: كانوا أحد عشر ألفا «۵».

و ذكر فى موضع آخر: أنهم كانوا عشرة آلاف. و لعله حين عد معهم

---

(۱) الرسول العربى و فن الحرب، هامش ص ۲۳۸.

(۲) راجع: حدائق الأنوار ج ۲ ص ۵۸۷.

(۳) التنبيه و الإشراف ص ۲۱۶.

(۴) مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۱۹۷ و البحار ج ۲۰ ص ۲۷۲ عنه.

(۵) حدائق الأنوار ج ۱ ص ۵۲ و يفهم ذلك من الزمخشرى فى الكشاف ج ۳ ص ۵۲۶ و عنه فى سعد السعود ص ۱۳۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۳۰۱

بنى قريظة ذكر الرقم الأول، و حين غض النظر عنه عدهم عشرة آلاف.

۴- إن عدد جيش المشركين بجميع فئاته كان عشرة آلاف: قريش و كانوا أربعة آلاف، و من أجابهم من بنى سليم، و أسلم، و أشجع، و بنى مرة، و كنانة، و فزارة، و غطفان «۱».

۵- إنهم كانوا مع يهود بنى قريظة و النضير زهاء اثنى عشر ألفا «۲».

۶- و لكننا نجد آخرين من المؤرخين يتحدثون عن هذا الأمر بطريقة تؤيد أحد القولين الأولين، فقد قال ابن الوردى و غيره:

«أقبلت قريش فى أحابيشها، و من تبعها من كنانة فى عشرة آلاف، و أقبلت غطفان و من تبعها من أهل نجد» ثم ذكر انضمام بنى قريظة

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۰ و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۰۱ عن ابن إسحاق و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۴۴ و ۴۴۵ و تفسير القمى ج ۲ ص ۱۷۷ و ۱۷۶ و عيون الأثر ج ۲ ص ۵۷ و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۷ و بحار الأنوار ج ۲۰ ص ۲۱۷ و نهاية الأرب ج ۱۷ ص ۱۶۸ و البدء و التاريخ ج ۴ ص ۲۱۷ و سيرة مغلطاى ص ۵۶.

و راجع: الوفاء ص ۶۹۳ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۲۳۳ و ۲۳۶ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۴۲۸ و راجع: العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ ق ۲ ص ۲۹ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۰۱ و ۳۰۷ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۱۰ و السيرة النبوية لدحلان ج ۲ ص ۲ و ۴ و بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۶۴ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۱ و حدائق الأنوار ج ۲ ص ۵۸۷ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۱۴ و منها ج السنة ج ۴ ص ۱۷۰.

(۲) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۴.

إليهم «۱».

۷- ثم هناك من يقول: إن عدد جيش الأحزاب كان أربعة آلاف فقط «۲».

و لا نشك فى أن هذا القول ناظر إلى حشود قريش، أو أن بعض المؤرخين رآهم يذكرون أن عدد الجمع القريشى كان هذا المقدار فتوهم أنه يقصد بيان عدد الجيش كله.

عدة جيش الشرك:

و أما بالنسبة لعدة أهل الشرك، فقد قال المسعودى: إنه كان «معهم ثلاث

---

(۱) تاريخ ابن الوردى ج ۱ ص ۱۶۱ و كشف الغمة للأربلى ج ۱ ص ۱۹۷ و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۸۰ و المختصر فى أخبار البشر ج ۱ ص ۱۳۵ و راجع المصادر التالية: الإكتفاء للكلاعى ج ۲ ص ۱۶۲ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۳۰ و ۲۳۱ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۳۶ و ۲۳۷ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۹۷ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۰۲ والبدء و التاريخ ج ۴ ص ۲۱۷ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۳ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۱۲ و مختصر التاريخ ص ۴۳ و جوامع السيرة النبوية ص ۱۴۹ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۰۷ و مجمع البيان ج ۸ ص ۳۴۱ و ۳۴۲ و البحار ج ۲۰ ص ۲۰۰ و تهذيب سيرة ابن هشام ص ۱۹۰ و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۰۱.

(۲) راجع هذا القيل فى: وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۰۱ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۰۱ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۰ و ۳۱۱ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۰ و السيرة النبوية لدحلان ج ۲ ص ۲ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۲ ص ۳۹۴ عن قتادة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۳۰۳

مئة فرس، و ألف و أربع مئة بعير، و قائدهم أبو سفيان صخر بن حرب» «۱».

و ذكر آخرون: أنه كان معهم ألف و خمس مئة بعير، و ثلاث مئة فرس «۲».

و ذكر الديار بكرى: أنهم كانوا أربعة آلاف معهم ثلاث مئة فرس و ألف بعير، و عند غيره: ألف و خمس مئة بعير «۳».

و يظهر من المقريزى: أنه كان مع المشركين بالإضافة إلى ألف و خمس مئة بعير: ثلاث مئة فرس مع قريش، و ثلاث مئة أخرى مع غطفان «۴».

و فى كلام حيى بن أخطب لكعب بن أسد: «و الخيل ألف فرس و سلاح كثير» «۵».

و صرح النويرى: أن غطفان و فزارة كان معهما ألف بعير «۶».

و من الواضح: أن لا مجال لتحديد الرقم الحقيقى لذلك كله و لا لغيره.

لكن مما لا شك فيه: أن هذا العرض للنصوص و الأقوال يوضح مدى التفاوت فيما بين عدة و عدد المسلمين، و أعدائهم من الأحزاب الذين

---

(۱) التنبيه و الإشراف ص ۲۱۶.

(۲) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۰ و ۳۱۱ و السيرة النبوية لدحلان ج ۲ ص ۲ و الإمتاع ج ۱ ص ۲۱۸ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۱۳ و نهاية الأرب ج ۱۷ ص ۱۶۷ و حبيب السير ج ۱ ص ۳۵۹.

(۳) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۰ و عيون الأثر ج ۲ ص ۵۶ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۲۳۳ و لم يذكر عدد الإبل.

(۴) إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۲۱۸ و ۲۱۹.

(۵) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۵۵.

(۶) نهاية الأرب ج ۱۷ ص ۱۶۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۳۰۴

جاؤوا من كل حدب و صوب.

معنويات جيش الشرك:

و قد كان من الواضح: أن تفوق المشركين فى العدد و العدة، ثم ما كان من تحالفهم مع بنى قريظة الذين كانوا فى الجهة الأخرى للمدينة،

أضف إلى ذلك: هذا الإجماع الحاصل من مختلف القبائل العربية،

و كذلك بسبب الإعلام المسموم الذى أعقب حرب أحد، و صوّر لأهل الشرك أنهم قد حققوا فيها نصرا كبيرا،

و بسبب الحقد الذى يتغلغل فى نفوس الكثيرين منهم على الإسلام و المسلمين،

نعم .. إنه بسبب ذلك كله، و سواه مما لم نذكره، كان جيش الشرك يعيش فى بدايات حصاره للمسلمين حالة من الانتعاش الروحى، و الشعور بالقوة و التفوق، و بإمكانية تحقيق بعض ما كانوا يصبون إليه.

و لكن الأمر لم يدم على هذا الحال طويلا فقد تبخرت الآمال و حل محلها الشعور بالخيبة، و تلاشت حالة الانتعاش، لتخلفها حالة التململ و الشعور بالضيق.

حتى إذا جاءت ضربة على القاصمة لجيش الشرك، تبدل كل شىء ليواجه هذا الجيش حالة من الرعب و الخوف، و تصبح تلك

الكثرة فى العدد و فى العدة عبئا ثقيلا، و مصدر متاعب لذلك الجيش بالذات. فقد أصبحت العدة من أفراس و من وسائل نقل- أبعرة- بسبب طول المدة، و بسبب الجدب أمرا يحسن التخلص، أو على الأقل يحسن التخفيف منه و تحجيمه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۳۰۵

كما إن إجماع القبائل لم ينجح فى توحيد القيادة لهم، و لا استطاع أن يحجب الروح القبلية، و يمنعها من الهيمنة على مسيرة التحرك، حتى فى مواقع القتال.

فكانت كثرة هذا الجيش تستبطن التمزق، و كان تكثّر الانتماءات فى الولاء و الطاعة، يحمل معه بذور الفساد و الإفساد، و الخلاف و الشقاق لأتفه الأسباب.

أضف إلى ما تقدم: أن الإعلام المزور و المسموم قد أوجب انتفاخا كاذبا، و أذكى توقعات كبيرة، يعلم قادة الأحزاب أنفسهم أنهم أعجز عن أن ينالوها، أو أن يحققوا أدناها.

و بعد ما تقدم: فهل يمكن لجيش كهذا أن يقوم بتجربة حربية ضد المسلمين، مع أنه لا يمكن ضمان نتائجها، لا سيما بعد أن عرف و رأى ميدانيا أن الأمور قد أصبحت على غاية من التعقيد و الخطورة، و لم يكن قد حسب لكل هذه المستجدات أى حساب؟

و بعد كل ما تقدم: فإن علينا أن لا ننسى أن تلك القبائل كانت تفتقر إلى ترسيخ عامل الثقة فيما بينها. و لم تكن ثمة ضمانات حقيقية لوفاء بنى قريظة للمشركين، و لا العكس، مع علمهم: أن الذى يجمع كل هذه المتفرقات هو الخوف من التفرق، و ليس شيئا غير ذلك ..

جيش أهل الإيمان:

و أما بالنسبة لجيش أهل الإيمان فإن الأمر يختلف تماما، فهو يرى أن وجوده معرض للاستئصال و الفناء، و لا بد له من الدفاع، و لن يجد ملجأ له

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۳۰۶

إلا بذل الجهد، و إلا الجهاد من أجل البقاء.

كما أن هذا الجيش ينطلق فى حركته و فى جهاده من قاعدة إيمانية تجمع بين متفرقاته، و تؤلف بين مختلفاته.

و هو و إن كان قد تعرض- فى بادئ الأمر- لهزة من نوع ما حين صار المنافقون و ضعفاء الإيمان يتسللون و يتركون مواضعهم بأعذار مختلفة، و لكن حزم القيادة، و هيمنتها، و حسن تدبيرها لم يفسح المجال للتأثر بالشائعات، و استطاعت هذه القيادة، حين فضحت أمر هؤلاء المنافقين بالوحى القرآنى، و حين ظهرت الكرامات الباهرة على يدها، و أطلقت البشارات بالنصر الأكيد، استطاعت أن تعيد للجو الإيمانى صفاءه و نقاءه، و تحصنه من كل ما من شأنه أن يشيع روح التخاذل، و يزرع اليأس و الخوف فى نفوس المخلصين و المؤمنين، و قطعت الطريق على أى كان، من أن يتخذ موقفا، أو يتصرف تصرفا من شأنه أن يعطى للعدو أية فرصة من أى نوع كانت.

الغطرسة القرشية:

و عن على «عليه السلام» قوله: «فقدمت قريش، فأقامت على الخندق محاصرة لنا، ترى فى أنفسها القوة و فينا الضعف، ترعد و تبرق، و رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يدعوها إلى اللّه عزوجل، و يناشدها بالقرابة و الرحم، فتأبى، و لا يزيدها ذلك إلا عتوا» «۱».

---

(۱) الخصال ج ۲ ص ۶۸، باب السبعة، و البحار ج ۲۰ ص ۲۴۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۳۰۷

و نقول:

ليس غريبا على قريش هذا العتو، و هذه الغطرسة، ما دامت تقيس الأمور بمقاييس مادية، و ترى القوة فى أنفسها، و الضعف فى المسلمين، الذين جاءت لاستئصالهم، و إبادة خضرائهم، و لكن هذا العتو و تلك الغطرسة سرعان ما تلاشت، ليحل محلها الضعف و الخنوع، و الخيبة القاتلة، كما سنرى.

و ليس غريبا أيضا: أن نجد النبى «صلى اللّه عليه و آله» و من موقع الشعور بالمسؤولية يعتمد الأسلوب الإنسانى، و يستثير العاطفة الناشئة عن صلات القربى و لحمة النسب، و التى تكون لها هيمنة حقيقية على الإنسان و لا بد أن تجتاح هزاتها الجامحة كل كيانه، و كل وجوده. ثم هو «صلى اللّه عليه و آله» يقرن ذلك بالدعوة إلى اللّه عز و جل، الذى هو مصدر الخير و القوة و البركات.

رسالة تهديد من أبى سفيان:

و يقال: إن أبا سفيان كتب إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله» مهددا إياه بما جمعه من الأحزاب لقتاله، و لعله قد كتب هذا الكتاب بعد وصوله إلى المدينة و حصول المواجهة، و الكتاب هو:

أما بعد .. فإنك قد قتلت أبطالنا، و أيتمت الأطفال، و أرملت النساء، و الآن قد اجتمعت القبائل و العشائر يطلبون قتالك، و قلع آثارك و قد جئنا إليك نريد نصف نخل المدينة، فإن أجبتنا إلى ذلك و إلا أبشر بخراب الديار، و قلع الآثار.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۳۰۸ تجاوبت القبائل من نزارلنصر اللات فى بيت الحرام

و أقبلت الضراغم من قريش‌على خيل مسومة ضرام فرد عليه النبى «صلى اللّه عليه و آله» بالرسالة التالية:

بسم اللّه الرحمن الرحيم، و صل كتاب أهل الشرك و النفاق، و الكفر و الشقاق، و فهمت مقالتكم، فواللّه، ما لكم عندى إلا أطراف الرماح، و شفار الصفاح. فارجعوا ويلكم عن عبادة الأصنام، و أبشروا بضرب الحسام، و بفلق الهام، و خراب الديار، و قلع الآثار، و السلام على من اتبع الهدى» «۱».

قال الشيخ محمد أبى زهرة: «و نشك فى نسبة هذا الكتاب إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله» لما فيه من السجع» «۲».

و لا نرى: أن السجع فى الكتاب يبرر الشك فيه، فإن خطب الزهراء، و خطب على «عليهما السلام» لم تخل من ذلك، كما يظهر لمن راجعها.

---

(۱) خاتم النبيين ج ۲ ص ۹۲۰ و ۹۲۱ عن كتاب السيرة لابن جرير الطبرى

(۲) خاتم النبيين ص ۹۲۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۳۰۹

الفصل السادس: غدر بنى قريظة

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۳۱۱

بنو قريظة ينقضون العهد:

يقول المؤرخون: إن بنى قريظة كانوا أصحاب حصون بالمدينة و موضعهم من المدينة على قدر ميلين، و هو الموضع الذى يسمى: بئر بنى المطلب، و عددهم سبع مئة مقاتل «۱».

و صاحب عقدهم و عهدهم كعب بن أسد القرظى، و كان وادع رسول اللّه على قومه و عاهده.

و كان حيى بن أخطب سيد بنى النضير، يقول لقريش فى مسيره معهم:

إن قومى بنى قريظة معكم، و هم أهل حلقة وافرة، و هم سبع مئة مقاتل و خمسون مقاتلا.

فلما دنوا قال له أبو سفيان: ائت قومك حتى ينقضوا العهد الذى بينهم و بين محمد «۲».

فلما جاء حيى إلى بنى قريظة كرهوا دخوله إلى دارهم، فكان أول من لقيه غزال بن سموأل، فقال له حيى: قد جئتك بما تستريح به من محمد.

---

(۱) تفسير القمى ج ۲ ص ۱۷۷ و البحار ج ۲ ص ۲۱۷ عنه.

(۲) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۵ و ۳۱۶ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۲۲۵ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۵۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۳۱۲

هذه قريش قد حلت وادى العقيق، و غطفان بالزغابة.

قال غزال: جئتنا- و اللّه- بذل الدهر.

قال حيى: لا تقل هذا.

ثم توجه إلى باب كعب بن أسد فدق عليه «۱»، فأغلق كعب دونه باب الحصن، و قال: بينى و بين محمد عقد، و لن أنقض ما بينى و بينه.

و فى نص آخر: «لم أر منه إلا وفاء و صدقا».

زاد الواقدى: «و اللّه، ما أخفر لنا ذمة، و لا هتك لنا سترا، و لقد أحسن جوارنا».

و عند البيهقى: «لم أر رجلا أصدق و لا أوفى من محمد و أصحابه، و اللّه، ما أكرهنا على دين، و لا غصبنا مالا الخ ..».

فقال حيى: افتح الباب أكلمك.

فقال كعب: ما أنا بفاعل.

فقال: و اللّه، إن أغلقت دونى الباب إلا على جشيشتك «۲» أن آكل معك منها.

فأحفظه حتى فتح له، فقال: ويحك يا كعب (جئتك بعز الدهر، و ببحر طام) جئتك بقريش على قادتها و سادتها، حتى أنختهم بالمدينة، و جئتك بغطفان على قادتها و سادتها، و قد عاهدونى ألا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا و من معه. فتأبّى كعب، و قال: جئتنى بذل الدهر، بجهام هراق ماؤه

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۵۵.

(۲) الجشيشة هى: البر يطحن غليظا.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۳۱۳

و برعد و ببرق ليس فيه شىء.

زاد الواقدى قوله: «و أنا فى بحر لجى لا أقدر على أن أريم دارى، و مالى معى و الصبيان و النساء» فدعنى و محمدا، و ما أنا عليه، فلم أر منه إلا وفاء و صدقا.

فلم يزل يفتله فى الذروة و فى الغارب، حتى أعطاه عهدا من اللّه و ميثاقا أن يكون معه، على أنه إن رجعت تلك الجموع خائبة و لم يقتلوا محمدا: أن يرجع معه إلى حصنه، يصيبه ما أصابه. و نقض كعب ما بينه و بين رسول اللّه، و برئ مما كان عليه له «۱».

---

(۱) راجع: تجارب الأمم ج ۱ ص ۱۴۹ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۵۵ و ۴۵۶ و تاريخ ابن الوردى ج ۱ ص ۱۶۱ و بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۶۵ و شرح بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۶۵ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۱۲ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۳ و ۴۸۴ و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۷ و حبيب السير ج ۱ ص ۳۶۰ و جوامع السيرة النبوية ص ۱۴۹ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۳۱ و ۲۳۲ و تهذيب سيرة ابن هشام ج ۳ ص ۱۹۰ و ۱۹۱ و السيرة النبوية لدحلان ج ۲ ص ۴ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۶ و ۳۱۵ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۲۲۶ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۴۰۰ و ۴۰۱ و ۴۲۸ و ۳۲۹ و راجع: وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۰۳ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۲۶ و ۵۲۷ و مجمع البيان ج ۸ ص ۳۴۲ و البحار ج ۲۰ ص ۲۰۰ و ۲۰۱ و ۲۲۱ و ۲۲۳ و نهاية الأرب ج ۱۷ ص ۱۷۰ و ۱۷۱ و عيون الأثر ج ۲ ص ۵۹ و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۸۰ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۳۷ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۰۳ و راجع: تفسير القمى ج ۲ ص ۱۷۹ و ۱۸۱ و الإكتفاء ج ۲ من ۱۶۳ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۹۸ و ۱۹۹ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۲۳۶ و ۲۳۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۳۱۴

«و مزقوا الصحيفة التى كان فيها العقد، و جمع رؤساء قومه و هم:

الزبير بن مطا (باطا)، و شاس (نباش) بن قيس، و عزال بن ميمون (سموأل)، و عقبة بن زيد (و كعب بن زيد) و أعلمهم بما صنع من نقض العهد، و شق الكتاب الذى كتبه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فلحم الأمر لما أراد اللّه من هلاكهم. و كان حيى بن أخطب فى اليهود يشبه بأبى جهل فى قريش».

و عند القمى: غزال بن شمول و ياسر بن قيس، و رفاعة بن زيد، و الزبير بن باطا «۱».

و قال البعض: إن الزبير بن باطا كان شيخا كبيرا، مجربا، قد ذهب بصره، و قد قال لهم: إنه قرأ التوراة، و وجد فيها: أنه يبعث نبى فى آخر الزمان فى مكة، و يهاجر إلى المدينة، و ذكر لهم صفته.

فادّعى حيى بن أخطب: أن هذا النبى هو من بنى إسرائيل و هذا من العرب. و لا يكون بنو إسرائيل أتباعا لولد إسماعيل أبدا لأن اللّه قد فضلهم على الناس جميعا، ثم ادّعى أن محمدا «صلى اللّه عليه و آله» ساحر، و لم يزل حتى أقنعهم بنقض العهد، فنقضوه «۲».

و يقول نص آخر: «و وعظهم عمرو بن سعدى، و خوفهم سوء فعالهم،

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۶ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۲۲۶ و تفسير القمى ج ۲ ص ۱۸۰ و بحار الأنوار ج ۲۰ ص ۲۲۱ و ۲۲۲ عنه. و راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۵۶ و ۴۵۷.

(۲) راجع: تفسير القمى ج ۲ ص ۱۸۰ و ۸۱ و بحار الأنوار ج ۲۰ ص ۲۲۲ و ۲۲۳ عنه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۳۱۵

و ذكرهم ميثاق رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و عهده، و قال لهم: إن لم تنصروه، فاتركوه و عدوه، فأبوا، و خرج إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» من بنى قريظة بنو سعنة: أسد، و أسيد و ثعلبة، فكانوا معه، و أسلموا.

و أمر كعب بن أسد حيى بن أخطب: أن يأخذ لهم من قريش، و غطفان رهائن تكون عندهم» «۱»، «لئلا ينالهم ضيم، إن هم رجعوا و لم يناجزوا محمدا، قالوا: و تكون الرهائن تسعين رجلا- من أشرافهم: فنازلهم حيى على ذلك، فعند ذلك نقضوا العهد، و مزقوا الصحيفة التى فيها العقد، إلا بنى سعنة» «۲».

لا بد من التثبت:

«و بلغ رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ذلك فغمه غما شديدا، و فزع أصحابه» «۳»، و يقال: إن الذى أبلغ النبى ذلك هو عمر بن الخطاب، فاشتد الأمر على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و شق عليه ذلك «۴»، فقال: حسبنا اللّه، و نعم الوكيل.

فبعث سعد بن معاذ، و سعد بن عبادة، و خوات بن جبير، و عبد اللّه بن رواحة.

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۲۷ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۰۳ و راجع ص ۱۳ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۴۰۱.

(۲) البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۰۳.

(۳) تفسير القمى ج ۲ ص ۱۸۱ و بحار الأنوار ج ۲۰ ص ۲۲۳ عنه.

(۴) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۶.

و راجع: إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۲۲۷ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۲۷ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۵۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۳۱۶

و بعض النصوص: «لم تذكر الأخيرين و ذكرت بدلهما أسيد بن حضير» «۱» يستخبرون الأمر، فوجدوهم مكاشفين بالغدر، و النيل من رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فشاتمهم سعد بن معاذ و كانوا أحلافه، و انصرفوا.

و كان رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قد أمرهم إن وجدوا الغدر حقا أن يخبروه تعريضا، لئلا يفتوا فى أعضاد الناس، فلما جاؤوا إليه قالوا: يا رسول اللّه، عضل و القارة. يريدون غدرهم بأصحاب الرجيع» «۲».

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۶ و راجع: إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۲۲۷ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۵۸ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۲۷ و تفسير القمى ج ۲ ص ۱۸۱ و بحار الأنوار ج ۲۰ ص ۲۲۳ عنه، و فيهما: «فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لسعد بن معاذ، و أسيد بن حصين، و كانا من الأوس. و كانت بنو قريظة حلفاء للأوس»، و الظاهر: أن كلمة «حصين» هى تصحيف: حضير. و ذلك كثير.

(۲) العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ ق ۲ ص ۲۹ و ۳۰ و راجع المصادر التالية: بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۶۵ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۱۲ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۴ و السيرة النبوية لدحلان ج ۲ ص ۵ و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۷ و جوامع السيرة النبوية ص ۱۴۹ و الإكتفاء للكلاعى ج ۲ ص ۱۶۴ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۹۹ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۲۳۷ و عيون الأثر ج ۲ ص ۵۹ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۳۲ و ۲۳۳ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۶ و ۳۱۷ و إمتاع الاسماع ج ۱ ص ۲۲۷ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۲۷ و تهذيب سيرة ابن هشام ص ۱۹۱ و ۱۹۲ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۴۲۹ و ۴۳۰ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۳۸ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۰۳ و ۱۰۴ و تفسير القمى ج ۲۰ ص ۱۸۱ و بحار الأنوار ج ۲۰ ص ۲۲۳ و ۲۰۱ و مجمع البيان ج ۸ ص ۳۴۲ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۵۸ و ۴۵۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۳۱۷

و قال ابن إسحاق و آخرون: «إن الذى شاتمهم هو سعد بن عبادة.

و كان رجلا فيه حدة، فقال ابن معاذ: دع عنك مشاتمتهم، فما بيننا و بينهم أربى من المشاتمة» «۱».

و الذى شاتم ابن عبادة هو نباش بن قيس «۲».

و قال أسيد بن حضير لكعب: «أتسب سيدك يا عدو اللّه؟! ما أنت له بكفؤ يا بن اليهودية، و لتولينّ قريش إن شاء اللّه منهزمين، و

تترككك فى عقر دارك، فنسير إليك، فننزلك من جحرك هذا على حكمنا» «۳».

و قال موسى بن عقبة: «فدخلوا معهم حصنهم، فدعوهم إلى الموادعة و تجديد الحلف، فقالوا: الآن و قد كسر جناحنا و أخرجهم؟ (يريدون بنى النضير). و نالوا من رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فجعل سعد بن عبادة يشاتمهم فأغضبوه فقال له سعد بن معاذ: إنا و اللّه ما جئنا لهذا، و لما بيننا أكبر من المشاتمة.

ثم ناداهم سعد فقال: إنكم قد علمتم الذى بيننا و بينكم يا بنى قريظة،

---

(۱) راجع: شرح بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۶۵ عن البغوى، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۴ و عيون الأثر ج ۲ ص ۵۹ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۶ و ۳۱۷ عن الشيخين و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۲۷ و مجمع البيان ج ۸ ص ۳۴۲ و بحار الأنوار ج ۲۰ ص ۲۰۱ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۵۸.

و نقل فى البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۰۴ عن ابن إسحاق عكس ذلك.

(۲) راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۲۲۷ عن ابن عقبة، و الواقدى، و ابن عائذ، و ابن سعد.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۲۷ و ۵۲۸ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۵۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۳۱۸

و أنا خائف عليكم مثل يوم بنى النضير، أو أمرّ منه.

فقالوا: أكلت ... «۱» أبيك.

فقال: غير هذا من القول كان أجمل بكم و أحسن».

إلى أن قال: «فأمرهم بكتمان خبرهم» «۲».

و عند القمى: أنه لما رجع سعد بن معاذ و أسيد إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله» و أخبراه بنقض قريظة، قال «صلى اللّه عليه و آله»: «لعناء، نحن أمرناهم بذلك»، و ذلك أنه كان على عهد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» عيون لقريش يتجسسون خبره «۳».

و فى نص آخر: أنهم لما قالوا للنبى «صلى اللّه عليه و آله»: عضل و القارة، قال «صلى اللّه عليه و آله»: «اللّه أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين» «۴».

أو قال: «أبشروا بنصر اللّه و عونه» «۵».

---

(۱) كلمة يستقبح التصريح بها.

(۲) البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۰۴ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۴۰۳.

(۳) تفسير القمى ج ۲ ص ۱۸۱ و البحار ج ۲۰ ص ۲۲۳ عنه.

(۴) راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۴ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۷ و السيرة النبوية لدحلان ج ۲ ص ۵ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۳۸ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۰۴ و مجمع البيان ج ۸ ص ۳۴۲ و بحار الأنوار ج ۲۰ ص ۲۰۱ و عيون الأثر ج ۲ ص ۶ و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۸ و الإكتفاء للكلاعى ج ۲ ص ۱۶۴ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۲۳۷.

(۵) إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۲۲۷ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۲۸ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۵۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۳۱۹

زاد البعض قوله: «إنى لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق، و آخذ المفتاح و ليهلكن كسرى و قيصر، و لتنفقن أموالهم فى سبيل اللّه. يقول ذلك حين رأى ما بالمسلمين من الكرب، ثم تقنع الخ ..» «۱».

و يقول الحلبى إنه قال: «نصرة اللّه و عونه، و تقنع بثوبه و اضطجع، و مكث طويلا، فاشتد على الناس البلاء و الخوف حين رأوه «صلى اللّه عليه و آله» اضطجع، ثم رفع رأسه و قال: أبشروا بفتح اللّه و نصره» «۲».

ثم إنه قد بقيت لنا مع النص المتقدم وقفات.

و نحن نلخصها فى المطالب التالية:

النزعة العنصرية لدى اليهود:

أول ما يستوقفنا هنا: الطريقة التى أحبط بها حيى مقالة الزبير بن باطا حول نبى تحدثت عنه التوراة، يبعث فى مكة، و يهاجر إلى المدينة.

فإنه ضرب على الوتر الحساس لدى اليهود، حين طرح لهم مقولة: أن هذا النبى لا بد أن يكون إسرائيليا، مستندا إلى مقولة ترتكز على النزعة العنصرية لدى اليهود، حيث قال لهم: لا يكون بنو إسرائيل أتباعا لولد إسماعيل الخ ..

و قد أشرنا إلى هذا الموضوع بصورة أوسع فى كتابنا: «سلمان الفارسى

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۲۸.

(۲) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۷ و راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۲۸ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۰۴ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۵۹ دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۴۰۳ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۹۹ و ۲۰۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۳۲۰

فى مواجهة التحدى».

وفاء اليهود:

و قد اتضح أيضا: أن اليهودى حين يلتزم بعهده، فإنه لا ينطلق فى ذلك من شهامة، و لا كرامة و لا نبل، و لا لأجل أنه يلتزم بشرف الكلمة .. و إنما لأنه يرى أن نقضه له سوف يلحق به ضررا من نوع ما؛ فإذا اطمأن إلى عدم وجود ضرر فى ذلك فإنه يبادر إليه، دونما وازع أو رادع.

و قد رأينا: أن كعب بن أسد ينقض العهد حين تخيل أنه سيحقق ما يتمناه من استئصال محمد «صلى اللّه عليه و آله» و من معه، واقتنع بأن القوة التى حشدتها الأحزاب كافية فى تحقيق هذه الأمنية، و أن المستقبل الرغيد و السعيد سيكون بانتظاره، و أصبح على الأبواب.

طريقة حيى للتأثير على كعب بن أسد:

ويلفت نظرنا هنا: الطريقة التى أثار فيها حيى بن أخطب حفيظة كعب بن أسد حتى فتح له، حيث اتهمه بأنه لا يفتح له خوفا من أن يأكل من طعامه؛ ففتح له حينئذ الباب، الذى كان باب الخزى و الخسران، و الذل الأبدى، و البوار فى الدنيا و الآخرة.

و لكن كعبا هذا: رغم اعترافه بأنه لم ير من النبى «صلى اللّه عليه و آله» إلا الوفاء و الصدق، و غير ذلك فإنه ينقض العهد معه، حبا للدنيا، و طمعا بها فكان له الدمار و الهلاك.

و حسبك بهذا دلالة على تفاهة تفكير هؤلاء الناس، و سفاهة عقولهم، و تناقضهم السافر فى مواقفهم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۳۲۱

دوافع نقض العهد:

أما ما قدمه من امتياز لكعب بن أسد و لبنى قريظة ليثير شهيتهم لنقض العهد، و الدخول معهم فى حرب محمد فهو استئصال محمد و من معه.

و قد اشترط كعب لنفسه إن لم يتحقق هذا الهدف أن يواجه حيى بن أخطب معه كل السلبيات التى تنشأ عن عدم استئصال محمد و من معه، حيث شرط عليه أن يدخل معه حصنه، و يصيبه ما أصابه فقبل حيى بن أخطب ذلك.

و ذلك يوضح لنا: صوابية القرار الذى اتخذه الرسول «صلى اللّه عليه و آله» بتنفيذ حكم سعد بن معاذ فى بنى قريظة، و هو الحكم الذى أعطاه بنو قريظة أنفسهم موافقتهم المسبقة عليه، بل هم الذين اقترحوا تحكيم سعد بن معاذ فيهم.

و سيأتى بحث هذا الموضوع فى غزوة بنى قريظة إن شاء اللّه تعالى.

جهام بلا ماء:

و لم يكن كعب بن أسد يرى فى كل تلك الجموع قدرة على تحقيق الهدف الذى تسعى له، أو يشفى الغليل، و ما هى إلا رعد و برق فارغ، و سراب خادع.

و لعل مما ساعد على تكوّن تلك النظرة لديه هو ما جرى فى حرب بدر و أحد، و قينقاع، و النضير، و غيرها. مع رؤيته وجود فرق كبير فيما بين قدرات المسلمين فى السابق و فى اللاحق. فقد تنامت قدراتهم، و اتسع نفوذهم، و تأكدت هيمنتهم على المنطقة بأسرها.

كما أن الخطة التى اتبعها رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى مواجهة الأحزاب قد كانت على مرأى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۳۲۲

و مسمع من بنى قريظة، و هم يعرفون: أنها خطة ناجحة إلى حد كبير، و لا يمكن اختراقها، و تحقيق فجوة فيها بسهولة.

الشعور بالذنب و الخيانة:

و إذا كان كعب يعترف بوفاء و صدق محمد، و بسائر المواقف النبيلة و الإنسانية لنبى الإسلام، فإنه يكون قد اعترف ضمنا بالخيانة و بالغدر، فهل كان حقا قد شعر بالذنب و بتأنيب الضمير؟!

لو كان قد شعر بذلك حقا لبدرت منه بادرة تراجع أو ندم و لكن اللّه لا يوفق كل ظلوم كفار، و لن يكون لغادر فلاح، و لا لخائن نجاح. و المصير الذى انتهى إليه بنو قريظة خير شاهد على ذلك.

عدة مبعوثين لمهمة واحدة:

لقد رأينا فيما سبق: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد أرسل أكثر من شخص واحد لكشف خبر بنى قريظة. و لعل ذلك يرجع إلى أن الجماعة تكون فى مناسبات مشحونة بالتوتر أكثر تدبرا للأمور فى المواقع التى تشهد تصعيدا خطيرا، و على درجة كبيرة من الحساسية.

و يمكن لبعضهم أن يستعين بالبعض الآخر، و يسدده و يعضده، لو كان ثمة ما يقتضى اتخاذ موقف أو القيام بمبادرة من نوع ما.

كما أن ذلك يجعل الخبر الذى يأتى به هؤلاء، ليتخذ على أساسه قرارات فى غاية الخطورة، ترتبط بمستقبل و مصير أمة من الناس، يجعله أكثر دقة، و وضوحا، و أبعد عن اللبس، و عن احتمالات تدخل الأهواء فى صياغته و فى أدائه. بالإضافة إلى أنه يقطع العذر لمن يريد أن يغدر و يمكر، ثم يجنب

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۳۲۳

نفسه عواقب هـذا الغـدر و المكر، حتى تلوح له بوادر فشـله، و خيبته. إذ لاـ بـد أن يحيق به مكره السـيئ، و لاـ يحيق المكر السـيئ إلا بأهله.

و الملفت للنظر هنـا بالـذات: أنه «صـلى اللّه عليه و آله» لاـ يختـار لهـذه المهمـة أناسـا عـاديين، بل يختار لها الرؤساء و الكبراء الـذين يحترمهم رؤسـاء بنى قريظـة. و قـد اختـار «صـلى اللّه عليه و آله» أن يكونوا جميعـا من الأنصار، و فيهم خصوص سـعد بن معاذ، سـيد الأـوس، و سـعد بن عبـادة سـيد الخزرج، لكى يلمس اليهـود وجود التفـاهم و الانسـجام الكامـل، و العميق و الراسـخ فيمـا بين هـاتين القبيلتين، اللتين لهما تاريخ طويل من الصـراع. ثم ليستمعوا من هذين الزعيمين، و خصوصا من سعد بن معاذ، ما يزيل لهم كل شبهة و يدفع أى لبس أو تشكيك فى حقيقة موقفهما.

مع ملاحظـة: أن بين بنى قريظـة و بين الأوس حلف و عهـد، يلزمهم الوفاء به. ثم إن هـذه البادرة منه «صـلى اللّه عليه و آله» ما هى إلا تعبير لهم عن حسن النية، و تدخل فى سـياق تهيئة الأجواء لهم ليعودوا عن قرارهم الخيانى، إذا كانوا يطمعون بوفاء سـعد و قبيلته لهم، و هم الـذين يفترض بهم أن يعيشوا معهم بعـد رحيـل الأـحزاب، و عليهم أن يفكروا بـأن لاـ يحرقوا السـفن وراءهم، فإن ذلك سوف يحرمهم من السلامة فى نهاية المطاف.

طريقة الرمز فى نقل المعلومات الحساسة:

و قـد طلـب «صـلى اللّه عليـه و آلـه» من رسـله إلى بنى قريظـة: أن يسـتعملوا طريقـة الرمز فى تأديـة المعلومـات إليه، إذا كـانت تلك المعلومات ذات طابع خاص يميزها بالخطورة و الحساسية، و كان للجهر بها أثر سلبى على المعنويات.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۳۲۴

كما أن ذلك يفرض أن يكون الـذين يتم اختيارهم لمهمات من هـذا القبيل لديهم المؤهلات الكافية لاختيار أسـلوب الرمز المناسـب مع قدرتهم على تصنيف المعلومات نفسها وفقا للخطة التى ترسمها القيادة.

البشائر النبوية بالنصر:

و حين بلغ النبى «صـلى اللّه عليه و آله» خبر نقض بنى قريظـة للعهـد، الـذى من شأنه أن يهد العزائم، و يثير حالة من الهلع فى صـفوف أهل الإسلام فإنه يعلن بالتكبير، الذى يؤذن بالغلبة و الفلاح و النجاح، ثم يبشرهم بالنصر الأكيد الساحق، و بالسيطرة على العالم بأسره. و لكنه «صـلى اللّه عليه و آله» لم يذكر لهم مضمون البشارة إلا بعد أن اضطجع و تقنع بثوبه، و طال انتظارهم له، واشتد عليهم البلاء و الخوف فجاءت البشارة لتبخر ذلك الخوف، و تكشف البلاء، و ليفهمهم أن كلامه هذا ليس لمجرد التطمين و رفع المعنويات.

حدة سعد بن عبادة:

و قـد أشـرنا فيما سـبق: إلى أن وصـفهم لسـعد بن عبادة بالحـدة ليس له ما يبرره، و يبـدو أن ذلك من تزييفات الحاقدين على سـعد، لإقدامه على طلب الخلافة فى يوم السقيفة، و هو ذنب يصعب أن يغفره له الآخرون، و إن كان أبو بكر قد استطاع بما لديه من حنكة و دهاء أن يقلب الأمور رأسا على عقب، و يفوز هو بالأمر كما يعلمون.

كما أن سعدا هو والد قيس نصير علىّ و الحسن، و المجاهد بين أيديهما فى سبيل اللّه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۳۲۵

أسيد بن حضير:

و قد ذكر أسيد بن حضير فيما سبق كبديل عن بعض الشخصيات التى أرسلها النبى «صلى اللّه عليه و آله» لكشف خبر بنى قريظة ثم أعطوه دورا هاما جدا، و هو أنه قد أخبر بنى قريظة بتفاصيل ما سوف يجرى لهم، و قد تحقق ما قال حرفا فحرفا، و كأنه يقرؤه فى كتاب.

و نحن لا نصدق كل ذلك عن أسيد، الذى كان يحظى بعناية خاصة من قبل بعض التيارات؛ لأنه كان قريب أبى بكر، و كان له دور هام فى توطيد أمر أبى بكر فى يوم السقيفة، و كان أحد المهاجمين لبيت فاطمة «عليها السلام» و كان للسلطة اهتمام ظاهر به، و سعى لتسطير الفضائل و الكرامات له، و منحه الأوسمة، بسبب و بلا سبب «۱».

فضيلة مكذوبة للزبير:

عن عبد اللّه بن الزبير، قال: كنت يوم الأحزاب، أنا و عمر بن أبى سلمة مع النساء فى أطم حسان، فنظرت، فإذا الزبير على فرسه يختلف إلى بنى قريظة مرتين أو ثلاثا، فلما رجعت قلت: يا أبت رأيتك تختلف!

قال: رأيتنى يا بنى؟!

قلت: نعم.

قال: كان رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قال: من يأت قريظة، فيأتينى بخبرهم؟!

---

(۱) راجع كتابنا «حديث الإفك»- فصل: الفضائل و السياسة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۳۲۶

فانطلقت، فلما رجعت جمع لى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أبويه، فقال: «فداك أبى و أمى» «۱».

و فى رواية أخرى: أن عمر بن الخطاب لما أخبر النبى «صلى اللّه عليه و آله» بنقض بنى قريظة للعهد، قال «صلى اللّه عليه و آله»: من نبعث يعلم لنا علمهم؟!

فقال عمر: الزبير بن العوام.

فكان أول من بعث رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» من الناس، الزبير بن العوام، فقال: اذهب إلى بنى قريظة، فذهب الزبير فنظر، ثم رجع، فقال: يا رسول اللّه، رأيتهم يصلحون حصونهم، و يدربون طرقهم، و قد جمعوا ماشيتهم.

فذلك حين قال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: إن لكل نبى حواريا و حوارىّ الزبير ابن عمتى.

---

(۱) المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۱۲ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۱۷ و راجع ص ۳۲۷ و ۳۲۸ كلاهما عن الشيخين. و قال الترمذى: حديث حسن و التاريخ الكبير للبخارى ج ۶ ص ۱۳۹.

و قول الزبير الأخير: موجود فى السيرة النبوية لدحلان ج ۲ ص ۵ و ۱۰ و كذا فى سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۶۲ لكنه لم يصرح ببنى قريظة و حدائق الأنوار ج ۲ ص ۵۹۰ عن الصحيحين، و ليس فيهما تصريح ببنى قريظة أيضا.

و فيه: أنه لما قال له الزبير: أنا. قال: إن لكل نبى حوارى و إن حوارىّ الزبير، و راجع:

صحيح البخارى كتاب أصحاب النبى، باب مناقب الزبير.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۳۲۷

ثم تذكر القصة إرسال السعدين إلى بنى قريظة «۱».

و نقول:

إن هذه الرواية لا تصح، و ذلك للأمور التالية:

أولا: إنها تخالف سائر الروايات و تناقضها؛ لأنها مجمعة على أن السعدين هما اللذان جاءا بخبر نقض بنى قريظة للعهد.

و حاول البعض توجيه ذلك، و رفع التنافى فقال: «لا منافاة بين إرسال الزبير و إرسال هؤلاء، لاحتمال أنهم أرسلوا دفعة، أو بعد إرساله، و خص هؤلاء القوم بالإرسال لأنهم حلفاؤهم، فيحتمل أن يرجعوا إلى العهد بعد نقضه حياء من حلفائهم، فغلبت عليهم الشقوة» «۲».

و قال الحلبى: «و لعل هذا- أى إرسال السعدين و من معهما- كان بعد إرسال الزبير إليهم ليأتى بخبرهم، هل نقضوا العهد استثباتا للأمر» «۳».

و نقول:

إن احتمال إرسال الزبير بعد تلك الجماعة ليس له ما يبرره، إذ إن إخبار هؤلاء الكبار كان يكفى فى ثبوت هذا الأمر لديه «صلى اللّه عليه و آله».

و أما إرسال الزبير قبلهم، فهو أيضا فى غير محله، إذا كان «صلى اللّه عليه و آله» عازما من أول الأمر على إرسال تلك الجماعة، إذ إن إرساله لا يفيد شيئا فى حصول اليقين له «صلى اللّه عليه و آله»، أما مجرد الاحتمال فقد

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۵۷ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۲۲۷.

(۲) السيرة النبوية لدحلان ج ۲ ص ۵.

(۳) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۳۲۸

حصل بإخبار عمر له أولا حسبما تقدم.

ثانيا: أضف إلى ما تقدم: أننا لم نفهم السر فى أن الزبير حين أرسله النبى «صلى اللّه عليه و آله» ليأتيه بخبرهم، قد تردد إليهم مرتين أو ثلاثا، ألم تكن المرة الأولى كافية لوقوفه على حقيقة أمرهم؟! و لماذا الترديد بين المرتين و الثلاث، فهل نسى ولده عبد اللّه عدد المرات التى رصدها و سأل أباه عنها؟!

ثالثا: إننا لم نعرف وجه تسمية الأطم ب «أطم حسان»، مع أن النساء كن فى أطم بنى حارثة، إلا أن يكون قد أراد الإشارة إلى أن جبن حسان قد تجلى فى هذا الأطم بالذات، ثم اشتهر به بسبب ذلك، و لكن ذلك- على كل حال- يحتاج إلى إثبات.

رابعا: قال ابن عبد البر: «ثبت عن الزبير أنه قال: جمع لى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أبويه مرتين: يوم أحد، و يوم بنى قريظة، فقال: «ارم فداك أبى و أمى».

فقال: و لعل ذلك كان فى أحد: «إن لكل نبى حواريا، و إن حوارىّ الزبير الخ ..» «۱».

خامسا: إن ابن الزبير كان يوم الخندق طفلا صغيرا، لا يعقل مثل هذه الأمور، فلا يصح أن يسأل أباه هذا السؤال، ثم يجيبه أبوه بذلك الجواب الذى لا يدرك مغزاه إلا ذو الحجى، و لا يخاطب به طفلا صغيرا، عمره على أبعد الأقوال أربع سنوات، أو سنتان و نصف سنة- كما هو قول الأكثر-

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۳۲۹

فضلا عن القول الذى يذكر: أنه ولد فى أحد، أو فى الخندق بالذات، و لتوضيح ذلك نقول:

رغم أنهم يقولون: إن ابن الزبير كان أول مولود فى الإسلام من المهاجرين «۱»، مع وضوح خطأ الرازى فى قوله: إنه أول مولود ولد فى الإسلام «۲»- رغم ذلك- فإنهم قد اختلفوا فى تاريخ ولادته، على النحو التالى:

۱- فريق يقول: إن أسماء حملت بعبد اللّه فى مكة، و خرجت مهاجرة إلى المدينة، فلما دخلت المدينة نزلت قباء، فولدته بقباء «۳».

۲- و بعضهم أطلق القول فى ولادته، فقال: ولد عام الهجرة، أو ما

---

(۱) السيرة النبوية لابن كثير ج ۲ ص ۲۳۱ و الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ۲ ص ۳۰۱ و ۳۰۲ و تهذيب الأسماع ج ۱ ص ۲۶۶ و سير أعلام النبلاء ج ۳ ص ۳۶۳ و ۳۶۵ و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۵۴۸ و تلخيصه للذهبى (مطبوع بهامشه) و تاريخ الصحابة ص ۱۵۰ و تهذيب الكمال ج ۱۴ ص ۵۰۹ و راجع: أسد الغابة ج ۳ ص ۱۶۱ و مختصر تاريخ دمشق ج ۱۲ ص ۱۷۰ و ۱۷۱ و ۱۷۲ و البداية و النهاية ج ۳ ص ۲۳۰ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۸۹ و ۸۰ و التبيين فى أنساب القريشيين ص ۲۵۷ و تهذيب التهذيب ج ۵ ص ۲۱۳ و الإصابة ج ۲ ص ۳۰۹ و ۳۱۰.

(۲) الجرح و التعديل ج ۵ ص ۵۶ و خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص ۱۹۷.

(۳) تاريخ الصحابة لابن حبان ص ۱۵۰ و الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ۳ ص ۳۰۱ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۲۳۱ و التاريخ الكبير ج ۵ ص ۶ و حلية الأولياء ج ۱ ص ۳۳۳ و مختصر تاريخ دمشق ج ۱۲ ص ۱۷۱ و التبيين فى أنساب القريشيين ۲۵۷ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۷۹ و الثقات ج ۳ ص ۲۱۲ و الجمع بين رجال الصحيحين ج ۱ ص ۲۴۰ و نسب قريش لمصعب ص ۲۳۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۳۳۰

يقرب من هذه العبارة، و بعضهم ذكر ذلك بلفظ قيل «۱».

۳- و نجد الآخرين يقولون: إنه ولد فى شوال السنة الثانية للهجرة النبوية الشريفة «۲».

و القائلون بهذا القول هم الأكثر «۳».

لكن عبارة عدد منهم هكذا: هاجرت به أمه و هى حامل، فولد بعد الهجرة بعشرين شهرا «۴».

---

(۱) راجع: البداية و النهاية ج ۳ ص ۲۳۰ و وفيات الأعيان ج ۳ ص ۷۱ و مستدرك الحاكم و تلخيصه للذهبى ج ۳ ص ۵۴۸ و الإصابة ج ۲ ص ۳۰۹، و راجع: سيرة أعلام النبلاء ج ۳ ص ۳۶۳ و أسد الغابة ج ۳ ص ۱۶۳ و تهذيب الكمال ج ۱۴ ص ۵۰۹ و تهذيب التهذيب ج ۵ ص ۲۱۳ و تهذيب الأسماء ج ۱ ص ۱۶۶ و أنساب الأشراف ج ۵ ص ۳۷۵.

(۲) الإستيعاب بهامش الإصابة ج ۳ ص ۵۵۱ و الإصابة ج ۲ ص ۳۰۹ عن الواقدى و من تبعه، و سير أعلام النبلاء ج ۳ ص ۳۶۳ و خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص ۱۹۷ و تهذيب الأسماع ج ۲ ص ۲۶۶ و المحبر ص ۲۷۵ و ۲۷۶ و راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ۲ ص ۲۳۱ و أسد الغابة ج ۳ ص ۱۶۱ و مختصر تاريخ دمشق ج ۱۲ ص ۱۷۱ عن الزبير بن بكار و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۸۰ عن الواحدى و غيره.

(۳) تهذيب التهذيب ج ۵ ص ۲۱۴ و الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ۳ ص ۵۵۱.

(۴) راجع: الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ۲ ص ۳۰۱ و تهذيب التهذيب ج ۵ ص ۲۱۳ و راجع: أسد الغابة ج ۳ ص ۱۶۱ و تهذيب الكمال ج ۱۴ ص ۵۰۹ و البداية و النهاية ج ۳ ص ۲۳۰ و المحبر ص ۲۷۵ و ۲۷۶ و الجمع بين رجال الصحيحين لابن العسقلانى ج ۱ ص ۲۴۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۳۳۱

قال العسقلانى: «لا يتجه إلا بتقدير أن يكون قد أقام فى بطنها نحو سنتين، و لم أر من صرح بذلك» «۱».

و لعل هذا هو السبب فى أنه قد استظهر أن يكون القول بولادته فى أول سنىّ الهجرة أقرب إلى الصحة، و إن كان الأكثر على خلافه «۲».

۴- و يؤيد القول بأنه قد ولد بعد الهجرة بعشرين شهرا، و أنه قد ولد فى السنة الثانية قولهم: إنه قتل فى السنة الثلاث و سبعين، و له اثنتان و سبعون سنة «۳».

۵- إنهم يقولون: إن النعمان بن بشير ولد قبل ابن الزبير بستة أشهر، على رأس أربعة عشر شهرا من الهجرة «۴».

و قال الذهبى: ولد سنة اثنتين «۵».

و قالوا أيضا: إن النعمان هذا قد ولد قبل وفاة النبى «صلى اللّه عليه

---

(۱) تهذيب التهذيب ج ۵ ص ۲۱۳ و ۲۱۴ و راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۸۰.

(۲) تهذيب التهذيب ج ۵ ص ۲۱۴.

(۳) الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ۲ ص ۳۰۳ و مختصر تاريخ دمشق ج ۱۲ ص ۱۹۸ و ج ۲۴ ص ۱۹۰ و وفيات الأعيان ج ۳ ص ۷۴ و الجمع بين رجال الصحيحين ج ۱ ص ۲۴۰ و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۳۵۹ و طبقات ابن سعد (ط دار صادر) ج ۵ ص ۴۳.

(۴) البداية و النهاية ج ۳ ص ۲۳۰ و الإصابة ج ۳ ص ۵۵۹ و الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ۳ ص ۱۵۱ و تهذيب التهذيب ج ۱۰ ص ۴۴۸ و ۴۴۷ و المحبر ص ۲۷۶ و تهذيب الأسماع ج ۲ ص ۱۲۹.

(۵) سير أعلام النبلاء ج ۳ ص ۴۱۱ و تهذيب التهذيب ج ۱۰ ص ۴۴۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۳۳۲

و آله» بثمان سنين و سبعة أشهر.

و قيل: ست سنين. و الأول أصح.

و قال ابن الزبير: النعمان أكبر منى بستة أشهر. و هو أول مولود للأنصار بعد الهجرة «۱». و ذلك يعنى أن ابن الزبير قد ولد فى السنة الثالثة.

۶- إنهم يقولون: إن ابن الزبير يكبر مروان بن الحكم بأربعة أشهر «۲».

و مروان ولد فى الثالثة يوم أحد كما عن مالك، أو فى الرابعة، أو يوم الخندق- كما عن ابن عبد البر- أو فى الثانية. فراجع ترجمة مروان فى كتب السير و التراجم «۳» ..

۷- و يقولون أيضا: كان لابن الزبير حين موت النبى «صلى اللّه عليه و آله» ثمانية سنين و أربعة أشهر «۴».

و لعل قول ابن إسحاق: كان له تسع سنين «۵»، لا ينافى ذلك؛ إذا كان قد

---

(۱) أسد الغابة ج ۵ ص ۲۲.

(۲) سير أعلام النبلاء ج ۳ ص ۴۷۶.

(۳) راجع على سبيل المثال: الإصابة ج ۳ ص ۴۷۷ و ۴۷۸ و تهذيب الأسماء ج ۲ ص ۸۷ و أسد الغابة ج ۴ ص ۳۴۸ و تهذيب التهذيب ج ۱۰ ص ۹۱ و ۹۲ و الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ۳ ص ۴۲۵ و البداية و النهاية، و تاريخ الأمم و الملوك (ط دار

المعارف) ج ۵ ص ۶۱۱ و طبقات ابن سعد (ط دار صادر) ج ۵ ص ۳۶ و فى مختصر تاريخ دمشق ج ۲۴ ص ۱۸۴ و ۱۷۹: أن عمر مروان حين موت النبى كان ثمانية سنين. و راجع: الكامل فى التاريخ ج ۴ ص ۱۹۲

(۴) راجع: تهذيب الكمال ج ۱۴ ص ۵۰۹ و سير أعلام النبلاء ج ۳ ص ۳۶۴ و مختصر تاريخ دمشق ج ۱۲ ص ۱۷۱.

(۵) الإصابة ج ۲ ص ۳۰۱ و تهذيب التهذيب ج ۵ ص ۵۱۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۳۳۳

قال ذلك على سبيل التقريب، لا التحديد ..

۸- قال العسقلانى عن عمر بن أبى سلمة: «ولد بالحبشة فى السنة الثانية. و قيل: قبل ذلك. و قبل الهجرة إلى المدينة.

و يدل عليه قول عبد اللّه بن الزبير: كان أكبر منى بسنتين الخ ..» «۱».

و جزم ابن عبد البر بأنه ولد فى الثانية، و عند الذهبى: ولد فى أواخرها «۲».

۹- و أخيرا: فقد روى البخارى عن عروة: أن الزبير أركب ولده عبد اللّه يوم اليرموك فرسا و هو ابن عشر، و وكل به رجلا «۳».

و قد كانت وقعة اليرموك سنة ۱۳ ه أو ۱۵ ه. و عليه الجمهور «۴». و يدل عليه كتاب الصلح الذى كتبه خالد للنصارى حينما أراد النهوض إلى اليرموك، و قد أرخه بسنة خمس عشرة «۵». فتكون ولادة ابن الزبير فى السنة الثالثة أو الخامسة، و هو ما أيدته بعض الشواهد المتقدمة، خصوصا قولهم

---

(۱) الإصابة ج ۲ ص ۵۱۸ و تهذيب التهذيب ج ۷ ص ۴۵۶.

(۲) الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ۲ ص ۴۷۵ و راجع: الثقات ج ۳ ص ۲۶۳ و الجمع بين رجال الصحيحين ج ۱ ص ۳۳۹ و المحبر ص ۲۹۳ و راجع:

تهذيب التهذيب ج ۷ ص ۴۵۶ و تهذيب الأسماء ج ۲ ص ۱۶

(۳) صحيح البخارى ج ۳ كتاب المغازى، باب قتل أبى جهل، و سير أعلام النبلاء ج ۳ ص ۳۶۵.

(۴) عمدة القارى ج ۱۷ ص ۹۰ و ذكر هذا التاريخ فى مصادر كثيرة، فراجع على سبيل المثال: تاريخ ابن الوردى ج ۱ ص ۱۹۱ و إرشاد السارى ج ۶ ص ۲۵۲ و فتح البارى ج ۷ ص ۲۳۳.

(۵) فتوح البلدان ص ۱۳۰ و البداية و النهاية ج ۷ ص ۲۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۳۳۴

فى ولادة مروان. و قد اعتذر العسقلانى و غيره عن قصة اليرموك هذه: بأنها قد جاءت على سبيل إلغاء الكسر «۱».

و لكنه اعتذار واه، لأن إلغاء خمس أو ثلاث سنوات، من أصل خمس عشرة سنة، بعيد و مستهجن، خصوصا إذا كان فى مقام التحديد، من أجل إظهار فضيلة و خصوصية خاصة للزبير، و لو سلمنا، فإنما يقبل هذا الاعتذار بعد ثبوت كون سن عبد اللّه هو عشر سنين، و هو لم يثبت.

بل الظاهر: خلافه كما قلنا.

من الذى شاتم بنى قريظة؟!

و قد ذكرت إحدى الروايات السابقة: أن ابن إسحاق و بعضا آخر يقولون:

إن سعد بن عبادة هو الذى شاتم بنى قريظة، و كان رجلا فيه حدة، و نقول:

۱- قد روى عن ابن إسحاق ما يخالف ذلك، و أن الذى شاتمهم هو ابن معاذ.

۲- إن قول أسيد بن حضير لكعب بن أسد: أتسب سيدك يا عدو اللّه، يشير إلى: أن الذى شاتمهم هو ابن معاذ، لأنه هو الذى كان بينه و بينهم حلف، و يحسن وصفه بأنه سيدهم. أما ابن عبادة فحاله معهم حال سائر الناس.

إلا أن يقال: إن مراده بالسيد هو رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» نفسه.

أو أن يقال: إنه إنما قال ذلك لإظهار عظمة ابن عبادة و امتيازه عليهم،

---

(۱) فتح البارى ج ۷ ص ۲۳۳ و عمدة القارى ج ۱۷ ص ۹۱ و إرشاد السارى ج ۶ ص ۲۵۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۳۳۵

بالإسلام، و بأنه رئيس قومه. و الذى نستقر به هو: أن المشاتمة قد حصلت لكلا الرجلين، فابن معاذ شتم من قبل كعب بن أسد، و ابن عبادة شتم من قبل شاس (نباش) بن قيس حسبما تقدم، ثم قال أحدهما للآخر: دع عنك مشاتمتهم، فما بيننا و بينهم أربى من المشاتمة.

عمر عرف بأمر بنى قريظة:

و يذكر النص التاريخى: أنه لما نقض بنو قريظة العهد «بلغ عمر بن الخطاب نقض بنى قريظة العهد، فأعلم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بخبرهم» «۱».

و نقول:

إن لم تكن هذه القضية كاذبة، فإننا لا ندرى ما السبب فى أن ذلك بلغ خصوص عمر بن الخطاب دون النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و دون كل المسلمين الآخرين؟ فهل كان لعمر جواسيس لدى بنى قريظة يخبرونه بكل مواقفهم و تحركاتهم؟ أم أنه علم ذلك من جهة المشركين؟

إننا نعترف بالعجز عن إدراك الحقيقة، و ليس فى النصوص التى بين أيدينا ما يكشف لنا عن هذا الأمر ..

و لا نريد أن نذكر القارئ بما ذكرناه فى غزوة أحد، و بما سيأتى فى هذه الغزوة من أن رموز الشرك، كخالد بن الوليد، و ضرار بن الخطاب كانوا يتحاشون إيصال الأذى إلى عمر بن الخطاب، و لا ندرى سر و سبب ذلك،

---

(۱) راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۵۲۷ و بقية المصادر تقدمت تحت عنوان: لا بد من التثبت.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۳۳۶

لا سيما و أنهم يصرحون له بأنهم يتخذون ذلك يدا لهم عنده.

هذا بالإضافة: إلى قضايا أخرى لا مجال للتذكير بها الآن، رغم أن أهل الشرك إلى أن انقضت غزوة الخندق، كانوا يعتقدون أن بالإمكان اقتلاع الإسلام و استئصاله من جذوره، و كانوا يهتمون بقتل كل من تصل إليه أيديهم، و لا سيما من بنى هاشم، كحمزة و عبيدة بن الحارث، و علىّ «عليه السلام» و غيرهم. فلماذا يريدون قتل هؤلاء، و لا يريدون قتل غيرهم من رجالات الإسلام؟

أحلاف عبادة بن الصامت:

و يذكر البعض: «أنه لما خرج النبى «صلى اللّه عليه و آله» يوم الأحزاب قال عبادة بن الصامت: يا رسول اللّه، إن معى خمس مئة رجل من اليهود، و قد رأيت أن يخرجوا معى، فأستظهر بهم على العدو ..

فأنزل اللّه تعالى: لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً وَ يُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ «۱»» «۲».

و نقول:

إن هذا الكلام لا يصح.

أولا: لأن ظاهر الآيـة يأبى الانطباق على واقعـة من هذا القبيل فإنها تزجر عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، و لم يكن عبادة يريد أن

---

(۱) الآية ۲۸ من آل عمران.

(۲) الجامع لأحكام القرآن ج ۴ ص ۵۸ و تفسير الخازن ج ۱ ص ۲۲۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۳۳۷

يتخذهم أولياء من دون المؤمنين، بل هو يريد أن يشـركهم فى الدفاع عن أهل الإيمان، حبا منه بسلامة المؤمنين. فهذا التحذير القوى، و استثناء حالة مصانعتهم تقية، و التنصيص على أنه يواليهم من دون أهل الإيمان يبعد القضية عن أن تكون فى شأن عبادة.

ثانيـا: من أين يـأتى عبـادة بخمس مئـة يهودى ليقـاتلوا معه؟ فقـد أجلى بنو قينقاع و بنو النضـير عن ديارهم، و لم يكونوا ليـدافعوا عن الإسلام، بل كانوا هم المحرضين للأحزاب على حرب النبى «صلى اللّه عليه و آله» و المسلمين.

و بنو قريظة قد نقضوا العهد، و أصبحوا مع الأحزاب.

عريش جديد لأبى بكر:

و يسـتفاد من كلام الواقدى: أنه قد كان ثمة ما يشـبه العريش- عريش بدر- لأبى بكر فيذكر: أن أبا بكر كان مع النبى «صلى اللّه عليه و آله» «فى قبة من أدم مضروبة فى أصل الجبل، عند المسجد الذى فى أسفل، معه أبو بكر، و المسلمون على خندقهم يتناوبون» «۱».

فجاء عمر إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله» و أخبره بنقض بنى قريظة للعهد.

لكن قد تقدم: أن ذلك لا يصح، أو على الأقل يشك كثيرا فى صحته.

و قد تحدثنا فى غزوة بدر عن عدم صحة قصة العريش المزعوم لأبى بكر و النبى «صلى اللّه عليه و آله» فراجع ما ذكرناه هناك ..

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۵۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۳۳۸

و لسنا ندرى لماذا ترك أبو بكر الناس يتناوبون على خندقهم؟

أليس هو خندقه أيضا؟

و لماذا استثناه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ليكون معه دون كل من عداه؟!

و كيف لم يعترض على ذلك أى من الناس الـذين كانوا يقومون بواجباتهم فى الحفظ و الحراسـة و كان النبى «صـلى اللّه عليه و آله» نفسه يفعل ذلك أيضا؟!

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۳۳۹

الفهارس

اشارة

۱- الفهرس الإجمالی ۲- الفهرس التفصیلی

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج ۱۰،ص:۳۴۱

۱- الفهرس الإجمالی

الفصل الثانی: حدث و تشریع ۵- ۳۴

الفصل الثالث: عظات و کرامات أو سیاسات إلهیة ۳۵- ۷۴

الفصل الرابع: بدر الموعد ۷۵- ۱۲۸

القسم السابع: من الخندق إلی الحدیبیة الباب الأول: التحضیرات لغزوة الخندق

الفصل الأول: الأحزاب إلی المدینة ۱۳۳- ۱۸۶

الفصل الثانی: الخندق فی خطة الحرب و الدفاع ۱۸۷- ۲۱۴

الفصل الثالث: حفر الخندق: أحداث و دلالات ۲۱۵- ۲۵۰

الفصل الرابع: کرامات فی نطاق السیاسة الإلهیة ۲۵۱- ۲۸۰

الفصل الخامس: جیش المسلمین و جیش المشرکین فی المواجهة ۲۸۱- ۳۰۸

الفصل السادس: غدر بنی قریظة ۳۰۹- ۳۳۸

الفهارس ۳۳۹- ۳۵۲

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج ۱۰،ص:۳۴۳

۲- الفهرس التفصیلی

الفصل الثانی: حدث و تشریع ماذا فی هذا الفصل؟! ۷

صلاة الخوف: ۸

الروایة الأقرب إلی القبول: ۱۲

کیفیة صلاة الخوف: ۱۴

صلاة الخوف فی غزوة الخندق: ۱۴

صلاة الخوف لماذا؟!: ۱۵

قصر الصلاة: ۱۸

تاریخ قصر الصلاة: ۱۸

القصر فی حالتی الأمن و الخوف: ۲۰

إتمام عثمان للصلاة فی منی و عرفات: ۲۳

الصامدون و المتزلفون: ۲۴

معاویة و الأمویون، و سنة عثمان: ۲۵

أعذار لا تصح: ۲۶

التقصير رخصة أم عزيمة: ۳۲

نزول آية التيمم: ۳۳

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۳۴۴

الفصل الثالث: عظات و كرامات أو سياسات إلهية ماذا فى هذا الفصل؟! ۳۷

جمل جابر: ۳۹

اختلافات الرواية فى مقدار ثمن الجمل: ۴۳

الزيادة المباركة: ۴۵

تاريخ قصة جمل جابر: ۴۵

القيمة الحقيقية لهذا الحدث: ۴۶

كرامة و تكريم: ۴۹

مع الحدث فى دلالاته و خصوصياته: ۵۱

رحمة اللّه بعباده: ۵۳

النبى صلى اللّه عليه و آله يعالج ابن الأعرابية: ۵۴

كرامة أخرى لرسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: ۵۶

جمل يستعدى على صاحبه: ۵۷

معرفة النبى صلى اللّه عليه و آله بلغات البشر، و الحيوان و الجماد، و الشجر: ۵۸

سؤالان يحتاجان إلى جواب: ۶۰

الإجابة و التوضيح: ۶۱

تسخير المخلوقات للإنسان فى الآيات القرآنية: ۶۴

الشعور و الإدراك لدى المخلوقات: ۶۵

نماذج حية من تسخير الموجودات العاقلة: ۶۷

قصة سليمان و داود نموذج فذ: ۶۸

آيات من سورة النمل: ۶۹

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۳۴۵

مع آيات سورة النمل: ۷۰

إعادة توضيح و بيان: ۷۱

النقاط على الحروف: ۷۲

الفصل الرابع: بدر الموعد بداية الحديث عن بدر الموعد: ۷۷ الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ۱۰ ۳۴۵ ۲ -

الفهرس التفصيلى ..... ص : ۳۴۳ النص التاريخى لبدر الصغرى: ۸۰

آيات سورة آل عمران: ۸۶

مواقف لا بد من التأكد من صحتها: ۸۸

الأفراح و الأتراح: ۹۰

المجتمع المفتوح: ۹۳

استخلاف ابن أبى على المدينة: ۹۵

قوة الإسلام: ۹۵

لا بد من الندم: ۹۹

الإنتظار ثمانية أيام: ۱۰۱

الإتجار فى بدر الموعد: ۱۰۲

غزوة دومة الجندل: ۱۰۴

تاريخ هذه الغزوة: ۱۰۵

هذه الغزوة: ۱۰۶

مدة غيبته صلى اللّه عليه و آله عن المدينة: ۱۰۹

رجوع النبى صلى اللّه عليه و آله قبل بلوغ دومة!! ۱۰۹

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۳۴۶

التوجيه الأقرب: ۱۱۰

دومة الجندل حقيقة أم خيال؟!: ۱۱۴

ذكريات أبى موسى الأشعرى فى دومة الجندل: ۱۱۶

موادعة عيينة بن حصن الغادر: ۱۱۷

حكومة القيم، أم حكومة المشاعر؟! ۱۱۸

القسم السابع: من الخندق إلى الحديبية آيات حول غزوة الخندق: ۱۲۳

تقديم: ۱۲۵

موجز عن غزوة الخندق: ۱۲۶

الباب الأول: التحضيرات لغزوة الخندق الفصل الأول: الأحزاب إلى المدينة تمهيد و بيان: ۱۳۵

تحزيب الأحزاب فى روايات المؤرخين: ۱۳۸

تجمع القوى: ۱۴۳

الأحزاب إلى المدينة: ۱۴۵

مناقشات و إيضاحات: ۱۴۶

تاريخ غزوة الخندق: ۱۴۷

غزوة الخندق فى زمن الحصاد: ۱۵۶

هل أخطأ التقويم التطبيقى؟! ۱۵۷

مشاركة الحارث بن عوف فى الخندق: ۱۵۸

أبو رافع قتل بعد أحد: ۱۵۹

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۳۴۷

هل كان أبو الأعور فى الخندق؟!: ۱۶۰

توثيق أبى الأعور!!: ۱۶۲

آية سورة النساء متى و فيمن نزلت: ۱۶۵

توضیح و تصحیح: ۱۶۷

تحریض الیهود: ۱۶۸

الداء الدوی: ۱۷۰

أهداف الحرب: ۱۷۲

الأحقاد هی المحرک: ۱۷۳

یریدون لیطفئوا نور اللّه سبحانه: ۱۷۴

الإیمان و المواثیق لا تجدی: ۱۷۶

تمر خیبر: ۱۷۹

تأثیر المال فی تحزیب الأحزاب: ۱۸۰

الإرهاب الفکری و الخداع للسذج: ۱۸۱

الحارث بن عوف ینصح قومه: ۱۸۲

عقدة بدر الموعد: ۱۸۳

عیینة بن حصن و المعانی الإنسانیة: ۱۸۳

شک المشرکین: ۱۸۵

الفصل الثانی: الخندق فی خطة الحرب و الدفاع المفاجأة: ۱۸۹

المشورة، و التخطیط: ۱۹۲

من أخبر النبی صلی اللّه علیه و آله بمسیر الأحزاب؟! ۱۹۴

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج ۱۰،ص:۳۴۸

من المشیر بحفر الخندق؟! ۱۹۵

وعی سلمان: ۱۹۷

لو کان الخندق بإشارة سلمان: ۱۹۸

طریقة استشارته صلی اللّه علیه و آله أصحابه: ۲۰۰

الخندق فی إیجابیاته الظاهرة: ۲۰۱

بین الأصالة و التجدید: ۲۰۳

أین کان الخندق و ما هی مواصفاته؟! ۲۰۴

۱- موضع الخندق: ۲۰۵

۲- جعل الأبواب للخندق: ۲۰۶

۳- خصوصیات و مواصفات أخری: ۲۰۷

الموقع الجغرافی للخندق: ۲۰۸

تشبیک المدینة بالبنیان: ۲۱۰

مدة حفر الخندق: ۲۱۱

زمام المبادرة بید من؟! ۲۱۳

الفصل الثالث: حفر الخندق: أحداث و دلالات شدائد و متاعب: ۲۱۷

حفر الخندق فى روايات المؤرخين: ۲۱۸

المساحى و المكاتل: ۲۱۹

تقسيم العمل فى الخندق: ۲۱۹

النبى صلى اللّه عليه و آله يشارك فى حفر الخندق: ۲۲۱

على عليه السلام و شيعته أعظم الناس عناء: ۲۲۴

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۳۴۹

و ثمة تفاصيل أخرى: ۲۲۴

عمل المنافقين فى الخندق: ۲۲۷

۱- توزيع المهام على العاملين: ۲۲۸

۲- النبى صلى اللّه عليه و آله و الشعر: ۲۳۰

۳- دور عضل و القارة: ۲۳۲

۴- الأمثولة المواساة: ۲۳۳

۵- المتحذلقون الأغبياء: ۲۳۳

۶- لا عيش إلا عيش الآخرة: ۲۳۴

۷- الحماسة و المثابرة: ۲۳۴

۸- الأسوة الحسنة: ۲۳۴

منع حسان و كعب بن مالك من الشعر: ۲۳۷

الكلمة المسؤولة القرار الحاسم: ۲۳۸

زيد بن ثابت: ۲۴۰

سلمان منا أهل البيت: ۲۴۱

الصحيح فى القضية: ۲۴۵

تقتلك الفئة الباغية: ۲۴۶

الفصل الرابع: كرامات فى نطاق السياسة الإلهية مما سبق: ۲۵۳

الكرامات و المعجزات فى الخندق: ۲۵۳

نبوءة صادقة للنبى صلى اللّه عليه و آله: ۲۵۵

كرامة أخرى لرسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: ۲۵۶

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۱۰،ص:۳۵۰

قصور الروم و فارس: ۲۵۷

نص آخر يخالف ما سبق: ۲۶۱

القيادة الحازمة، و الإنضباط أساس النجاح: ۲۶۳

مدائن كسرى و قصور الروم و صنعاء: ۲۶۵

الأمل بالنصر: ۲۶۶

كرم و كرامة: ۲۶۷

قضية أخرى فيها كرامة لرسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: ۲۷۰

كرامة أخرى للنبى صلى اللّه عليه و آله: ۲۷۱

يطعم الجيش كله حفنة من تمر: ۲۷۱

كرامة أخرى لرسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: ۲۷۲

بين نظرتين: ۲۷۲

التزوير الرخيص: ۲۷۴

الجهد، و الضعف و الجوع: ۲۷۵

الأولى: النبى صلى اللّه عليه و آله و صوم الوصال: ۲۷۶

الثانية: العزم و الثبات: ۲۷۷

الثالثة: الخصاصة و الجوع: ۲۷۸

الفصل الخامس: جيش المسلمين و جيش المشركين فى المواجهة الإعداد و الإستعداد: ۲۸۳

مقر القيادة: ۲۸۵

عرض النبى صلى اللّه عليه و آله الخارجين إلى الحرب: ۲۸۶

النساء و الأطفال فى الآطام: ۲۸۷

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۳۵۱

الحرس على أبواب الخندق: ۲۸۷

تركيبة الحرس مثار تساؤل: ۲۸۸

الذرارى و النساء فى الآطام: ۲۸۹

عقد الألوية للحرب: ۲۹۱

شعار الحرب: ۲۹۳

عدة و عدد المسلمين: ۲۹۶

عدد المشركين: ۳۰۰

عدة جيش الشرك: ۳۰۲

معنويات جيش الشرك: ۳۰۴

جيش أهل الإيمان: ۳۰۵

الغطرسة القرشية: ۳۰۶

رسالة تهديد من أبى سفيان: ۳۰۷

الفصل السادس: غدر بنى قريظة بنو قريظة ينقضون العهد: ۳۱۱

لا بد من التثبت: ۳۱۵

النزعة العنصرية لدى اليهود: ۳۱۹

وفاء اليهود: ۳۲۰

طريقة حيى للتأثير على كعب بن أسد: ۳۲۰

دوافع نقض العهد: ۳۲۱

جهام بلا ماء: ۳۲۱

الشعور بالذنب و الخيانة: ۳۲۲

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۳۵۲

عدة مبعوثين لمهمة واحدة: ۳۲۲

طريقة الرمز فى نقل المعلومات الحساسة: ۳۲۳

البشائر النبوية بالنصر: ۳۲۴

حدة سعد بن عبادة: ۳۲۴

أسيد بن حضير: ۳۲۵

فضيلة مكذوبة للزبير: ۳۲۵

من الذى شاتم بنى قريظة؟! ۳۳۴

عمر عرف بأمر بنى قريظة: ۳۳۵

أحلاف عبادة بن الصامت: ۳۳۶

عريش جديد لأبى بكر: ۳۳۷

الفهارس:

۱- الفهرس الإجمالى ۳۴۱

۲- الفهرس التفصيلى ۳۴۳

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۱،ص:۵

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل

(=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم

- فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللّه تعالی؛ و اللّه ولیّ التوفیق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹